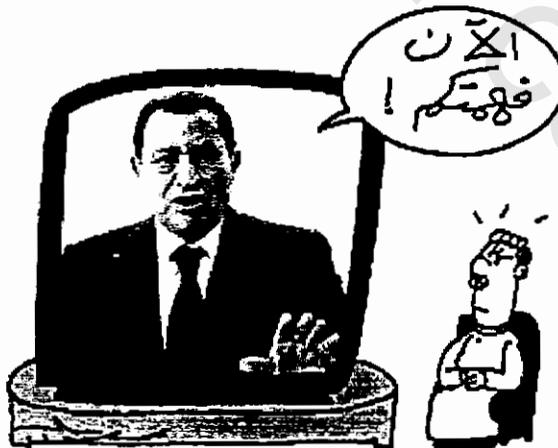


الفصل الخامس

ملامح الكاريكاتير السياسي

في فترة مبارك

(١٩٨١ - ٢٠١١)



obeyikan.com

الفصل الخامس

ملامح الكاريكاتير السياسي في فترة مبارك (١٩٨١ - ٢٠١١)

لم تتغير كثيرًا القضايا التي شغلت الرأي العام في فترة مبارك عن مثيلاتها في الفترات السابقة، فقد عانت مصر من تدني في متوسط دخل الفرد وارتفاع الأسعار واستشراف الفساد وتجمد في الحياة السياسية وارتفاع في معدلات البطالة وتدهور في مستوى التعليم. وقد تعددت القضايا الخارجية التي شغلت الرأي العام المصري، إلا أن الصراع العربي الإسرائيلي احتفظ بموقعه على رأس القضايا الخارجية التي تقع في محور اهتمام الناس وتشغل بالهم، كما اعتبر غزو الولايات المتحدة للعراق من أهم القضايا التي شهدتها الألفية الثالثة والتي أثارت الرأي العام المحلي والعالمي وأثارت جدلاً واسعاً بين الأوساط السياسية خاصة بعد سقوط بغداد.

ويلاحظ أن كل القضايا السابقة ليست بجديدة على الساحة الكاريكاتورية فيما عدا غزو العراق، فقد حلت ضيفاً ثقيلاً على الكاريكاتير. ولعل هذا يفسر سبب إمكانية إعادة نشر رسوم قديمة لأحمد حجازي أو لصالح جاهين والتي تتناول نفس القضايا التي ناقشها اليوم. ويعتقد الرسام ناجي كامل بأن هذا أيضاً يفسر حالة الكآبة التي مني بها عدد كبير من رسامي الكاريكاتير من جراء تناول نفس المشاكل والقضايا في رسومهم مراراً وتكراراً ولا يجدوا لصدى رسومهم أي تغيير حقيقي. كما يرى بعض المقربين من الرسام حجازي أن هذا هو السبب وراء اعتزاله الرسم ومغادرته القاهرة قاصداً مسقط رأسه طنطا بلا عودة^(١).

إلا أن السنوات الأخيرة من حكم مبارك شهدت تفاقماً وبشكل مبالغ في درجة الفساد المالي والإداري والسياسي وساعد على ذلك التزاوج الذي حدث وبشكل غير مسبوق بين السلطة والمال من خلال تشكيل وزارة من رجال الأعمال ساعدت على العبث بمدخرات البلد والتلاعب بثرواتها في مقابل تنفيذ خريطة طريق لتوريث جمال مبارك الابن السلطة مع الانتخابات الرئاسية التي كان مقرراً أن يكون موعدها في سبتمبر ٢٠١١.

(١) رانيا صالح:

Saleh, Rania (2004). Egyptian Political Cartoons: Evolution and Impact As Seen By the Cartoonists Themselves, M.A. Thesis, Department of Journalism and Mass Communication, the American University in Cairo (AUC).

ومع ارتفاع حالة التأهب والاستعداد لمعمل بخريطة التوريت، أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد اشتعلت ثورة الغضب المصرية أو ثورة ٢٥ يناير البيضاء التي ألهمت العالم والتي قضت على حكم ٣٠ عامًا لمبارك وقضت بالتالي على أي حلم في التوريت. وتصور الرسامون بأن فرشتهم قد انتصرت أخيرًا بعد صراع طويل ضد الفساد والظلم الاجتماعي وأنها قد نالها أخيرًا نسيم الحرية لتحرر من أي قيود، فرجت بالثورة وركزت على ضرورة محاكمة رموز النظام البائد وعلى رأسهم رأس النظام حسني مبارك شخصيًا، إلا أنها واجهت بعض التحديات عند تناولها بعض قضايا ما بعد الثورة كما سيتم مناقشتها لاحقًا في الفصل السادس!

فيما يلي، سيتم مناقشة أشهر القضايا الخارجية التي اهتم بها الكاريكاتير في فترة مبارك ومن ثم مناقشة القضايا الداخلية التي شغلت لب وبال الرسامين، مع الإشارة إلى أوراق التوت التي سقطت تباغًا عن نظام مبارك والتي أدت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى انفجار ثورة الغضب المصرية.

القضايا الخارجية:

سنناقش هنا أهم قضيتين على الإطلاق شغلنا الرأي العام لفترة طويلة. القضية الأولى هي قضية الصراع العربي الإسرائيلي، التي كانت دائمًا على رأس القضايا الخارجية التي تناولها الرسامون في الكاريكاتير، واهتموا بإبراز تجاوزات إسرائيل وانتهاكات حقوق المواطنين الفلسطينيين وتعتها وإصرارها على المضي قدمًا في بناء المستوطنات غير الشرعية، في ظل مساندة من الولايات المتحدة التي تكييل بمكياالين فيما يخص القضية، واستخدامها لحق الفيتو مرارًا وتكرارًا ضد مشاريع قرارات تدين إسرائيل فيما يشكل أكبر عائقًا أمام عملية السلام.

ونالت قضية غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق حطًا وفيرًا من الاهتمام الكاريكاتوري الذي تابع تحولات السياسة الأمريكية تجاه العراق من قبل غزو العراق للكويت وحتى ما بعد سقوط بغداد، والتي أثار جدلاً واسعًا في الأوساط الدولية حول مدى مشروعية الحرب على العراق وحول الأهداف الحقيقية من وراء الغزو، كما قوبلت بقلق دولي شديد عقب احتلال الولايات المتحدة للعراق وما ترتب عليه من نتائج من شأنها تهديد وحدة العراق وسيادته.

ومن الملاحظ من هذه القضيتين تبعية مصر للولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بالشأن الخارجي إلى الدرجة التي أصابت الشارع المصري بالإحباط والاستنفار خاصة فيما يتعلق بقضية حصار غزة وموقف النظام من غزو واحتلال العراق.

الصراع العربي الإسرائيلي:

تعود جذور الصراع العربي الإسرائيلي إلى وعد بلفور عام ١٩١٧، ثم قرار الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ والذي تبعه إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ والذي نتج عنه حرب ١٩٤٨ لطرد المستوطنين اليهود من فلسطين، كما تم الإشارة إليه سابقاً (يمكن الرجوع إلى "حرب فلسطين ١٩٤٨").

وعلى الرغم من الانتصار في حرب ١٩٧٣ واتفاقيات كامب ديفيد التي وضعت نهاية لحرب مصر مع إسرائيل، لم ينس المصريون سلسلة الهزائم العربية وضياع أرض وحقوق الفلسطينيين، وبالتالي تبنا القضية الفلسطينية كمشكلة خاصة بهم. ولعله السبب في أن معظم الرسوم الكاريكاتورية التي تتناول القضايا الخارجية هي عن معاناة الفلسطينيين ونضالهم من أجل إقامة دولتهم المستقلة. هذه الرسوم كما يراها الرسام عمرو عكاشة تعتبر ميزان حرارة للوكالات الإخبارية الدولية لقياس الرأي العام في مصر^(١).

ودائماً ما تزداد حدة الرسوم الكاريكاتورية ويكثر عددها تفاعلاً مع كل خبر عن انتهاكات إسرائيلية في الأراضي المحتلة أو بعد كل تصريح لمسؤولين إسرائيليين مشيراً للجدل مسيئاً ردود أفعال غاضبة. وما زال أغلب الرسامين حتى وإن رسموا لدعم عملية السلام يرون في الصهيونية التي تقوم عليها الدولة الإسرائيلية فكرة عنصرية مقلقة، كما أنهم ليس لديهم أي ثقة في أن إسرائيل تريد بالفعل إنجاح عملية السلام أو أنها تريد للفلسطينيين دولة مستقلة، وبالتالي يعتقد البعض بأن الجري وراء مساعي السلام إنما هو كالجري وراء سراب.

وبالرغم من الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة والإتحاد الأوروبي وروسيا لإنعاش عملية السلام في الشرق الأوسط، فإن النتائج لا تكون أبداً مرضية. وتم إجراء العديد من المفاوضات وتوقيع العديد من الاتفاقيات كمحاولة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط، وعلى رأسها اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ومعاهدة السلام ١٩٧٩ وعمليات السلام في أوسلو عام ١٩٩٣ وأوسلو الثانية عام ١٩٩٥ واتفاق غزة أريحا

(١) عمرو عكاشة، مقابلة شخصية، مايو ٢٠٠٣.

الكاريكاتير السياسي

عام ١٩٩٤ واتفاق وادي عربة عام ١٩٩٤ واتفاق واي ريفر عام ١٩٩٨ واتفاق واي ريفر عام ١٩٩٩. وكثيرًا ما يشار إلى اتفاقيات السلام في الكاريكاتير بشواهد القبر، في إشارة إلى عمر الاتفاقيات القصير التي ما تلبث أن تفارق الحياة بعد التوقيع عليها.



شكل ١٨١: حول مؤتمر دولي في جنيف للقضية الفلسطينية!

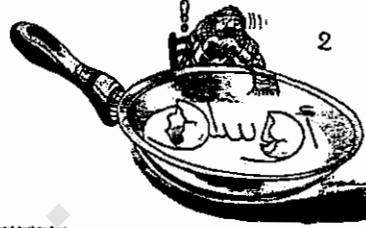
ملاك السلام يرفض استقبال "الإرهاب - الصهيونية - الخلافات العربية" ملك السلام: "ليس لكم مكان هنا"

(صباح الخير، ١٨ سبتمبر ١٩٨٦)

يقارن سعد الدين شحاتة بين وضع إسرائيل وفلسطين بعد مرور عشر سنوات على اتفاق أوسلو، فصور شخص صهيوني وقد قام بقلبي حر في الواو أو O (بيض) في OSLO، واستعد لالتهامهما، في إشارة إلى الرخاء الذي ناله من جراء الاتفاقية، في حين بقي للفلسطيني قشر البيض. نلاحظ أن شحاتة جعل في "طاسة" الصهيوني "أوسلو" باللغة الإنجليزية بينما ترك في "طاسة" الفلسطيني "أوسلو" باللغة العربية، في إشارة إلى الراعي لكل منهما، أمريكا والجامعة العربية.



10. سنوات على إتفاق أوسلو .



شكل ١٠: ١٨٢ سنوات على إتفاق أوسلو!
(الأهرام العربي، ١٨ أكتوبر ٢٠٠٣)

ويعتقد الرسام أحمد طوغان (٣ مايو ١٩٩٨) أن تعنت إسرائيل ومناوراتها حول اتفاقيات السلام هو السبب في أن فقدت عملية السلام طريقها وأصبحت تدور في حلقة مفرغة، وأكبر دليل على ذلك أن حلقات "مسلسل" تحقيق السلام في الشرق الأوسط أصبحت مكررة ومعادة وعديمة الفائدة (انظر الشكل التالي).



شكل ١٨٣: عملية السلام!
(طوغان^(١)، ٢٠٠١)

(١) أحمد طوغان، 'يوميات الكاريكاتير في قضية فلسطين (١٩٩٧ - ٢٠٠٢)', المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص: ٨٤.

الكاريكاتور السياسي

كما يرى طوغان أن سياسة إسرائيل على أرض الواقع تكشف عن عدم صدق نواياها تجاه عملية السلام. فبمناسبة تجميد اتفاق واي ريفر عام ١٩٩٨، الذي وقع عليه كل من نتياهو وباسر عرفات وبحضور كل من الملك حسين ملك الأردن والرئيس الأمريكي بيل كلينتون، والذي كان يقضي بانسحاب إسرائيل من بعض مناطق الضفة الغربية وتوطيد العلاقات الاقتصادية مع السلطة الفلسطينية، صور طوغان (١٥ نوفمبر ١٩٩٨) كل من شارون ونتياهو في هيئة أفراد من قبيلة لآكلي لحوم البشر وهما يدوران ابتهاجاً حول فتاة (رمز واي ريفر) يقومان سلقها في قدر من الماء يغلي على النار^(١)!

ويعتقد أغلب الرسامين بأن عملية السلام لم تشهد تقدماً ملحوظاً على أرض الواقع نتيجة للسياسات القمعية التي تتبناها أغلب الحكومات الإسرائيلية المتلاحقة في الفترة السابقة، والتي مارست انتهاكات وتجاوزات اتسمت بالدموية في حق الشعب الفلسطيني الأعزل. وعادة ما تشير الرسوم للتجاوزات والانتهاكات الإسرائيلية بتصوير رئيس وزراء إسرائيل أو بتصوير جندي إسرائيلي وأيديهم ملطخة بالدماء أو بتصويرهم وهم يرتكبون مذابح ضد مدنيين بدم بارد.

رسم جمعة فرحات في فترة تولي نتياهو للحكومة الإسرائيلية، أشهر رؤساء وزراء إسرائيل والمذابح التي ارتكبوها، فأشار إلى بن جوريون ومذبحة كفر قاسم، وجولدا مائير ومذبحة بحر البقر (المصرية)، ومناحم بيجن ومذبحة صبرا وشاتيلا، وإسحاق شامير ومذبحة دير ياسين، وإسحق رابين ومذبحة الأسرى المصريين، وشيمون بيريز ومذبحة قانا، وبنيامين نتياهو وفي انتظار للمذبحة التي سيرتكبها.

رؤساء وزراء إسرائيل



شكل ١٨٤: رؤساء وزراء إسرائيل!

(النصف الآخر)^(١)، ٩ نوفمبر ٢٠٠٣

(١) أحمد طوغان، المرجع السابق، ص: ١٣٧.

(٢) جيهان لطفي، جمعة فرحات: رسام الكاريكاتير مؤسسة قائمة بذاتها، "نصف الدنيا"، النصف الآخر،

٩ نوفمبر ٢٠٠٣، ص: ١٢١.

ويربط بعض الرسامين بين الانتهاكات الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني والانتهاكات النازية في حق اليهود، التي تستخدمها إسرائيل ذريعة لتبرير حقها في إقامة دولة. وبالتالي فكثيراً ما يظهر العلم الإسرائيلي أو نجمة داوود في الرسوم الكاريكاتورية وقد توسطها الصليب المعقوف رمز النازية، أو يظهر رئيس وزراء إسرائيلي وهو يصافح الزعيم النازي أدولف هتلر وهما واقفان على أنقاض مبان وجثث، في إشارة إلى أن الأسلوب الذي مارسه هتلر ضد اليهود من تمييز وتعذيب وترويع وقتل واغتصاب لممتلكاتهم هو نفسه الأسلوب الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية في حق الفلسطينيين.

رسم ناجي كامل في الأهرام (٢٣ مايو ١٩٩٨) في أربعة مشاهد تحويراً لنجمة داوود وصولاً بها لشكل الصليب المعقوف رمز النازية. كما شبه مصطفى حسين (٣ أكتوبر ٢٠٠٠) سياسات إيهود باراك في الأراضي الفلسطينية المحتلة بسياسات النازي أدولف هتلر الدموية.



شكل ١٨٥: سياسة إسرائيل في الشرق الأوسط!
(الأخبار، ٣ أكتوبر ٢٠٠٠)

وكان لرئيس الوزراء أرييل شارون نصيب الأسد من الرسوم الكاريكاتورية المناهضة لسياساته، فقد شهدت عملية السلام انتكاسة في ظل حكومته، ورجوعها مرة أخرى إلى نقطة الصفر. ولم يكتف شارون بهذا، بل أدت تصرفاته الاستفزازية والتي منها دخوله للمسجد الأقصى متحصناً بحراسه إلى إشعال الانتفاضة الثانية أو كما تسمى "انتفاضة الأقصى". كما استفز شارون العالم العربي بحصاره المفروض على الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات داخل مقره بمدينة رام الله بالضفة الغربية.

الكاريكاتير السياسي

صور طوغان شارون وهو متخصصاً بسياسات وممارسات راعية للعنصرية والإرهاب وأسلحة الدمار الشامل والمستوطنات غير الشرعية، والتي تسببت في انتكاسة عملية السلام. ويصف عبد الحليم البرجيني ببلاغة كيف وصلت معاناة الفلسطينيين في نضالهم من أجل استقلالهم إلى درجة أن الأموات يرثوا الحالم.



شكل ١٨٦: سياسة شارون وممارساته ضد عملية السلام!
(صاح الخبر، ١٨ فبراير ٢٠٠٣)



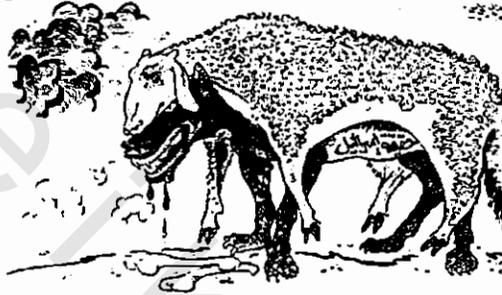
* في فلسطين .. حيث يبكي الموتى على الأحياء ! *

شكل ١٨٧: معداة الفلسطينيين!

"في فلسطين.. حيث يبكي الموتى على الأحياء!"

(كاريكاتير، ١٥ يونيو ٢٠٠١)

ومن المثير للسخرية، أنه في ظل ممارسات شارون الاستفزازية، وصفه الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في إبريل ٢٠٠٢ بـ "رجل سلام" لأخذه خطوات لإنهاء الهجمات العسكرية الإسرائيلية، مع أن شارون قد رفض طلب الرئيس الأمريكي بالانسحاب الفوري من الأراضي الفلسطينية^(١). استغز هذا الوصف الرأي العام المصري والعربي، فأهداف شارون الاستيطانية واضحة، هذا علاوة إلى اعترافه بتورطه في مجازر نخيمي صبرا وشاتيلا ومذبحة جنين وتدمير المدينة القديمة لنابلس وغيرهم^(٢). ولهذا المناسبة، رسم البرجيني إسرائيلي على هيئة ذئب متكرر في هيئة "حمل وديع".



بوش يصف شارون بأنه "رجل سلام" (١١)

شكل ١٨٨: حقيقة إسرائيل !!

بوش يصف شارون بأنه "رجل سلام" !!

(كاريكاتير، ٢ يوليو ٢٠٠٢)

ولعبت الولايات المتحدة دور الوسيط لدفع عملية السلام في المنطقة منذ اتفاقيات كامب ديفيد، في الوقت الذي لا تخفي سياستها المتحازة لإسرائيل ودعمها المالي والعسكري لها. ويعكس مصطفى حسين (انظر الشكل التالي) ذلك المفهوم في كاريكاتير يصور فيه الصراع غير متوازن بين الإسرائيلي المدجج بالسلح الأمريكي والمواطن الفلسطيني الأعزل الذي يرشق بالحجارة.

(١) بيتر سليفن ومايك ألين:

Peter Slevin & Mike Allen. (2002). Bush: Sharon A 'Man Of Peace': Israel 'Responded' To Call for Pullout. Washington Post. Retrieved January 21, 2004, from: <http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A12206-2002Apr18?language=printer>

(٢) حسن أبو طالب:

Hasan Abu Talib. (2002). Man of peace? Opinion. Al-Ahram Weekly. Issue 583. p.21.



شكل ١٨٩: صفقة أسلحة أمريكية لإسرائيل!

شارون: "إبعت كل اللي تقدر عليه يا مستر بريزيدنت عشان أقدر أواجه الإرهابي الجبار ده"
(كاريكاتور، ٣ يوليو ٢٠٠٣)

وتتعرض الولايات المتحدة الأمريكية للنقد لاستخدامها حق الفيتو لصالح الكيان الصهيوني، الذي يعكس انحيازها الأعمى لإسرائيل بصرف النظر عن المواقف التي تتبناها بقية دول العالم. وتوقع زهدي العدوي بأن سياسة أمريكا هذه في الشرق الأوسط ستؤدي حتمًا إلى اغتيال عملية السلام نهائيًا. ويكشف عمرو عكاشة، في رسوم لا تحتاج إلى تعليق، مدى نفوذ اللوبي الصهيوني وتأثيره في سياسة الولايات المتحدة الخارجية ومدى سيطرته على الفيتو الأمريكي لضمان تحقيق مصالحه. ويصف طوغان علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل بعلاقة "عم سام" بذنب ما إن استأنسه حتى انقلب ضده. ورسم عفت عن الوعود الأمريكية للشعب الفلسطيني التي لا تخرج عن كونها أوهامًا غير حقيقية.



شكل ١٩٠: خطة أمريكا لأزمة الشرق الأوسط!

(صباح الخير، ٢٣ مارس ١٩٨٩)



شكل ١٩١: علاقة الفيتو الأمريكي بالكيان الصهيوني ١!
(الرفند، ٣١ مارس ٢٠٠١)
• بدون تطبيق •



شكل ١٩٢: علاقة الفيتو الأمريكي بالكيان الصهيوني ٢!
(الرفند، ٢٠٠٣)



شكل ١٩٣: إسرائيل والعم سام!
(طوغان^(١)، ٢٠٠١)

(١) احمد طوغان، 'يوميات الكاريكاتير في قضية فلسطين (١٩٩٧ - ٢٠٠٢)', المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص: ١٠٣.



شكل ١٩٤: الوجود الأمريكية!
(النصف الآخر^(١)، ٩٠ نوفمبر ٢٠٠٣)

يعتقد بعض الرسامين أن طبيعة العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة لا تعدو عن كونها مصلحة ولا ترتقي لدرجة الصداقة بأي حال من الأحوال. كما يؤمنون بأن إسرائيل كثيراً ما تكون وراء تورط أمريكا في مشاكل عدة، لتحقيق أهداف لها. يرى إسماعيل دياب بأن إسرائيل لا تجلب غير المشاكل، وأن وجودها في المنطقة قد تسبب في ازدياد موجة العنف في الشرق الأوسط. يصور دياب (٢٠٠٢) الشرق الأوسط على هيئة قبلة تحاول إسرائيل إشعالها مع أنها هي والولايات المتحدة مقيدين بها، في إشارة إلى أن مصير إسرائيل والولايات المتحدة واحد، وبالتالي ما تتفعله إسرائيل من ممارسات ينعكس بالسلب على الولايات المتحدة.

ويعتقد بعض الرسامين بأن إسرائيل حاولت الاستفادة من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والترويج الأمريكي لحربها على الإرهاب بزج مصطلح "الإرهاب" على حركة المقاومة الإسلامية (حماس). وذهب بعض الرسامين إلى أبعد من ذلك بتساؤلهم ما إن كان لإسرائيل دور في أحداث سبتمبر، فرسم طوغان شخصاً يحمل صحيفة يتصدرها عنوان "الإرهاب يحرق أمريكا!"، ويقول لزميل له متسائلاً: "تفتكر مين اللي يقدر يعمل كده؟!!" ليرد عليه الآخر: "الله أعلم.. بس انت فاكر في عهد نيتياهو لما أمريكا زرجت شويه.. قال "إيه أمريكا دي.. ده أنا أقدر أحرقها!!!"^(٢)

وصور جورج بهجوري بأسلوبه الحديث (ينال قبولاً كبيراً في الغرب) دبلوماسية وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس وهي تقابل عدداً من السياسيين الفلسطينيين من غير أن تكشف لهم عن وجهها الحقيقي وموقفها الحقيقي من قضيتهم. يعتقد بهجوري أن

(١) جيهان لطفي، المرجع السابق، ص: ١٩٢.

(٢) أحمد طوغان، المرجع السابق، ص: ٣١٧.

لرايس أكثر من قناع، ففي الوقت الذي تقابل بابتسامه واسعة كل من الرئيس الفلسطيني محمود عباس وياسر عبد ربه ونبيل شعث، تنفذ سياسة حكومتها التي تعكس خلاف هذه الابتسامه. ومن ضمن سلسلته "خط واحد" بصحيفة "الأهرام"، رسم بهجوري متقدماً مباحثات السلام التي أقيمت في شرم الشيخ، فرسم الرئيس الفلسطيني محمود عباس "أبو مازن" ورئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو يتصافحان في حضور كل من وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلinton والمبعوث الرئاسي الأمريكي للسلام في الشرق الأوسط جورج ميتشيل، ورسم نفسه معلقاً: "السلام.. يعني يسلموا على بعض.. ويعدين مش مهم يعملوا أي حاجة!"



CONGRATULAZIA RICE: She congratulates Palestinian politicians with more than one mask on her face. She may be smiling at her husband Abbas. You're about to shake and hand shake, but she represents the outrageous politics of her government.

شكل ١٩٥: كونداليزا رايس وقناعها المزيف!
(الأهرام ويكلي، ٣-٩ يوليو ٢٠٠٣)

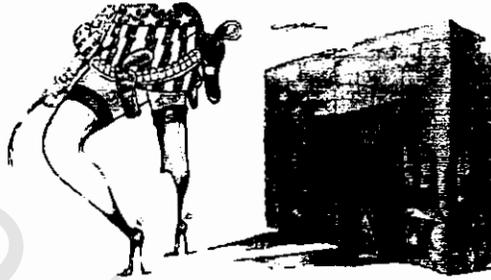


شكل ١٩٦: مباحثات السلام في شرم الشيخ!

بهجوري: "السلام.. يعني يسلموا على بعض.. ويعدين مش مهم يعملوا أي حاجة!"
(الأهرام، ٢٠ سبتمبر ٢٠١٠)

الكاريكاتير السياسي

ويلاحظ أن دور الأمم المتحدة أصبح مهمشًا وتم التقليل من شأنه بعد أن تجاهلت إسرائيل قراراتها حول فلسطين والقدس وحق العودة وحق تقرير المصير، وضربت بها عرض الحائط. وبدأ واضحًا سيطرة الولايات المتحدة على الأمم المتحدة وعلى سير قراراتها، ويتجلى هذا التصور في كاريكاتير مبدع لسعد الدين شحاته (الشكل التالي).



شكل ١٩٧: علاقة الولايات المتحدة بالأمم المتحدة!
(الأهرام الاقتصادي، ١٩٩٤)

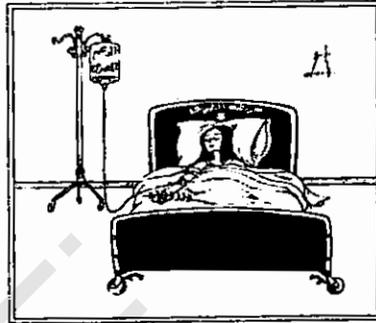
كما شبه ناجي كامل الأمم المتحدة بالعكاز المكسور الذي لا تجد "ملاك السلام" غيره لتكأ عليه.



شكل ١٩٨: الأمم للتحفة والسلام!
(الأهرام، ١١ ديسمبر ٢٠١٠)

وحاولت اللجنة الرباعية التي تشمل الولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة والإتحاد الأوروبي إحياء عملية السلام مرة أخرى بتقديم مشروع يسمى بـ "خارطة الطريق" وفيه تصور لإقامة دولة فلسطينية كاملة جنبًا إلى جنب إسرائيل بحلول عام ٢٠٠٥. كان النظام المصري من مؤيدي خريطة الطريق وشارك في إحياء عملية السلام

ياقناع الأطراف المتنازعة بالعودة مرة أخرى إلى طاولة المفاوضات. واختلف الرسامون في رؤيتهم لـ "خريطة الطريق" من بين متفائل ومؤيد لها وبين متشائم يراها ليست أكثر من مصطلح جديد لنفس "الدوامة" التي تقع فيها عملية السلام. صور ناجي كامل خريطة الطريق على هيئة امرأة (ملاك السلام) ترقد في غيبوبة وتحتاج إلى الحقن في الوريد (الدعم المصري) لإنعاشها.



شكل ١٩٩: الدعم المصري لخريطة الطريق ١

(الأهرام، ١ يناير ٢٠٠٤)

وما لبث وأن انتسم الرأي العام حول مشروع خريطة الطريق لما اعتلاه من غموض إلى الدرجة التي تم التشكيك أصلاً في وجود مثل هذا المشروع. وعكس فرج حسن هذا الإحساس، فصور خريطة الطريق على هيئة ورقة سوداء، بينما سخر أحمد عبد النعيم من الدول العربية التي وافقت على خريطة الطريق وهي لا تعلم عنها شيئاً. ورأى حسن المصري أن خريطة الطريق لا تنفع إلا أن تكون فيلم سهرة تحت عنوان "الطريق المسدود". أما تامر يوسف فقد أشار إلى شارون ويوش الابن بـ "عصابة حمادة وتوتو"، وهذا اسم لفيلم مصري كوميدي من إنتاج ١٩٨٢ وفيه الزوجان حمادة وتوتو يتجهان إلى عالم السرقة والاحتيال آخذين الظلم الذي وقع على الزوج واضطهاده في عمله ذريعة لذلك. فيرى يوسف بأن "عملية خريطة الطريق" ما هي إلا لتحقيق مصالح إسرائيلية أمريكية، الزوجان اللذان اتخذوا من حرب ١٩٦٧ ومن هجمات ١١ سبتمبر ذريعة لذلك!



شكل ٢٠٠: خريطة الطريق ١

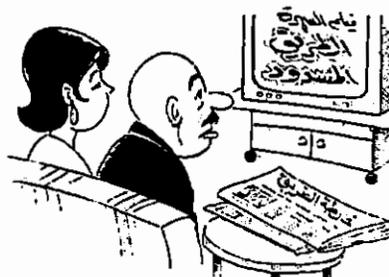
"يا حلاوة.. أخيراً يا أم سماح عرفني شكل خريطة الطريق!!"

(الأهرام، ٦ يوليو ٢٠٠٣)



شكل ٢٠١: الدول العربية وخارطة الطريق!

(السياسي المصري، ١ يونيو ٢٠٠٣)



شكل ٢٠٢: الطريق المسود!

(كاريكاتير، ٣ يوليو ٢٠٠٣)



شكل ٢٠٣: خريطة الطريق ٤!

(كاريكاتور، مايو ٢٠٠٣)

وبشكل عام، أكدت الرسوم الكاريكاتورية على ضعف موقف الحكومات العربية من قضية الصراع العربي الإسرائيلي وسيطرت الولايات المتحدة الأمريكية على رد فعل هذه الحكومات. ونقلت الرسوم الكاريكاتورية درجة استياء الشارع العربي من سياسات حكوماته، واتساع فجوة الخلافات بين الحكام العرب أنفسهم بالدرجة التي أصبحت تشغلهم في المقام الأول عن تحقيق خطوات ملموسة لصالح القضية الفلسطينية. وعبر عن ذلك شريف عرفة في كاريكاتير يصور كواليس اجتماعات الحكام العرب بشرم الشيخ التي انتهت بـ "خناقة" كبيرة وسط هتافات من أمثلة "اديله".."أيوه كده..".."يب يبب قذافي".."براحة عاجلجع"، في الوقت الذي يغادر فيه ممثل القضية الفلسطينية حزينا وفي يده "استمارة ٦"!



شكل ٢٠٤: مواقف عربية في الجامعة العربية!

حسني مبارك يمس في أذن عمرو موسى: "شرم الشيخ ماتنفعش لمؤتمرات.. المره الجاية نعمله في المدبح!" الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير قطر يحدث أحدهم بالهاتف: "الخنافة دي بتشكل تهديدًا للأمن.. لازم تعملوا قاعدة أمريكية هنا في الجامعة." "معمار القذافي رئيس ليبيا لملك السعودية: "نحن الأفارقة لا نرد على العرب أمثالك". الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية يرد: "الخيل والليل والبيداء تعرفني.. والسيف والرمح والقرطاس والقلم.. سيوني عليه..!!" "بشار الأسد يفصل بينهما: "انا إيه اللي خرجني من بيتنا النهارده؟" علي عبدالله صالح رئيس اليمن محاولاً تهدئة عاهل السعودية: "روق دمك يا حاج.. تاخذ لك حته قات تنعش مزاجك؟!"

(www.drsherif.net، ٢٤ يونيو ٢٠١٠)

ويرى عمرو سليم بأن الخلافات بين الحكام العرب صبت مباشرة في مصلحة إسرائيل. ففي جريدة "الشروق" (١٥ مايو ٢٠١١)، رسم سليم (بمناسبة الذكرى الـ ٦٣ لإعلان قيام دولة إسرائيل) الجندي الإسرائيلي يدعو ربه قائلاً: "اللهم بارك لنا في الحكام العرب.. واجعلهم ذخراً لنا على الدوام"، بينما يرمي على دعائه "عم سام".

ويدعو الحكام العرب ليسوا الوحيدين من يستكرون ويشجبون الانتهاكات الإسرائيلية في حق الفلسطينيين، فقد سبقهم إلى نادي الاحتجاج كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، حيث أصبح من السهل التنديد بالانتهاكات الإسرائيلية دون أن يكون للأقوال أي مردود على أرض الواقع. رسم طوغان (٢٤ مايو ١٩٩٨) "عم سام" متظاهراً وهو يحمل لافتة مكتوب عليها "نشج ونستكر ما يحدث في القدس"، ويقف إلى جانبه متظاهراً "جون بول" (رمز بريطانيا) يحمل لافتة مكتوب عليها "لا وألف لالسياسة نيتياهو"، وأمامهما يقف ياسر عرفات سعيداً لمساندتهما حاملاً لافتة مكتوب عليها "مرحباً بكم في معسكر الشجب والاستكار"^(١).

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد حساسية شديدة لنقد حكومة عربية بعينها في الكاريكاتير، بل إن نقد حاكم لأي دولة عربية يعتبر من المحذورات غير المكتوبة إلا إذا جاء متماشياً مع الموقف الرسمي المصري، كما حدث وأشرنا سابقاً عندما تم نقد الرئيس معمر القذافي وياسر عرفات لإبداء سرورهما لاغتيال السادات.

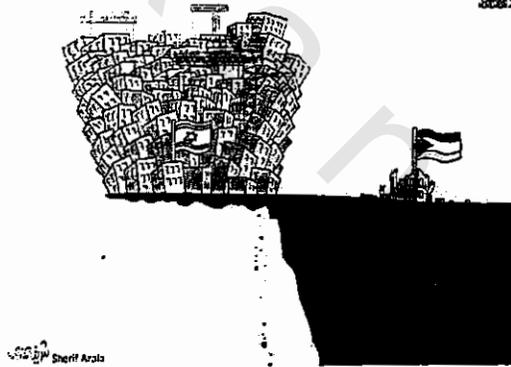
واتجهت الرسوم إلى تناول الخلافات العربية بشكل عام وانعكاس هذه الخلافات على مسار القضية الفلسطينية، في حين ندرت الرسوم التي تشير إلى الحكومات العربية التي

(١) أحمد طوغان، المرجع السابق، ص: ٩٩.

تمارس تطبيعًا كاملاً أو شبه كامل مع إسرائيل، في ظل تعميم إعلامي عن طبيعة وحجم الاستثمارات الإسرائيلية داخل البلاد العربية، ولعل أهم سبب وراء هذا التعميم هو رفض قطاع كبير من الشعوب العربية بشكل عام والشعب المصري بشكل خاص التطبيع مع إسرائيل في ظل ممارساتها القمعية ضد الفلسطينيين واعتبار التطبيع خيانة للقضية.

وتعقيباً على دعوة قطر الصادمة عربياً لإسرائيل لحضور مؤتمر اقتصادي انعقد في عاصمتها الدوحة، رسم طوغان (٧ نوفمبر ١٩٩٧) أمير قطر وهو يجاهد الدول العربية بالهاتف محاولاً إقناعهم بالحضور قائلاً: "بانتظاركم...ياها لا فيكم...لا تشمتوا فينا الأعداء!"، وهو ينظر إلى لافتة معلقة بالمطار مكتوب عليها "مرحباً بالأخوة الإسرائيليين الأشقاء"^(١).

وركزت الرسوم على المستوطنات اليهودية بالأراضي المحتلة التي تعتبر خرقاً وتحدياً سافراً للقانون الدولي، والتي تبنى على أطلال البيوت الفلسطينية على مشهد ومسمع من المجتمع الدولي. في الكاريكاتير التالي، يقارن شريف عرفة بين الأراضي الفلسطينية والمستوطنات الإسرائيلية من حيث الشرعية.



شكل ٢٠٥: شرعية المستوطنات الإسرائيلية!
(www.drsherif.net، ١٥ مايو ٢٠١١)

كما أدانت الرسوم جدار الفصل العنصري الإسرائيلي، والذي تم إداثته أيضاً من قبل الأمم المتحدة التي طالبت بإزالته، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية (كالعادة) صوتت ضد هذه التوصية. ومن الجدير بالذكر أن الجدار يبلغ طوله (حال اكتماله) ٧٣٠ كم ويصل

(١) أحمد طوغان، المرجع السابق، ص: ٦٧.

الكاريكاتير السياسي

ارتفاعه إلى حوالي ٨ متر ولم يتم بناؤه على طول الخط الأخضر الذي أقرته الأمم المتحدة بل توسع ليشمل مساحات شاسعة من الضفة الغربية^(١).

وفي محاضرة له بجامعة أكسفورد بمناسبة أسبوع الفصل العنصري الإسرائيلي، تحدث مصطفى البرغوثي، الأمين العام لحركة المبادرة الوطنية الفلسطينية والمرشح السابق لرئاسة الحكومة الفلسطينية، عن كارثة جدار الفصل العنصري الذي يجسد انتهاكاً حقيقياً لحقوق الإنسان وكأن الحواجز ونقط التفطيش التي تنتشر في كل الأرجاء غير كافية لحرمان الفلسطينيين من حرية الحركة والانتقال. وسخر البرغوثي من الإعلام الغربي خاصة الأمريكي الذي يشير إلى الجدار بكلمة "fence" وهي كلمة رقيقة تعني الحواجز التي تبنى حول الحدائق والتي كثيرا ما تكون جميلة المنظر، ولكن لا مقارنة بين هذه التسمية وجدار الفصل العنصري الذي فاق حائط برلين الشهير طولاً وعرضاً وحاصر مئات الآف الفلسطينيين. وقدم البرغوثي العديد من المقارقات بالصور بين كيف يعيش المستوطن اليهودي وكيف يعيش الفلسطيني خاصة بعد أن حجب الجدار الرؤية عنه فأصبح هو كل ما يراه أمامه^(٢).

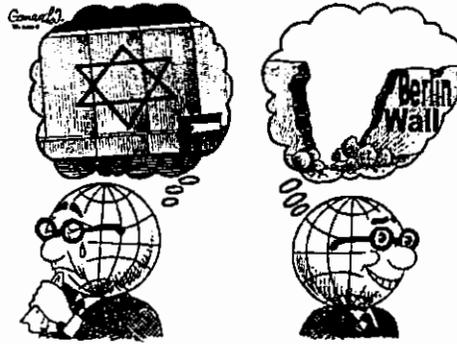
والكارثة أن الجدار لم يعزل فقط الفلسطينيين عن الإسرائيليين بل عزل الفلسطينيين عن بعضهم البعض. فقد شطر الجدار بعض المنازل إلى نصفين، وفرق بين العديد من العائلات. وتجاوز الأمر أن منع بعض السكان المجاورين للجدار من الصعود إلى سطوح منازلهم إلا بتصريح أمني مسبقاً!! والمثير للدهشة أن محكمة العدل الدولية بلاهاي في يوليو ٢٠٠٤ قد أدانت إسرائيل وأقرت بعدم مشروعيتها بإقامة الجدار وبالتالي طالبت بإزالته وإعادة الأرض لأصحابها. وذهب قرار المحكمة مع مهب الريح ليبقى جدار الفصل العنصري دليلاً مادياً آخرًا للعنصرية الإسرائيلية وانتهاكات حقوق الإنسان والقوانين الدولية^(٣).

(١) مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، دراسات وتقارير الزيتونة، 'جدار الفصل العنصري: حقائق وصور وأرقام'، ١ من ابريل ٢٠٠٧، تم الاطلاع في ١٤ يوليو ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني: <http://www.alzaytouna.net/arabic/?c=200&a=32288>

(٢) رانيا صالح، البرغوثي: إسرائيل تخطط لخريطة عارية من فلسطين، 'محيط: شبكة الإعلام العربية'، ١٧ مايو ٢٠٠٥، تم الاطلاع في ١٤ يوليو، ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=125002

(٣) رانيا صالح، المرجع السابق.



شكل ٢٠٦: جدار الفصل العنصري!
(الأهرام ويكلي، ١٢-١٨ نوفمبر ٢٠٠٩)

ويحمل المصريون الولايات المتحدة الأمريكية مسؤولية التعسف والتعنّت الإسرائيلي تجاه عملية السلام وفي التجاوزات الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني، ويرون أنها السبب وراء تأخر إعلان دولة فلسطين. وعبر العديد من المصريين عن سخطهم هذا بالانضمام إلى حملات مقاطعة للمنتجات والبضائع الأمريكية التي لاقت قبولاً خاصة في أوقات ازدياد حدة الصراع العربي الإسرائيلي.

وتتشتر دعوات المقاطعة في شكل ملصقات بلشارع أو منشورات تتوزع باليد أو في شكل رسائل بريد إلكترونية والتي تشمل عادة قائمة بأسماء منتجات تعتبر رمزاً للإمبريالية الأمريكية وعلى رأسها المشروبات الغازية مثل كوكاكولا وسلسلة المطاعم الشهيرة ماكدونالدز. وقد أشارت عدة أبحاث على تأثير تلك المقاطعات على نسبة المبيعات لبعض هذه المنتجات والتي انخفضت وبشكل ملحوظ، إلا أنها في نفس الوقت قد نجحت وبشكل كبير في زيادة مبيعات بعض المنتجات المنافسة، إلا لم تكن لشركات أمريكية أخرى لم تتضمنها المقاطعة فلشركات أوروبية حليفة للولايات المتحدة وتبنى نفس سياساتها. ويرى بعض المناهضين لحملات المقاطعة بأنها تضر بمصالح العديد من الوكلاء المصريين وتعرض العمالة المصرية لخطر البطالة خاصة وأن سلسلة مطاعم الوجبات الأمريكية في مصر على سبيل المثال هي لإدارات مصرية ومعظمها يشغرها بنسبة ١٠٠٪ عمالة مصرية.

لم تتحمس الرسوم الكاريكاتورية كثيراً لدعوات المقاطعة، بل سخرت من الواقع المؤلم الذي يكشف عن حجم اعتمادنا في حياتنا اليومية على المنتجات الأجنبية خاصة الأمريكية. وعبر بعض الرسامين عن سطحية المقاطعات، وتمنون لو تم توجيه الطاقات نحو التفوق الصناعي لإيجاد بديل محلي مماثل على الأقل في الجودة للمنتج المستورد وبأسعار

مناسبة. فقد تحولت مصر مع الوقت إلى سوق للسلع المستوردة التي للأسف تفوق المنتج المصري جودة وبأسعار منسبة.

رسم شريف عرفة أحد المواطنين وهو يكتب تحت لافتة "السفارة الأمريكية" عربية ١٠٠٪، في إشارة إلى سلسلة إعلانات شركة "أمريكانا" التلفزيونية في ذلك الوقت التي أضافت إلى اسمها "عربية ١٠٠٪" لتقليل من أضرار المقاطعة!! وفي كاريكاتير آخر يستغرب عرفة لمبدأ المقاطعة قبل طرح بدائل، فرسم شخص في الصحراء يلهث بشدة من العطش ولكنه يرفض بحجة المقاطعة أن يشرب زجاجة "كوكاكولا" قدمها له أحد البدو لإنقاذه.



شكل ٢٠٧: المقاطعة!

(www.drsherif.net، ٢٠٠٢)



شكل ٢٠٨: المقاطعة!

(www.drsherif.net، ٢٥ يونيو ٢٠١٠)

واعتبر الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات رمزاً للمقاومة الفلسطينية في الكاريكاتير حتى إعلان وفاته رسمياً في ١١ نوفمبر ٢٠٠٤. ثم ما لبث أن حل المواطن

الفلسطيني البسيط الذي يرتدي "الغتر" والعقال أو الكوفية الفلسطينية المميزة بخطوطها كرمز للمقاومة الفلسطينية، بينما يشار لمشاهير الشخصيات الفلسطينية الحالية وعلى رأسها الرئيس الفلسطيني محمود عباس كرمز للسياسة الفلسطينية! في الشكل التالي، بورترتها كاريكاتوريًا لياسر عرفات بريشة تامر يوسف.



شكل ٢٠٩: ياسر عرفات!
(تامر يوسف، ٢٠٠٤)

وفي كاريكاتير لأسامة قاسم بصحيفة "الأهرام ويكلي"، ياسر عرفات محلقة بجناحيه إلى أعلى بعد أن تم كسر القيود التي كانت حول قدميه، وينظر بغضب إلى مجموعة من الجنود الإسرائيليين محدثًا نفسه قائلاً: "الحرية أخيراً".



شكل ٢١٠: وفاة ياسر عرفات!
(الأهرام ويكلي، ١١-١٧ نوفمبر ٢٠٠٤)

وما لبث أن طفحت الخلافات بين الفصائل الفلسطينية على السطح، والتي وصلت قمتها مع انتخابات عام ٢٠٠٦ التي شاركت فيها ولأول مرة "حماس" لتفوز بأغلبية الأصوات بها شكل مفاجأة لعدد من المراقبين بها فيهم حماس شخصيًا.

يرى الكاتب الأمريكي والمحلل العسكري مارك بيرى بأن فوز حماس وقع بمثابة الصاعقة على مسامعي إدارة جورج بوش الابن والتي مارست ضغوطاً على الرئيس الفلسطيني محمود عباس لرفض أي مشاركة لحماس وهددت بحجب التمويل الأمريكي عن فتح إذا تمت أي محادثات وحدة وطنية، الأمر الذي أوشك أن يشعل الحرب بين الحركتين^(١).

وتدخلت الوساطة العربية لتوحيد الصف وتوقيع المصالحة الفلسطينية بين حركتي حماس وفتح واللتين شهدتا موجات من العنف راح ضحيتها أعضاء من الطرفين وأبرياء، لیتهي المطاف بوضع حماس يدها على قطاع غزة، بينما تقع الضفة الغربية تحت حكم فتح.

وأسفرت اتفاقية مكة (تحت رعاية سعودية) عام ٢٠٠٧ عن تشكيل حكومة وحدة وطنية (لم تعش طويلاً)، التي لم تعجب بوش فأصدر قراراً يقضي بتمويل وكالة المخابرات المركزية (سي أي أيه) أي حركة معارضة تهدف لخلع قادة حماس في غزة، وانطلقت مبادرة التمويل الأمريكية من مصر وتدفقت ملايين الدولارات لتحقيق أمن فتح لمواجهة حماس في قطاع غزة. قوبلت هذه المبادرة بخيبة أمل كبيرة لعدد من الضباط الأمريكيين المعينين بتدريب الأجهزة الأمنية الفلسطينية، ولعدد من المسؤولين الإسرائيليين الذين رفضوا تقديم أسلحة ثقيلة للمليشيات الفلسطينية التي تمولها السي أي أيه لزعيمهم بأن حركة فتح ليس لديها مصداقية كافية من الناحية السياسية لتكسب دعم الشعب الفلسطيني^(٢).

وتوالى الرسوم الكاريكاتورية التي بدلاً من أن تناول الصراع الفلسطيني ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي، أصبحت تناول الصراع الفلسطيني تحت قبضة كل من حركتي فتح وحماس وفصائل أخرى، بما يشكل تهديداً حقيقياً لضیاع وإضعاف القضية الفلسطينية. وأعرب العديد من الرسامين على أن لغة الحوار التي اتسمت بها الفصائل الفلسطينية أصبحت لغة التهديد واستعراض قوة (انظر الرسوم التالية). ورسم مصطفى حسين بصحيفة "الأخبار" (٢٤ فبراير ٢٠١٠)، القضية الفلسطينية على هيئة امرأة تقدم على الانتحار، تحمل في إحدى يديها سكيناً رمزاً لفتح وفي اليد الأخرى سكيناً آخر رمزاً لحماس.

(١) مارك بيرى:

Mark Perry. (2010). Talking to Terrorists: Why America must engage with its enemies. United States: Basic Books. P 134-135

(٢) مارك بيرى. المرجع السابق، ص: ١٣٥.



شكل ٢١١: حوار الفضائل الفلسطينية!
(الأخبار، ٢٤ فبراير ٢٠١٠)

• ما لا نريده في حوار الفضائل •



www.DrSherif.Net

شكل ٢١٢: ما لا نريده في حوار الفضائل!
(www.drsherif.net، ٢٥ يونيو ٢٠١٠)

وقد شهدت هذه الفترة العديد من المظاهرات المنددة بممارسات الاحتلال الإسرائيلي وسط غياب رد عربي مناسب، والمنددة بالدور المصري في غزة. واتسمت إحدى المظاهرات المنددة بضرب غزة عام ٢٠٠٥ بحدة الشعارات ضد نظام مبارك، كما رصدها الناشط الصحفي وائل عباس على مدونته "الوعي المصري"^(١)، ومنها "حولوا غزة سجن كبير بمباركة..حكام طراطير"، و"قولوا لحكام مصر وسوريا..أمريكا بتخاف من كوريا..علشان كوريا معاها سلاح..مش بتفاوض مع سفاح"، و"حسني مبارك هو شارون..نفس الشكل ونفس اللون"، و"شارون عمك سجن يا غزة..ومبارك قفل الرزة"، و"لا لتحويل الأمن المصري إلى كلب حراسة لإسرائيل".

(١) وائل عباس، مظاهرة ضد الدور المصري في غزة، "الوعي المصري"، ٢٦ أغسطس ٢٠٠٥، تم الاطلاع في ١٠ يونيو ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

http://misrdigital.blogspot.com/files/coverage/ageg_gazza.htm

وما أن فازت حماس في الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٦، حتى ضيقت إسرائيل الخناق على قطاع غزة، ثم فرضت حصاراً هائلاً بعد أن أحكمت حماس سيطرتها على القطاع عام ٢٠٠٧. وتحول قطاع غزة إلى سجن كبير لا يسمح للمواطنين الفلسطينيين بالخروج منه سواء بحراً أو براً للترود بما يسد به جوعهم وبما يكفي احتياجاتهم الأساسية، حيث منع الصيد في عمق البحر، وأغلقت جميع المعابر السبعة البرية إلى أجل غير مسمى بما فيها معبر رفح، الذي هو تحت السيطرة الفلسطينية المصرية، والذي تستطيع إسرائيل إغلاقه "متذرة ببند في اتفاقية المعابر لا يسمح بفتح المعبر إلا في وجود البعثة الأوروبية"^(١)!

لم تكف إسرائيل بالحصار البري والبحري على قطاع غزة، بل دمرت على مراحل مطارها الدولي والوحيد لتزيد من قبضة حصارها الاقتصادي على القطاع. وبعد أن اشتدت الاشتباكات بين إسرائيل وحماس، تم الوصول إلى تسوية بوساطة مصرية في يونيو ٢٠٠٨ أدت إلى هدوء الأوضاع بين الجانبين لعدة شهور. إلا أنه في ٤ نوفمبر ٢٠٠٨، قامت إسرائيل بخرق اتفاقية التهدئة بشنها غارة أودت بحياة ستة من المسلحين التابعين لحركة حماس^(٢). وعليه أعلن الجناح العسكري لحماس رسمياً إنهاء الهدنة مع إسرائيل، وهدد الجناح العسكري لعز الدين القسام بالرد بقوة على أي هجمات إسرائيلية تستهدف قطاع غزة، ونادى المجتمع الدولي وبما فيهم مصر الطرفين (إسرائيل وحماس) بضبط النفس^(٣).

ردت حركتي حماس والجهاد الإسلامي على الغارة الإسرائيلية بإطلاق أكثر من ١٣٠ صاروخ وقذيفة هاون. ويبدو أن هذا بالضبط ما كانت تحتاجه إسرائيل، ففي الوقت الذي كانت حماس والفصائل الفلسطينية تطورها بالصواريخ العشوائية، كانت إسرائيل تتخذ من هذا ذريعة أمام المجتمع الدولي (بما فيه الدول العربية) ومجلس الأمن لشرح

(١) الجزيرة نت، معابر قطاع غزة: ستة تحت سيطرة إسرائيلية وواحد خارجها، ٢ فبراير ٢٠٠٨، تم الاطلاع في ١٧ يوليو ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:
<http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?Archived=1081795>

(٢) روري مكارثي:
Rory McCarthy. (November 5, 2008). Gaza truce broken as Israeli raid kills six Hamas gunmen. The Guardian. Retrieved July 18, 2011 from:
<http://www.guardian.co.uk/world/2008/nov/05/israelandthepalestinians>

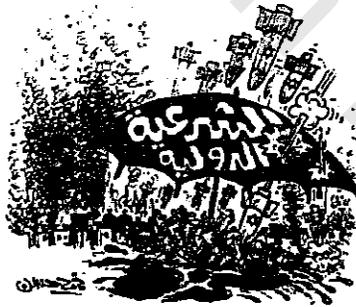
(٣) وكالة الأنباء الفرنسية:
Tension surges in Gaza as truce ends. (Dec18, 2008). AFP. Retrieved July 17, 2011 from:
<http://www.google.com/hostednews/afp/article/ALeqM5g-VyeldvnRafeEqA-PUIwiImwDafA>

موقفها وللترويج لحقها في الدفاع عن نفسها ضد صواريخ حماس، لتحصل على شرعية للعملية التي تنوي تنفيذها بدعوى القضاء على حماس في غزة، وفيما يبدو أنها تلقت ردود أفعال مطمئنة.

وبالفعل شنت إسرائيل في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ حربها على غزة في شكل غارات متواصلة حتى ١٨ يناير ليسقط ما يزيد عن ١٤٠٠ شهيد وآلاف الجرحى أغلبهم من المدنيين، ليتحول القطاع إلى مأساة انسانية، في وسط ذهول وغضب من شعوب العالم، وتحاذل من حكومات المجتمع الدولي!

واشتعلت المظاهرات الشعبية في عدد كبير من العواصم العربية تندد بانتهاكات إسرائيل ضد القطاع، وتساءلت صحيفة "الجارديان" في عددها الصادر في ٤ يناير ٢٠٠٩^(١) عن سبب حرب إسرائيل على غزة، في مقالة لمراسلها من القدس، كريس ماكجريل، الذي كتب عن إستراتيجية إسرائيل الخفية لإقناع العالم بعدالة قضيتها في معركتها مع "العدو"، إسوة بما فعلته الولايات المتحدة حين أرادت إضفاء شرعية على حربها على "الإرهاب"، وكانت العملية الدبلوماسية الإسرائيلية هي بالفعل على قدم وساق لتبرير الحرب على غزة وبالتالي التغاضي عن نتائجها الباهظة من الأرواح البريئة^(٢).

رسم فرج حسن "الشرعية الدولية" على هيئة شمسية مكنت الصواريخ الإسرائيلية من اختراقها وقتل الأبرياء في غزة. كما رسم في كاريكاتير آخر عينين آدمية تبكي لغزة وتبكي من "الشرعية الدولية".



شكل ٢١٣: الشرعية الدولية!

(الأهرام، ١ يناير ٢٠٠٩)

(١) كريس ماكجريل:

Chris McGreal. Why Israel went to war in Gaza. The Observer. The Guardian, (January 04, 2009). Retrieved July 22, 2011, from:

<http://www.guardian.co.uk/world/2009/jan/04/israel-gaza-hamas-hidden-agenda>

(٢) كريس ماكجريل، المرجع السابق.



شكل ٢١٤: غزة والشرعية الدولية!
(الأهرام، ١٥ يناير ٢٠٠٩)

وأكثر ما أثار استياء الرسامين هو موقف المجتمع الدولي المتخاذل من حرب إسرائيل على غزة، فرسم جلال عمران (انظر الشكل التالي) نمراً متوحشاً (إسرائيل) يقوم بذبح حمامة السلام أمام اندهاش رجل رأسه على هيئة كرة أرضية (المجتمع الدولي) الذي لم يتحرك ساكناً!



شكل ٢١٥: المجتمع الدولي وغزة!
(الأهرام، ٥ يناير ٢٠٠٩)

كما كان أكثر ما استفز الرسامين هو سقوط عدد كبير من الأطفال قتلى نتيجة للغارات. رسم أسامة قاسم طفلة تجلس في بركة من الدم لا يستطيع عقلها الصغير أن يعي سبب كل ما تمر به.



شكل ٢١٦: أطفال غزة!
(الأهرام ويكلي، ٢٢-٢٨ يناير ٢٠٠٩)

ووفقاً لما كجريل، فقد زعمت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسبيبي ليقني بأن العدوان الإسرائيلي على غزة إنما يصب بالدرجة الأولى في مصلحة الفلسطينيين، فهو سيساعدهم على تحريرهم من قبضة حماس. كما لعبت إسرائيل على وتر بأن أطراف عديدة في العالمين العربي والإسلامي ينظر لحماس على أنها متطرفة. وروجت إسرائيل بأن حماس مع إيران وحزب الله، يمثلون محور الشر للأصولية الإسلامية، لتضمن أن ينظر إلى الحرب، ليس من باب الاحتلال ولكن من باب نضال الغرب ضد الإرهاب والمواجهة مع إيران (١).

رسم سعد الدين كيف أن بعض المفاهيم والمصطلحات المتعارف عليها ينعكس معناها عندما يتعامل معها الأوروبيون، "فالمعتدى عليه" يصبح "المعتدي"، و"المعتدي" يصبح "المعتدى عليه"، كما أن "القاتل" يصبح "القتيل"، و"القتيل" يصبح "القاتل".



شكل ٢١٧: مفاهيم أوروبية ديمقراطية تنويرية متحضرة! (الأهرام، ٢٥ يناير ٢٠٠٩)

ويؤمن الرسامون بأنه لولا تأييد أمريكا لما جرات إسرائيل على انتهاك قوانين حقوق الإنسان بقتلها الأبرياء على مشهد ومسمع من الإعلام الدولي. وبالتالي أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تصور في الكاريكاتير أحياناً على أنها شريك في الحرب. عبر ناجي كامل عن موقف أمريكا من ضرب غزة، فرسم كنغر (أمريكا) على وجهه ملامح الرضا وهو يحمل في جيبه جندي إسرائيلي يصوب رشاشته نحو غزة.

(١) كريس ماكجريل، الرجوع السابق.



شكل ٢١٨: أمريكا والحرب على غزة!

"أمريكا تعتبر عمليات إسرائيل في غزة دفاعاً عن النفس"

(الأهرام، ١١ يناير ٢٠٠٩)

ووقفت الأمم المتحدة كالعادة عاجزة عن تقديم أي رد فعل مناسب لردع إسرائيل وإجبارها على وقف عدوانها على غزة، في وسط استياء شعبي كبير.

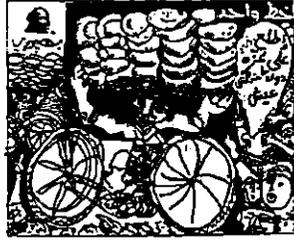


شكل ٢١٩: موقف الأمم المتحدة من حرب إسرائيل على غزة!

الأمم المتحدة: "فوتي بكرة"

(الأهرام، ٦ يناير ٢٠٠٩)

ولقد أثارت زيارة ليفني لمبارك قبل ضرب غزة بأقل من ٤٨ ساعة الكثير من الشكوك حول ما إذا كانت ليفني قد أعلنت مبارك بموعد الضرب أم لا، كما أثارت تصريحات ليفني في القاهرة وتهديداتها العسكرية لحماس حفيظة المصريين ضدها وضد وزير الخارجية المصري وقتها أحمد أبو الغيط. كما اندلعت المظاهرات الشعبية تندد بضرب غزة وتندد بموقف النظام المصري المتخاذل تجاه القطاع وإصراره الغير مبرر على إبقاء معبر رفح مغلقاً. صور جورج بهجوري الدعم الشعبي المصري لسكان غزة، فرسم جموع الشعب (من ضمنهم هو) تطلب من باتشي "العيش" أن يذهبوا به إلى غزة لأن أهالي القطاع في حاجة إليه.



شكل ٢٢٠: العيش وغزة!

(الأهرام، ١٢ يناير ٢٠٠٩)

يعتقد أستاذ القانون الدولي عبد الله الأشعل بأن مصر قد فقدت تأثيرها لدى إسرائيل وفي المنطقة بفقدان دورها الإقليمي بعد أن تراجعت إلى الظل باختيارها بحجة أنها قد أرهقت من المواجهة مع إسرائيل، وأنها قد قدمت ما يكفي من توضيحات للقضية الفلسطينية. فقد تسببت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ في تحقيق هدف عزلة مصر عن محيطها العربي، لتزول العقبة الكبرى (قيادة مصر للمشروع العربي) أمام لتوسع الصهيوني، ولتأخذ مصر مبارك بعداً أخطر بتحويلها إلى مركز التابع، ليس هذا بحسب، بل لتحويلها إلى القيام بأدوار من شأنها أن تخدم المشروع الصهيوني، يدخل في هذا السياق على سبيل المثال اتفاق تصدير الغاز المصري لإسرائيل واتفاق الكويز وغيرهما^(١).

وكشفت الحرب على غزة عن عمق الانقسام العربي وضعف موقفه، وبدا الموقف لمصري "الأكثر ارتباكاً" والأقرب للموافقة على معاقبة حكومة حماس، شأنه شأن الموقف لسعودي والإماراتي والكويتي، بينما جاء موقف الأردن الأقرب لحماس. في الوقت الذي شهد حضور قوي ملموس للدور التركي كوسيط بين الأطراف العربية الرسمية من ناحية والفلسطينيين والإسرائيليين من ناحية أخرى. كما عسكت الحرب على غزة عن عمق لانقسام الفلسطيني، فسرعان ما أظهرت سلطة رام الله شهامة في حكومة حماس، وبدا وكأنها تنتظر سقوطها، لتعود سيطرتها على قطاع غزة^(٢).

(١) عبد الله الأشعل، الدور المصري في أحداث غزة وتدعيته ومستقبله، مركز الجزيرة للدراسات - قسم البحوث والدراسات، الحرب على غزة.. الأبعاد والدلالات، ٧ يناير ٢٠٠٩، تم الاطلاع في ١٠ يوليو، ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/EE3E1A47-DD43-48E3-A4A8-A24BFC9B7C8A.htm>

(٢) بشير نافع، حرب أخرى يمكن أن تنتهي بإخفاق إسرائيل، مركز الجزيرة للدراسات - قسم البحوث والدراسات، الحرب على غزة.. الأبعاد والدلالات، ٧ يناير ٢٠٠٩، تم الاطلاع في ١٠ يوليو، ٢٠١١ من الموقع الإلكتروني:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/7A2F16A6-7293-4591-932C-3FE81501F8A3.htm>



شكل ٢٢١: الشجب العربي!
(الأهرام، ١١ يناير ٢٠٠٩)



شكل ٢٢٢ الوساطة التركية!

"فوج من الممرضات التركيات يطير إلى تل أبيب ثم غزه.. ويعود بعشرات المصابين للعلاج في تركيا..."
مواطن: "أهوده أجمل مسلسل تركي"

(الأهرام، ١٥ يناير ٢٠٠٩)

ويعمل العديد من النشطاء في جميع أنحاء العالم على كسر الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة. وفي ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨، نجح ٤٤ من المتضامنين على متن السفيتين "غزة الحرة" و"الحرية" في كسر الحصار لأول مرة منذ فرضه بعد سيطرة حماس على القطاع في يونيو عام ٢٠٠٧^(١).

وتحركت في ١٩ يونيو ٢٠١٠ من تركيا قافلة بحرية من ثلاث سفن، ضمن أسطول بحري يضم تسع سفن (سفيتين من بريطانيا، وسفينة من كل من اليونان وأيرلندا والجزائر

(١) كفاح زبون، سفينتا "غزة الحرة" و"الحرية" تتجهان في كسر حصار غزة، "الشرق الأوسط"، ٢٤ أغسطس ٢٠٠٨، تم الاطلاع في ١٧ يوليو ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:
<http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=10852&article=484004&feature=/details.asp>

والكويت)، أطلق عليه "أسطول الحرية لغزة"، في طريقه للقطاع لفك الحصار بالرغم من التهديدات الإسرائيلية بأنها لن تسمح للأسطول بالوصول إلى هدفه^(١).

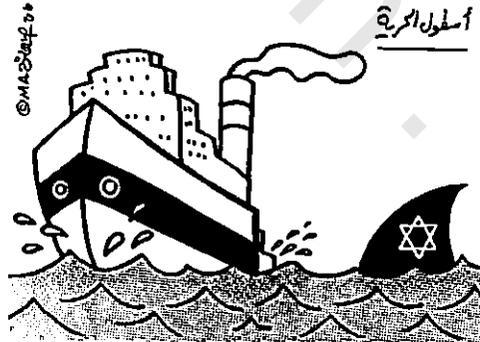
وبالفعل نفذت إسرائيل تهديدها وهجمت على القافلة في عرض البحر من قبل قوات كوماندوز، استخدمت فيه الرصاص الحي والغاز، لتقتل تسعة نشطاء من الأتراك، وتجرح العشرات. عصفت بإسرائيل تنديدات دولية أثارت جراء اعتدائها الدامي، وأجمع المجتمع الدولي، بما فيه الأمم المتحدة، على ضرورة تشكيل لجنة تحقيق دولية للوقوف على ما حدث. وصورت الرسوم الكاريكاتورية الهجوم الإسرائيلي على الأسطول البحري بالبلطجة والقرصنة.



شكل ٢٢٣: أسطول الحرية!

الجندي الإسرائيلي: "الدكر اللي فيكي يطلعلي يا منطقة!"

(المصري اليوم، ١ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٢٢٤: أسطول الحرية ١٢

(المصري اليوم، ٢ يونيو ٢٠١٠)

(١) سي إن إن بالعربية، أسطول "الحرية" ينطلق إلى غزة رغم تهديدات إسرائيلية، الشرق الأوسط، ٢٢ يونيو ٢٠١٠، تم الاطلاع عليه من على الموقع الإلكتروني:

http://arabic.cnn.com/2010/middle_east/5/22/free.gaza/index.html

الكاريكاتير السياسي

وفي محاولة لامتناع الغضب الدولي، شكلت إسرائيل لجنة تقصي حقائق داخلية "تيركيل"، التي بعد ما يقرب من خمس شهور من العمل اتهمت إلى أن "المهجوم كان اضطرارياً وشرعياً في دفاع إسرائيل عن نفسها وليس فيه خرق للقانون الدولي". بينما توصل تقرير لجنة التحقيق التي شكلت من قبل تركيا إلى أن إسرائيل قد انتهكت القانون الدولي بحصارها المفروض على قطاع غزة وهجومها على قافلة المعونات الإنسانية، وبالتالي طالبت تركيا إسرائيل بالاعتذار عن الهجوم والتعويض عن الخسائر^(١).

وقد انتقدت حنين زعبي، عضو الكنيست عن حزب التجمع الوطني، والتي كانت من المشاركين في أسطول الحرية وعلى متن سفينة "مرمرة" وقت الهجوم، تقرير "تيركيل" وأعربت أنه "بالكاد الشهادة الإسرائيلية الرسمية لمن قرر مهاجمة سفينة مرمرة وخطف ٦٠٠ ناشط سياسي من قلب المياه الدولية، ولمن أعطى الضوء الأخضر لقتل ٩ نشطاء سياسيين تتراوح أعمارهم بين ١٩ و ٦٥ سنة". كما ترى زعبي بأن تقرير اللجنة لم يبت في تفاصيل مقتل التسعة نشطاء وهو الدافع الأول للمطالبة التركية والعالمية بتشكيل لجنة تحقيق^(٢)! ولقد سخرت دعاء العدل في كاريكاتير من فكرة تشكيل إسرائيل للجنة تحقيق، فكيف يكون الجلاد هو القاضي في نفس الوقت!

♦ إسرائيل تحقق مع نفسها ♦



شكل ٢٢٥: إسرائيل تحقق مع نفسها!

جندي إسرائيلي: "عيب كده ياواد ياخلبوص!!"

(المصري اليوم، ١٢ يونيو ٢٠١٠)

(١) نظير مجلي، لجنة التحقيق الإسرائيلية تبرى الجيش من الاعتداء على سفينة "مرمرة". وسط ذهول تركي، الشرق الأوسط، ٢٤ يناير ٢٠١١، تم الاطلاع في ٨ يوليو، ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<http://www.aawsat.com/details.asp?section=٤&issueno=11745&article=605150&feature=>

(٢) نظير مجلي، المرجع السابق.

وطبعا نالت الحكومات العربية وموقفها المتخاذل والمتوقع نصيباً من سهام رسامي الكاريكاتير.



شكل ٢٢٦: إسرائيل تضرب قافلة الحرية!

حاكم عربي: "كل مرة نستنكر وبعدين ندين ونشجب وما فيش حاجة بتحصل .. المرة دي لازم نغير الخطة ! نشجب في الأول وبعدين نستنكر و ندين براحتنا!"
 (المصري اليوم، ٢ يونيو ٢٠١٠)

وبسبب رسوماتهم اللاذعة، اتهم عدد من الرسامين المصريين من قبل إسرائيل بـ "معاداتهم السامية"، المصطلح الذي أستخدم في الأصل للتعبير عن الكراهية لليهود، والذي فيما يبدو تتخذه إسرائيل لإخراص الأصوات التي تتكلم ضد سياساتها أو ممارساتها، وقد تم إلقاء الضوء على هذه الجزئية في الفصل التالي.

غزو العراق:

غيرت أحداث ١١ سبتمبر سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وكانت الذريعة الرئيسية للدعاية الأمريكية لحملتها العسكرية للقضاء على "الإرهاب"، والتي كان بديها أن تبدأ من معقل الإرهاب في أفغانستان بعد أن أعلن تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن مسؤوليته عن الأحداث.

وفي أعقاب هجمات سبتمبر، انتشر عدد من نظريات المؤامرة في الشارع العربي بشكل عام، وفي الشارع المصري بشكل خاص، والتي منها أن جهات أجنبية وليست عربية هي وراء هجمات سبتمبر، فكيف لرجال كهوف من أمثال بن لادن ورجاله أن يكون لهم القدرة على تنفيذ عملية من هذا النوع وبهذه الدقة والكيفية التي نفذت بها هجمات سبتمبر. وكان هناك أيضًا نظرية تقول بأن هناك ما يقرب من ٥٠٠ موظف يهودي لم يحضروا إلى مقر عملهم بالبرجين، في إشارة لعلم إسرائيل مسبقاً بموعد الهجمات. وهناك أيضًا نظرية واسعة الانتشار ومفادها بأن بن لادن ما هو إلا صناعة أمريكية وعميل أمريكي، وأن ما

الكاريكاتير السياسي

حدث كان مرتبًا ليكون للولايات المتحدة الأمريكية ذريعة قوية لشن حملاتها العسكرية ونشر قواعدها العسكرية في محيط الشرق الأوسط.

وبعيدًا عن نظريات المؤامرة، فإن ثمة حقيقة واحدة، وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت أن تنشئ عددًا من القواعد العسكرية العملاقة في نطاق الشرق الأوسط، واستطاعت أن تضع يدها على عدد من حقول النفط.

اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالعراق لم يكن وليد اللحظة، فقد كان ضمن خطة إستراتيجية ذات مدى طويل وضعت منذ عقود لتوسيع نفوذها في منطقة الشرق الأوسط. ترى الباحثة الأمريكية فيليس بنيس بأن الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت لثماني سنوات والتي بدأت بغزو العراق لإيران في سبتمبر ١٩٨٠ جاءت كفرصة إستراتيجية جديدة لصناع القرار في الولايات المتحدة. فإيران والعراق هما الدولتان الوحيدتان في الشرق الأوسط اللتان تملكان الشروط المطلوبة لتصبحا قوى إقليمية: المياه والنفط والحجم، فالمياه تجمعهما مكثفتان ذاتيا والنفط يقدم لهما الثروة وحجم الأرض والسكان يضمن لهما إمكانية السيطرة. أيضا ليس من قبيل الصدفة أن إيران والعراق وهما اثنتان من ثلاثة بلدان شرق أوسطية (الثالثة مصر) لهما تاريخ طويل كبلاد مستقلة ومتحدية للهيمنة الأمريكية. وبالتالي فهذه الحرب من شأنها إضعاف إمكانيات كلا الدولتين الإقليميتين وإهدار ثرواتها القومية والقضاء على مئات الآلاف من خيرة شبابها^(١).

تحركت الولايات المتحدة بسرعة لتأخذ جانب العراق، الطرف الأضعف من وجهة نظرها وذلك بهدف الحفاظ على بقاء القتال لأطول فترة ممكنة. كما أن إدارة ريجان قد تورطت في بيع أسلحة سرا لإيران (بما يعرف بفضيحة إيران كونترا)، أما العسكرية الأمريكية والدعم المالي الرئيسي وتكنولوجيا الأقمار الصناعية فذهبت للعراق^(٢).

وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وفي يوليو ١٩٩٠ وقبل أسبوع واحد من غزو الكويت، أعطت السفارة الأمريكية إبريل جلاسبي الرئيس العراقي صدام حسين ضوئا أصفرًا فيما يتعلق بنيته لغزو الكويت وأخبرته بـ "إننا ليس لدينا رأي بشأن النزاعات العربية العربية، مثل خلافك على الحدود مع الكويت". وما لبثت واشنطن أن استخدمت هجوم العراق على الكويت كذريعة لشن حملة عالمية تهدف إلى إعادة تأكيد الولايات المتحدة كقوة

(١) فيليس بنيس:

Phyllis Bennis. (2009). Understanding the US-Iran Crisis: A Primer. United States: Olive Branch Press

(٢) فيليس بنيس: المرجع السابق.

عظمى. وأصبح العراق الهدف الجديد وأخذ صدام حسين بسرعة محل آية الله الخميني كالحصم الشرير^(١).

وباحتلال صدام حسين للكوييت نشبت حرب الخليج الثانية أو ما يعرف بعملية عاصفة الصحراء في ١٧ يناير ١٩٩١، والتي شنتها قوات التحالف الدولية المكونة من ٣٤ دولة تحت قيادة الولايات المتحدة لتحرير الكوييت. كان يمثل غزو صدام للكوييت صدمة لجميع الشعوب العربية التي لم يسبق وأن شاهدت دولة عربية تتبلغ جارتها، إلا أن رد فعل الحكومات العربية تباينت من بين مؤيدة ومتحفظة ومستاءة. واستنكرت الرسوم الكاريكاتورية المصرية غزو العراق للكوييت منذرة من خطورة أن يحدث تغيير كامل لخريطة المنطقة من جراء ذلك.

يعتقد أستاذ الاقتصاد جلال أمين بأن إرسال مصر لقوات إلى المملكة العربية السعودية لم يكن في حقيقة الأمر ذا جدوى، فقد كان الجيش الأمريكي يكفي ويزيد لحماية الأماكن المقدسة وحقول النفط. فثمة فائدة وحيدة لإرسال قوات مصرية وهي "إسباغ بعض القبول على الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية"، كما أن الإشارة إلى القوات الموجودة على أنها "قوات دولية" أو "متعددة الجنسيات"، له صدى مقبول عند الرأي العام الأمريكي، فالقرارات كانت في يد أمريكا فقط، وعلى القوات الأخرى بما فيها المصرية التنفيذ^(٢).

ولأن كل شيء لا بد وأن له مقابل، فقد تم الإعلان عن إعفاء مصر من الديون العسكرية الأمريكية المتركمة عليها، إلا أن الطريف في الأمر، أن هذا القرار ظل يتنظر موافقة الكونغرس شهوياً، يمكن خلالها أن تبتز أمريكا مصر لتقديم تنازلات سواء اقتصادية أو عسكرية أو لصالح إسرائيل قبل إلغاء الدين، الذي يجري تعويضه فوراً من نواح أخرى^(٣).

ترى بنيس بأنه لا مجال للشك في أن حكومة البعث لصدام حسين كانت قمعية للغاية وأن العراق مثله مثل العديد من حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط تقلصت فيه الحقوق السياسية مثل حرية التعبير وتراوحت عقوبة المناهضين للنظام فيه من اعتقال لسجن لتعذيب لاغتيال أو إعدام. كما أن الاثنى عشر عامًا من العقوبات المفروضة على

(١) فيليس بنيس: المرجع السابق.

(٢) جلال أمين، "العرب ونكبة الكوييت"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص: ٢١.

(٣) جلال أمين، المرجع السابق، ص: ٢٢.

العراق عقب حرب الخليج ١٩٩١ قد شلت اقتصاد العراق ومزقت حياته الفكرية ونسيجه الاجتماعي وأصابته شعبه باليأس حتى أمل العديد منهم في أن تأتي قوة خارجية لتنقذهم وتطيح بالديكتاتور، ومع ذلك لم يصدق معظم لعراقيين بأن الولايات المتحدة قد خاضت الحرب لتقاتل نظامهم بدلاً منهم وتدافع عن حريتهم وليس دفعاً وراء مصالحها^(١).

والحق أن دعوة الولايات المتحدة "لتحرير" العراق ووضع نهاية لديكتاتورية صدام حسين لم تجد صداها في الشرق الأوسط، كما حدث في ١٩٩١ عندما أيد الكثير من العرب الدعوة وتعاونوا مع الولايات المتحدة لتحرير الكويت، ويمكن تفسير رد الفعل العربي بالرجوع للمثل الشعبي القائل: "أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب". وعكست الرسوم الكاريكاتورية الرأي العام المصري الذي لم يكن على قناعة بالدوافع المعلنة لغزو الولايات المتحدة للعراق من 'ملاك' صدام لأسلحة دمار شامل وصلته بشبكة تنظيم القاعدة، في حين شاع بأن النفط العراقي لا بد وأنه السبب الحقيقي وراء الغزو.



شكل ٢٢٧: نفط العراق!

عم سام: "لن نترك العراق قبل الحصول على آخر نقطة "حرية" وآخر كيس "ديمقراطية" للشعب العراقي"

(الأهرام، ٦ يوليو ٢٠٠٣)

وترى بنيس بأنه في الوقت الذي يحاول فيه المسؤولون بإدارة بوش إقناع المتشككين داخل الولايات المتحدة والرأي العام العالمي بأن النفط ليس سبباً وراء الحرب، كشف الصحفي بصحيفة "الواشنطن بوست" بوب وودوارد حصول بوش على مذكرة سرية من مجلس الأمن القومي بعنوان "التخطيط للبنية التحتية للنفط العراقي" قبل الغزو بأقل من

(١) فيليس بنيس:

Phyllis Bennis. (2009). Ending the Iraq War: A Primer. United States: Olive Branch Press.

شهر. وتوضح بنيس بأنه ليس الحصول على النفط هو ما يشغل الولايات المتحدة، فهي بأية حال قد قللت وارداتها من النفط الشرق أوسطي لصالح النفط الكندي والمكسيكي والفترويلي وغيرهم. ما يعنيها هو السيطرة على حقول النفط العراقية الشاسعة وكذلك اخال بالنسبة لإيران والمملكة العربية السعودية. فسيطرتها على حقول النفط بشكل عام يضمن لها السيطرة على سعره وحصص الإنتاج منه، كما أن سيطرتها على حقول العراق بشكل خاص يضمن لها نفوذا أكبر على أكثر الدول اعتماداً عليه مثل ألمانيا واليابان^(١).

ولقد أعلنت كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة الحرب على العراق، بالرغم من موقف الأمم المتحدة ودول أوروبية مثل فرنسا وألمانيا وبلجيكا الراض للحر. ويرى مصطفى حسين أن سياسة الحرب التي تبناها كل من الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ورئيس وزراء بريطانيا توني بلير تذكره بالشقيقتين ريا وسكينة، اللتين كونتا في أوائل القرن العشرين عصابة متخصصة في خطف وقتل النساء (انظر الكاريكاتير التالي). ويصور محمد عمر محاولات بوش "الفاشلة" في الحصول على تأييد المجتمع الدولي له لضرب العراق، "كالذي ينفخ في قربة مقطوعة". كما يعتقد محمد عمر بأن الولايات المتحدة قد أخذت قرار خوض الحرب على العراق بصرف النظر ما إذا كان هناك بالفعل أسلحة دمار شامل من عدمه! وحذر من أن قرار الحرب من شأنه أن يعزل الولايات المتحدة عن بقية العالم! ويصور عبد الحلیم البرجيني كيف أن الولايات المتحدة قد فضلت سياسة الحرب على السلام، بينما يرى أسامة قاسم بأن الولايات المتحدة فيما تفعله تعود بنا إلى العصر الحجري عندما كان الناس تحصل على ما تريد بقوة "الذراع".

• ريا وسكينة •



شكل ٢٢٨: ريا وسكينة!

(كاريكاتور، ٣ إبريل ٢٠٠٣)

(١) فيليس بنيس، المرجع السابق.



شكل ٢٢٩: المجتمع الدولي يرفض تأييد الولايات المتحدة!

الأمم المتحدة: "أنت بتنفخ ف قرية مقطوعة!!"

(آخر ساعة، ١٩ مارس ٢٠٠٣)



شكل ٢٣٠: الحرب على العراق ١١

بوش: "حتى لو العراق معندهاش أسلحة دمار شامل.. أنا عندي!!"

(آخر ساعة، ٢٦ مارس ٢٠٠٣)



شكل ٢٣١: الحرب.. العزلة!

(آخر ساعة، ١٧ مارس ٢٠٠٣)



شكل ٢٢٢: الحرب على العراق ٢٠٠٣

الحرب: "أمريكا جوزتنا لبعض والكلمة أصبحت كلمتي"
(كاريكاتور، ٣ مايو ٢٠٠٣)



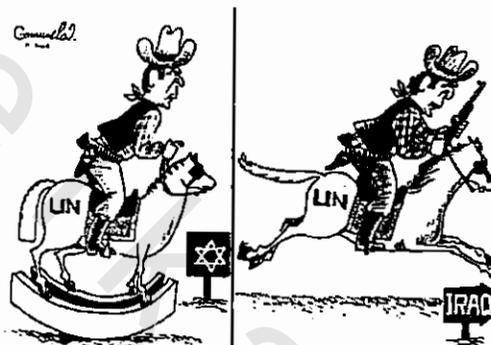
شكل ٢٢٣: حرب العصر الحجري

(الأهرام ويكلي، ٢٠-٢٦ مارس ٢٠٠٣)

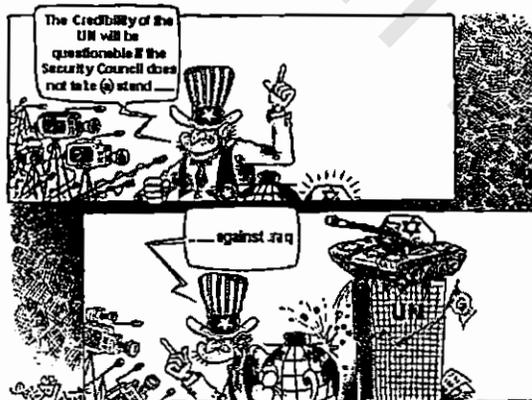
استفرت سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق الكثير من العرب والمسلمين الذين رأوا فيها قدرًا كبيرًا من الازدواجية والانحياز، فحين لا تهتم الولايات المتحدة بقرارات الأمم المتحدة عندما يتعلق الأمر بإسرائيل، تكون على استعداد لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ولو بالقوة عندما يتعلق الأمر بالعراق. وقارنت العديد من الرسوم بين موقف العراق

وإسرائيل من احترام القوانين الدولية، ففي حين يجبر العراق على الموافقة على استئناف التفتيش عن أي أسلحة دمار شامل، بغض المجتمع الدولي عينه عن الأسلحة التي تمتلكها إسرائيل.

وعقد جمعة مقارنة بين علاقة الولايات المتحدة بقرارات الأمم المتحدة فيما يخص إسرائيل وفيما يخص العراق. وصور أصامة انتهاك إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة بالدبابة الإسرائيلية التي "تركد" على مبنى الأمم المتحدة متسببة في شرخه، بينما يبرر "عم سام" للإعلام حربه على العراق بأنه لدعم الأمم المتحدة التي ستأثر مصداقيتها إذا لم يأخذ مجلس الأمن خطوات حازمة ضد العراق.



شكل ٢٣٤: الولايات المتحدة وقرارات الأمم المتحدة ١١
(الأهرام ويكلي، ١٤-٢٠ نوفمبر ٢٠٠٢)



شكل ٢٣٥: الولايات المتحدة وقرارات الأمم المتحدة ١٢
(الأهرام ويكلي، ١٣-١٩ فبراير ٢٠٠٣)

خرج الآلاف من المواطنين في عدد من الدول العربية والإسلامية في مظاهرات تندد بخطة الولايات المتحدة لضرب العراق. كما أصيب العديد من المواطنين بخيبة أمل كبيرة من جراء صمت حكاهم العرب تجاه قضية الحرب على العراق. وعبر عن ذلك حسن المصري في كاريكاتير يصور فيه هيمنة الولايات المتحدة المتحازة لإسرائيل على الحكام العرب.



شكل ٢٣٦: الحكام العرب!

".. أقول آه ولا لسهه!!!"

(كاريكاتير، ٣ مايو ٢٠٠٣)

وكان الرأي العام المصري متعاطفًا مع الشعب العراقي الذي دفع ثمن ١٢ عامًا من العقوبات التي فرضت عليه بعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩١، والذي لم يساعده كثيرًا برنامج الأمم المتحدة "النفط مقابل الغذاء" في تقليص معاناته. صور مصطفي حسين التناقض بين ما تؤمن به أمريكا على أرضها وبين سياستها الخارجية، فرسم "تمثال الحرية" مغادرة أمريكا وهي منكسرة الرأس في دلالة على خجلها وعدم رضاها عن ما يحدث. ويرى كل من محمد عمر وياسر جعيسة بأن الشعب العراقي هو من ستاله قذائف وصواريخ الولايات المتحدة.



شكل ٢٣٧: رحيل تمثال الحرية!
(كاريكاتير، ٢٥ مارس ٢٠٠٢)



شكل ٢٣٨: آلاف الصواريخ فوق بغداد!

الشعب العربي: "والحرب دي.. لتحرير العراق من صدام.. ولا من العراقيين؟؟"
(آخر ساعة، ٢٦ مارس ٢٠٠٣)



شكل ٢٣٩: شعب العراق!

الطيار الأمريكي: "أعتقد أنهم كما قال الرئيس جورج بوش إرهابيون وتجار أسلحة كيميائية وبيولوجية ودمار شامل"

(صباح الخير، ٤ فبراير ٢٠٠٣)

وتساءلت الرسوم الكاريكاتورية بعد سقوط بغداد عن ما ستقدمه الولايات المتحدة للشعب العراقي وعن الوقت الذي ستنهي فيه احتلالها للعراق.



شكل ٢٤٠: شعب العراق والاحتلال!

الاحتلال الأمريكي: "مش أنا اللي ريجتلك من نظام صدام؟ .. خلاص .. سييني أرتاح شوية!!"

(كاريكاتور، عدد ١٤، سنة ٢٠٠٣)



شكل ٢٤١: شعب العراق والاحتلال ١٢

الاحتلال الأمريكي: "إنسى مية نهر الفرات خالص .. أنا ح أجيب لكم مياه معدنية أمريكية!!"

(كاريكاتور، ٣ مايو ٢٠٠٣)

الكاريكاتير السياسي

وسقطت بغداد في ٩ إبريل ٢٠٠٣ سريعًا بشكل صادم لكثير من العرب الذين التصقوا بشاشات التلفاز يتابعون باهتمام اقتلاع تمثال صدام حسين في وجود قلة من العراقيين تهتف وترقص. فلم يتوقع الكثير من العرب سقوط بغداد بهذه السرعة في ظل تصريحات وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف حتى اليوم السابق لسقوط بغداد، التي ساهمت في نشر الاعتقاد بتقدم المقاومة العراقية وحتمية فشل القوات الأمريكية. وبعد سقوط بغداد، تم تداول تصريحات الوزير السابق كنتت تفككه بها الشعوب العربية وتسخر من الواقع المؤلم الذي حل بها.



شكل ٢٤٢: وزير الإعلام العراقي!

الصحاف: "أنا بأخيتي كل أصدقاءنا اللي منورينا النهارده .. وسواقين الميكروياص .. والمكوجيه .. ومسعني سلام يوتعدك!"

(كاريكاتير، ٣ مايو ٢٠٠٣)

وسقوط بغداد بهذه السرعة ساعد على انتشار المخاوف والتخمينات على من ستكون الدولة التالية في خطة الحرب الأمريكية في الشرق الأوسط، خاصة بعد أن قامت إدارة بوش تكرارًا ومرارًا بتهديد كل من سوريا وإيران. يرى سمير عبد الغني أن الولايات المتحدة قد أتبع سياسة "إضرب المربوط يخاف السائب" في غزوها للعراق.



شكل ٢٤٣: من التالي ١١

- "سياسة أمريكا في الشرق الأوسط .. أضرب المربوط يخاف السايب"

- "مين المربوط"

- "العراق وليبيا والسودان"

- "واحنأ"

- "سايبانا لبعده الحرب"

(كاريكاتير، ٣ أبريل ٢٠٠٣)



شكل ٢٤٤: من التالي ١٢

- "أنا خايف أمريكا تبعت لنا مفتشين عن أسلحة الدمار الشامل"

- "ما تبعت .. إحنا معندناش أسلحة لكن عندنا دمار شامل"

(العربي، ٧ سبتمبر ٢٠٠٣)

وأصبح موضوع أسلحة الدمار الشامل والذي كان الدافع الرئيسي لحرب أمريكا على العراق شغل شاغل للرأي العام المصري والعالمي بعد سقوط بغداد. ويعتقد نبيل تاج أن الفقر هو سلاح الدمار الشامل الوحيد الذي وجدته الولايات المتحدة في العراق. ويرى ممدوح طلعت بأن الولايات المتحدة لا يمكنها غزو مصر وذلك لتسلح المصريين بالـ "القول"، سلاح الدمار الشامل والوحيد في مصر! واقترح شريف عرفة تغيير اسم ميدان "طلعت حرب" إلى ميدان "طلعت سلام" تجنباً للمشاكل.



شكل ٢٤٥: أسلحة الدمار الشامل ١١

"مش خايف ويقولك أهه عندي سلاح أقوى من كل أسلحة الدمار الشامل.. الفقر!!"

(الأهرام، ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٤٦: أسلحة الدمار الشامل ١٢

"على الطلاق.. لا امريكا ولا غيره.. احنا الحكومة مسلحانا كويس"

(كاريكاتير، ٣ مايو ٢٠٠٣)



شكل ٢٤٧: ميدان طلعت حرب!

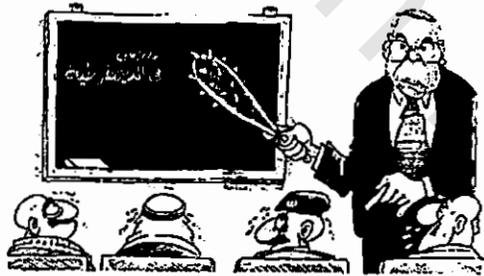
"مش عايزين مشاكل يا عم.. دي سياسة الدولة!!"

(كاريكاتير، عدد ١٥، سنة ٢٠٠٣)

وحدث ما يسمى بـ "الخرج الأمريكي"، فلا وجود لأسلحة دمار شامل ولا وجود ما يثبت تورط العراق مع منظمات إرهابية. فكيف يجلها بوش؟ فكانت "الديمقراطية"، الكلمة السحرية التي باتت تستخدمها الولايات المتحدة لتبرر سياستها في الشرق الأوسط بعد أن نصبت نفسها قاضيًا دوليًا، وولت نفسها مهام نشر الديمقراطية في أنحاء العالم. ولما لا وقد وجدت لها أرضًا خصبة يحكمها أنظمة عربية ضعيفة وخاضعة للهيمنة الأمريكية. يرى العديد من المراقبين بأن الحرب على العراق كانت إشارة لعودة الهيمنة الغربية وفرض النظام العالمي الجديد بالقوة تحت غطاء "الديمقراطية" (انظر الرسوم التالية).



شكل ٢٤٨: الشعب العراقي والديمقراطية!
(الأهرام، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٤٩: دروس في الديمقراطية!
(الأهرام ويكلي، ١٥ مايو ٢٠٠٣)

وكان اختفاء صدام حسين من بعد الاحتلال الأمريكي الإنجليزي للعراق موضع تساؤل وفضول، وربط البعض بين سيناريو اختفائه وبين اختفاء بن لادن بعد هجوم أمريكا على أفغانستان.



شكل ٢٥٠: اختفاء صدام!
(تامر يوسف، ٢٠٠٣)

وفي ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣، تم القبض على صدام مختبئاً في داخل حفرة في مزرعة بالقرب من تكريت واضعاً نهاية لـ ٣٥ عاماً هي عمر نظامه. رحبت معظم الصحف المصرية والرسوم الكاريكاتورية بهذا النبأ لكنها في نفس الوقت لم تغير موقفها المناهض للحرب على العراق والمعني أكثر بمعاناة الشعب العراقي خلال الاحتلال. صور مصطفى حسين كيف أن الألم الذي يعاني منه الشعب العراقي تحت الاحتلال منعه من أن يشعر بالسعادة للقبض على صدام. وأشار نبيل تاج إلى القبور الجماعية التي عثر عليها بعد سقوط بغداد والتي كان صدام يدفن فيها معارضيه (انظر الرسوم التالية).



شكل ٢٥١: الشعب العراقي والاحتلال والقبض على صدام!

الشعب العراقي: "بيقولولي أبسط .. قبضنا لك على صدام حسين .. أبسط ازاى؟"

(الأخبار، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٥٢: قوات التحالف والقبض على صدام!
(الأهرام، ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٥٣: القبض على صدام!

- "مسكوا صدام في حفرة تحت الأرض"

- "دي أول حفرة من حفر صدام فيها حد حتى!!!"

(الأهرام، ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٥٤: ليلة القبض على صدام!

"وده درس لكل ديكتاتور وكل سفاح"

(الأهرام، ١٨ ديسمبر ٢٠٠٢)

ويربط الرسامون بسخرية بين القبض على صدام وبين البحث الجاري عن أسلحة الدمار الشامل، فسخر مصطفى حسين من مشهد الكشف الطبي على صدام الذي تم بثه على شاشات العالم، كما سخر ماهر داوود من إعلان اختبار الحمض النووي الذي أثبت شخصية صدام حسين.



شكل ٢٥٥: صور اعتقال صدام صبح في التلفزيون!

"أبدًا.. لا كشف طب ولا حاجة.. دول لسه بيدوروا على أسلحة الدمار الشامل"

(آخر ساعة، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٥٦: اختبار الحمض النووي ثبت شخصية صدام!

"حمض نووي؟! .. يعني عثروا على سلاح الدمار الشامل؟!!"

(الأهرام، ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٣)

ترى بينيس بأن أخطر ما هدفت إليه الولايات المتحدة منذ بداية الحرب هو العمل على تقويض الهوية الوطنية وترسيخ الانقسامات الطائفية في العراق وتوزيع السلطة بمجلس الحكم العراقي الذي أنشأته على أساس نسبة كل مجموعة طائفية من إجمالي مجموع السكان. كما أشعلت المنافسة على السلطة ليس فقط بين الأحزاب التي تتبنى مذاهب مختلفة ولكن بين الأحزاب التي تتبنى المذهب نفسه. وتشير فيليس إلى مشكلة تعدها الأخطر وهي طريقة معالجة الدبلوماسيين والقادة العسكريين الأمريكيين الوضع في العراق وفرط استخدامهم لصيغة الضمير "نحن" والذي يعكس تلك الافتراضات الاستعمارية التي ترى أن لديها "الحق" في فرض إرادتها على العراق وشعبه ومثال ذلك الجدول القائم حول ما إذا كان عليهم تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء (سنية وشيعية وكردية) أم لا^(١).

وتنبأ مبكرًا عدد من الرسامين وعلى رأسهم جمعة فرحات بالاضطرابات الطائفية التي ستحدث في العراق ومحاولات لاحتلال الأمريكي في تمزيق النسيج الوطني للعراق وتقسيمه إلى دويلات.



شكل ٢٥٧: تقسيم العراق!

(الأهرام، ٢١ يناير ٢٠٠٤)

(١) فيليس بينيس، المرجع السابق.

الكاريكاتور السياسي

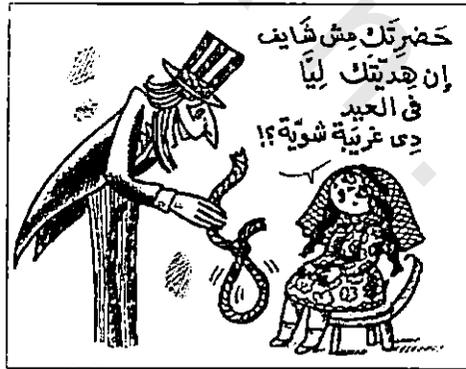
تم إعدام صدام حسين في فجر يوم عيد الأضحى الموافق ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦، مما أثار حفيظة المسلمين في كل مكان، حيث يخصص هذا اليوم للأضحية ولا يجري أي تنفيذ لحكم إعدام في أيام الأعياد. ولد هذا الفعل العديد من التنديدات والاحتجاجات الإسلامية مما أكسب الشارع العربي تعاطفاً تجاه صدام وصد أمريكا.



شكل ٢٥٨: إعدام صدام ١١

بوش: "وكان القصد من إعدام صدام في هذا الوقت عشان نشارك كل المسلمين فرحتهم ونضحى معاهم في العيد الكبير"

(الأخبار، ٢٤ فبراير ٢٠١٠)



شكل ٢٥٩: إعدام صدام ١٢

العراق: "حضرتك مش شايف إن هديتك ليا في العيد دي غريبة شوية؟!"

(الأهرام، ١ يناير ٢٠٠٧)

وانتهت قصة ديكتاتور نهاية مأساوية، إلا أن شعب العراق لا يزال يدفع ثمنًا غاليًا من حريته واستقراره تقابله العديد من التحديات على الصعيدين الداخلي والخارجي،

ويعطر جوه رائحة برك الدم وسقوط قتلى من الأبرياء. لم يشعر العراقيون بأن وطنهم الذي اغتصبه منهم صدام قد رجع إليهم في ظل وجود الاحتلال الأمريكي والتدخل الأمريكي في شؤونهم الداخلية.

القضايا الداخلية:

فيما يلي مناقشة أهم القضايا الداخلية التي تعرض لها الكاريكاتير والتي كان بعضها سبباً مباشراً لغلجان الشارع المصري ومن ثم إشعال فتيل ثورة ٢٥ يناير التي أطاحت بمبارك وعائلته وبعض من رموز نظامه.

نبدأ هنا بأهم قضية تناولها الرسامون على الإطلاق وهي "استشراء الفساد"، والتي تعتبر السبب الرئيسي وراء تدهور معظم، إن لم يكن كل، مؤسسات الدولة وبالتالي فهي عامل مشترك لكل القضايا اللاحقة التي سيتم مناقشتها. واتبع الرسامون في تناولهم للقضايا الداخلية أحد اتجاهين: التعميم أو التخصيص. فقد تم تناول بعض القضايا دون الإشارة إلى مؤسسة ما بعينها، ويرجع السبب في ذلك إلى مدى تطابقها على كل مؤسسات الدولة الخاصة والعامة، مثل مشكلة استشراء الفساد مثلاً، فالرسام هنا لا يتقدم مؤسسة بعينها على أنها المسبب للفساد، ولا يشير إلى مؤسسة بعينها على أنها فاسدة، إنما يعمم بفساد النظام. وفي المقابل، يتبع الرسام "التخصيص" عند تناوله لقضاياها لطبيعة خاصة مثل مشكلة التعليم مثلاً، فهنا الرسام يتقدم مؤسسة بعينها حتى لو لم يشر إليها بشكل مباشر، ولكن يبقى معروفاً لمن يوجه رسالته.

استشراء الفساد:

شمل الفساد كل أشكال الحياة بما فيها الحياة السياسية والإعلامية، فلم يكن محصوراً فقط بالفساد المالي والإداري، وما زالت قاعدة تقرب أهل الثقة و"الشللية" هي السائدة في اختيار الكوادر في مؤسسات شتى بآثار بالسلب على التنمية الداخلية وعصف بنهضة مصر بشكل درامي، وتسبب في تأخرها وفقدانها لموقعها الريادي في المنطقة.

أصبح فساد الياقات البيضاء آفة هذا العصر، فقد تورط في قضايا فساد عدد من كبار المسؤولين وأعضاء البرلمان ورجال أعمال واداريون في بنوك وفي شركات قطاع عام وخاص. كما انتشرت الرشوة والمحسوبية وتهريب الآثار والأموال على نطاق واسع.

ويمكن أن يطلق على عام ٢٠٠٣ بعام سرقة الأموال العامة، فقد شهد سرقة حوالي ٢٢ مليار جنيه من الأموال العامة، كما شهد ١٤٧ قضية رشوة و ٦٥٠ قضية تغيير عملة

و١١٥ قضية توظيف أموال^(١). كما عرف عام ٢٠٠٣ بعام تهريب الآثار، حيث أُلقي القبض على ٥٠ مسؤولاً لتهريبهم ما يقرب من ٢٠٠ قطعة أثرية للخارج، وتم القبض على أكبر مهرب للآثار مع ١٧ آخرين بعد نجاحهم في تهريب أكثر من ٤٠٠ قطعة أثرية^(٢).

- سرقة الآثار -



شكل ٢٦٠: سرقة الآثار!
(الأهرام، ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣)

وفي تلخيص مبدع، يصور ممدوح طلعت كيف استشرى شيطان الفساد وتربع على عرش مصر و"بيديها رقص". كما يصور عمرو عكاشة كيف يلتف جبل الفساد حول رقبة المواطن في ظل عدم مبالاة من الحكومة، كما صور الفساد على هيئة أفعى تلتهم البلاد، وعلى هيئة سمكة عملاقة يعلو قشور جسمها كلمة "الفساد"، في إشارة إلى أن رائحة الفساد قد "فاحت". في حين يسجل محمد حاكم تساؤلات المواطنين محدودي الدخل عن السبب وراء استشراء الفساد.



شكل ٢٦١: الفساد!
(كاريكاتور، ٢ يوليو ٢٠٠٢)

(١) عبد العال، عام المليارات الطائرة، 'الأهرام'، ٢٠٠٣، عدد ٤٢٧٥٤.
(٢) محمد شمروخ:

Mohamed Shamroukh. (2003). Lusus Athar khamas nigum (Five Star Antiquities thieves). Al Ahram. Issue 42754

الفساد



عبدالله

شكل ٢٦٢: الفساد ١٢

(الدستور، ٢٥ سبتمبر ٢٠١٠)

•••••



عبدالله

شكل ٢٦٣: الفساد ١٣

(الوفد، ٨ أكتوبر ٢٠١٠)



شكل ٢٦٤: الفساد ١٤

"أيوه البيضة بشلن علشان ده بيض فسدان.. ما إنت عارف إن كل حاجة في البلد فسدانه...!!!"

(الأمالي، ١٠ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٦٥: الفساد!

مواطن: شوفي لي .. مين سبب الفساد?"

(الأهالي، ٣ ديسمبر ٢٠٠٣)

ومن القضايا التي شغلت الرأي العام كانت قضايا "نواب القروض"، في إشارة إلى استيلاء عدد من رجال الأعمال على المليارات من أموال البنوك عن طريق تفويضات ائتمانية أعطت لهم دون الوفاء بدراسات جدوى. ويرى بعض المراقبين بأن قضية نواب القروض تكشف عن خلل في السيطرة على القطاع المصرفي، كما تكشف عن قبض الفساد في هذا القطاع. وطبعاً حل نواب القروض ضيقاً على الساحة الكاركتورية، خاصة بعد أن أذهلوا الشعب المصري "الغلبان" بكم الملايين (الأرانب) التي نهبت في ضح النهار.



شكل ٢٦٦: قروض البنوك!

"جاتك وكسة ياراجل.. الناس دلوقت بتسرق "أرانب" .. وإنك رايح تسرق فراخ!!"

(الوفد، ٦ أكتوبر ٢٠٠٢)

صورت الرسوم كيف بدت مصر كأنها "تورثة" يتهاقت عليها الفاسدون ليتقاسموها وينال كل منهم ما استطاع منها، وأن المنافسة الحقيقية باتت بين اللصوص في نهب مصر. كما صورت الرسوم كيف أن في النهاية من يدفع ثمن الفساد هو المواطن المصري من قوته وماله (انظر الرسوم التالية).



شكل ٢٦٧: نهب مصر ١١

"سيب .. دي بتاعتي .."، "لا بتاعتي أنا"، "لا انت ولا هو .. دي بتاعتي أنا!!"

(الاستور، ٦ أغسطس ٢٠٠٩)



شكل ٢٦٨: نهب مصر ١٢

"بفكر أغير تسميتي الوظيفية .. بدل رجل أعمال حرة .. أخليها رجل حركات قرعة"

(روزاليوسف، ٦-١٢ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٦٩: نهب مصر ١٣

(كاريكاتير، ١٥ يونيو ٢٠٠١)



شكل ٢٧٠: شب مصر ١٤

خادمة شقة الحكومة: "الفساد يبسأل يا سيدي؟ ح تهيب ولا ح تصوم؟؟!"
(الأهالي، ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٧١: شب مصر ١٥

(الأهالي - ١٠ ديسمبر ٢٠٠٢)



شكل ٢٧٢: شب مصر ١٦

"أنا كتبت للمدير بحث من ٧٠٠ ورقة بس عن كيفية ترشيد استهلاك الورق بالشركة!!"
(الأخبار، ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣)



الليسانس
٧ ياندم ماينطقس مدير
٢ يلفع وكيل مصلحه بس

شكل ٢٧٣: نهب مصر !٧

ترزي: "لا يا فندم ما ينفعش مدير ينفع وكيل مصلحه بس!"

(صباح الخير، ١٤ يناير ١٩٩٩)

تدهور مستوى التعليم :

شغلت المنظومة التعليمية وتداعياتها مساحة كبيرة من اهتمام الرسوم الكاريكاتورية في محاولة لفك العديد من ألغازها وشفراتها والتي تتفاقم عامًا بعد عام. ويتم تطبيق نظريتين أساسيتين في التعليم الأساسي والجامعي بنجاح: نظرية الحشر فأصبح مألوفًا تكديس الطلاب سواء في الفصول أو في المدرجات بالجامعة، ونظرية الحشو المؤقت والتي تعمل على التلقين الذهني بالمعلومات والتي يجتهد الطالب في الامتحان فلا يبقى منها شيئًا بعد ذلك. رسم حجازي في عدد "روزاليوسف" (١ إبريل ١٩٧٤) مسؤول يتحدث مؤلف كتب وزارة التعليم قائلًا: "برضه لسه شوية، عايز موضوعات المطالعة أبوخ من كده، والشعر أرزل من كده، لانك عارف طبعًا أن التلميذ لو قرأ شعر جميل وموضوعات ظريفة، ح ينسبط ويفكر التعليم مسألة سهلة!"

أما الظاهرة الأساسية التي تطرق أبواب أولياء الأمور قبل بدء العام الدراسي هي ظاهرة الدروس الخصوصية. فقد اضطرت الأسر إلى اللجوء إلى المدرسين الخصوصيين ليشروا لأطفالهم الدروس التي صعب استيعابها داخل الفصل وإعدادهم للامتحانات النهائية. ونظرًا لتدني الأجور، وجد المدرسون في الدروس الخصوصية وسيلة لزيادة دخلهم وبالتالي رفع مستوى معيشتهم.



شكل ٢٧٤: الدروس الخصوصية!

"- أنا ما أعتبرش ولادي انتظمو في الدراسة.. غير لما اشوف المدرسين الخصوصيين داخلين خارجين!"

(الأهرام، ١٩ أكتوبر ١٩٨١)

وتعتبر الشهادة الجامعية ذات أهمية خاصة جدًا عند معظم المصريين، فهي جواز سفر لتأمين فرص عمل "مرموقة". ومن أجل ضمان الالتحاق بكليات تعتبر في الصدارة (القمة)، يجب الحصول على مجموع كبير في امتحانات الثانوية العامة. ويضع معظم الآباء مزيدًا من الضغوط على أطفالهم لتحقيق حلمهم والالتحاق بكليات القمة، ويعتبر هذا سببًا آخرًا للجوء الآباء إلى الدروس الخصوصية ورفع حالة الطوارئ داخل المنزل لتهيئة الجو للاستذكار. وعادة ما تكون السياسة المستخدمة في الدروس الخصوصية هي سياسة تلقين الطالب بالمعلومات اللازمة لاجتياز الامتحانات بنجاح، مما يؤثر بالسلب على أداء الطالب في وقت لاحق في الجامعة أو بعد التخرج (انظر الرسوم التالية).



شكل ٢٧٥: ضغوط الآباء

"الحمد لله ما طلعتناش بنى آدمين.. كان زمانهم يزنوا علينا.. ذاكروا.. ذاكروا.. ذاكروا"

(كاريكاتير، ٢ يوليو ٢٠٠٢)



شكل ٢٧٦: ضغوط الآباء ١٢

"- يكون في علمك لو مجبتش مجموع كويس حقتعد في البيت لغاية ميسجي عدلك...!!"

(الأهرام، ١٥ يوليو ٢٠٠٣)



شكل ٢٧٧: ضغوط الآباء ١٣

"المجموع اللي انت جايه ده مش يوديك كليه.. ده يوديك في ٦٠ داهيه!!"

"هاهاها.. أنا كنت عبيط زيك كده من ١٠ سنين عشان فرحت إني جيت ٩٩٪.. وأديني

إتخرجت ومش لاقني وظيفه لحد دلوقتي!!"

"دي دموع الفرحة؟"

"لا.. دي دموع الندم اللي دفعته في دروسك الخصوصيه!!"

(الوفد، عدد ١٠١٢، سنة ٢٠٠٣)

ورسم رؤوف في صباح الخير (٢٤ مايو ١٩٧٩) أم تقدم لابنها فنجان قهوة قائلة:

"طب ما بلاش يا حبيبي الثانوية العامة دي وذاكر حاجة تانية"، وفي كاريكاتير آخر، رسم

الأم تتوعد طفلها الصغير قائلة: "إلهي أشوفك متشحطط في الثانوية العامة يا بعيد!" وكثيرًا

الكاريكاتير السياسي

ما يكون التركيز إعلامياً على مدى صعوبة الامتحانات، بتصوير حالة التلاميذ النفسية حال خروجهم بعد الامتحانات، ولا مانع من وضع صعوبة الامتحانات في قالب كاريكاتوري سياسي ساخر.



شكل ٢٧٨: الامتحانات!

"يا بابا محدش من الطلبة حل حاجة، الامتحان كان صعب ومعقرب.. عامل كده زي شروط الترشيح للرئاسة!!"

(المصري اليوم، ١٦ يونيو ٢٠١٠)

وتشكل الدروس الخصوصية ومجاميع التقوية عبئاً مالياً ثقيلاً على الأسر المصرية في بلد يفترض أن التعليم فيه "مجاًناً" ووفقاً لمسح أجراه المعهد القومي المصري للتخطيط (٢٠٠٢)، تنفق الأسر الفقيرة خمس دخلها السنوي على التعليم^(١).



شكل ٢٧٩: مصاريف المدراس!

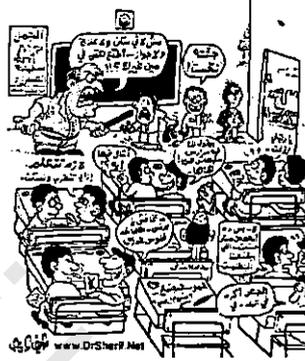
"ماقدرش ابيع حاجة تانيه ح اتفضح..!!"

(كاريكاتير، ١ أكتوبر ٢٠٠٢)

(١) ماريز تادروس:

Mariz Tadros. (2001). Resistance clouds the future. Interview. Al-Ahram Weekly. Issue 558.

كما انتشرت ظاهرة العنف في المدارس، والحقيقة إن العنف لا يكون فقط من طرف المعلمين، بل في أحياناً كثيرة يكون من طرف الطلبة. وفي لوحة كاريكاتورية معبرة صور شريف عرفة شكل الحياة الطلابية داخل الفصول الدراسية، وحمل المدرس المسؤولية الأكبر وراء العنف ضد الطلبة، وأن سلوكه هذا هو انعكاس لمشاكله الشخصية والتي هي اقتصادية بحتة.



شكل ٢٨٠: هموم المدرسين والطلبة!

المدرس للطالب المعاقب: "مش لاقى سكن ولا علاج ولا جواز.. أطلع همي في مين غيرك!!!"

حائب يشير إلى زميله المعاقب: "جنته نحست!"

طالب يحدث نفسه: "ياريتني زوجت"

طالب لزميله: "بيقول لك فيه مدارس مفيهاش ضرب! هاها.. يرد زميله: "أمال فيها إيه!؟"

طالب آخر لزميله: "لازم تتعلم ازاي تنضرب وتسكت."

طالب لزميله: "لا.. بس ده أرحم من مستر حشمت.. اللي يقلعنا البنطلونات.."

طالب آخر لزميله بيدخن: "ماخافش يا برنس.. طالما أخذ فلوس الدرس"

طالب آخر يحدث نفسه: "الجهل أكرم في البلد دي.."

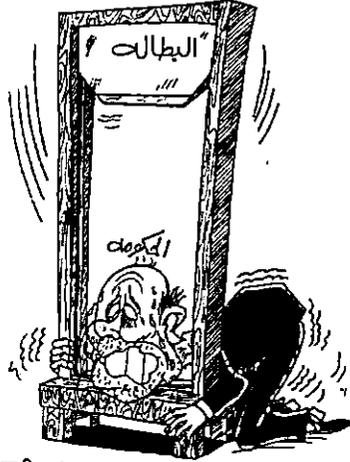
طالب كتب عبارة على طاولته: "الموت للمجتمع.. مشروع إرهابي"

(www.drsherif.net, ٢٥ يونيو ٢٠١٠)

ولا يلبث أن يكتشف الطلاب الجامعيون بأن دراستهم الجامعية بعيدة عن متطلبات السوق واحتياجاته، ليصطدم الخريجون بصعوبة الحصول على عمل له علاقة بتخصصاتهم، وإن حدث ووجدوا وظائف تتطلب شهادة جامعية فإن مرتباتها لا تفي بالاحتياجات

المعيشية الأساسية. ورسم عمرو وكاشة (الدستور ٢٠٠٩) واحد عاطل "جامعي" يقول لزميله وهما جالسين على رصيف الشارع: "ليل نهار واجعين دماغنا بأطفال الشوارع.. ومحدث جايب سيرة شباب الشوارع!!"

للأسف الصفة العامة للمموسة في هذه الفترة هي عدم تقدير ذوي الكفاءات والتضييق عليهم ووضعهم تحت ضغوط بيروقراطية للنيل منهم وإحباطهم وتثبيت عزيمتهم ووضع العراقيل أمام تقدمهم المهني والأدبي. ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء هجرة عدد من المصريين الأكفاء إلى حيث التقدير والمناخ المناسب الذي يتناسب مع كفاءاتهم وعطائهم العلمي أو الأدبي. قدم شريف عرفة صورة كاريكاتورية للوضع الذي وصل إليه البحث العلمي في مصر من خلال عرض سيناريو تخيلي للوضع الذي كان سيؤول إليه أشهر علمائنا إذا لم يهاجروا وفضلوا البقاء في مصر. فلو لم يهاجر دكتور أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء لأصبح حيسًا في معمل ذي إمكانيات فقيرة وسعيدًا لحصوله أخيرًا على "شهادة تقدير وعلاوة ١٦ جنيهاً" وأما عالم الفيزياء العالمي د. مصطفى السيد لكان في أشد درجات الإحباط وهو يفتقر إلى دخل كريم يتأمل بحسرة بعض علب صفيح السردين المستخدمة قائلًا: "مش لاقين ذهب... قالوا لي: إعمل أبحاثك عالصفيح..". وأما عالم الفضاء د. فاروق الباز لتم ممارسة أسرار أنواع البيروقراطية عليه لعدم رغبة النظام في الاستفادة من خبراته وإجباره على الحفر في أرض فضاء بسبب: "قلت لهم فيه بتر عذب هنا.. قالوا لي: احفره انت!!" وأخيرًا عالم الفضاء د. عصام حجي لأصبح ليس أكثر من مدرس متواضع "يجري" خلف "لقمة العيش".



سليم

شكل ٢٨٣: أزمة البطالة !١

(الوفد، ٢٢ يوليو ٢٠٠٣)



شكل ٢٨٤: أزمة البطالة !٢

(العربي، ٣ نوفمبر ٢٠٠١)

وقد ساهم نظام التعليم بشكل كبير في ارتفاع معدلات البطالة. فعادة ما يصطدم شباب الخريجين عندما يكتشفون أن دراستهم الجامعية لا تؤهلهم بشكل كافٍ للعثور على وظيفة ولا تقدم لهم المهارات اللازمة لضمان الحصول على فرص عمل. ويكتشف الخريجون بأنهم في حاجة إلى التدريب لفترة طويلة قبل أن يوظفوا، وفي نفس الوقت وبسبب حالة الركود، فإن أرباب العمل لا يملكون الوقت أو المال لتدريب شباب الخريجين ويفضلون "الجاهزين" ممن يملكون الخبرة. ولا يجد العديد من شباب الخريجين وظائف في

مجال دراستهم ولأسباب مادية يضطرون بالقبول بوظائف بعيدة تمامًا عن طموحاتهم أو خلفيتهم التعليمية. فالיום من الشائع أن ترى طبيباً أو محاسباً يعمل كمندوب مبيعات أو كعامل دهان أو كموظف استقبال أو حتى عاملاً في مقهى أو مطعم.



شكل ٢٨٥: أزمة البطالة ١٣

الزبون: "إزاي يا ابني .. تبقى دارس طب وتشتغل هنا؟"
الجرسون: "أستاذي في الجامعة هو صاحب الكافيتريا"
(العربي، ٣ نوفمبر ٢٠٠٢)

تدهور الاقتصاد المصري:

الركود الاقتصادي وأزمة السيولة وارتفاع الأسعار وتدني متوسط الدخل وانخفاض قيمة الجنيه المصري تعتبر من المرادفات اللغوية الضديقة التي يكثُر الإشارة إليها في حديثنا العابر اليومي أو في الصحف وبرامج "التوك شو". وكانت الحكومات المتعاقبة دائماً ما تلقي اللوم على الانفجار السكاني كسبب رئيسي لحالة الركود.

وكما أشرنا سابقاً، فقد تبني السادات سياسة الانفتاح بعد نصر أكتوبر التي وصفت من قبل كثير من المتخصصين بالكارثة. ومع أن هذه السياسة قد نجحت في تدفق كميات كبيرة من العملة الأجنبية، إلا أنها أتت بنتائج سلبية على عكس ما كانت تتوقعه الحكومة. فقد أدت إلى ارتفاع الأسعار وتدهور القطاع العام وعدم القدرة على منافسة الواردات، والأهم، ذهب الاستثمارات إلى قطاعات مثل السياحة والعقارات والبنوك ولم تذهب إلى قطاعات تنمية مثل الصناعة.

أدرك نظام مبارك الأخطاء الاقتصادية التي وقع فيها السادات أفخطط أن يكون الانفتاح جذابًا للمستثمر المصري والأجنبي وأن يوجه للإنتاج أكثر منه للاستهلاك وذلك جزئيًا عن طريق محاولة الحد من استيراد السلع الغير ضرورية^(١). وتعاملت الحكومات في عصر مبارك بحذر مع المواد الغذائية المدعمة لتجنب تكرار مظاهره رغبة العيش التي حدثت في عصر السادات. ويخلاف الخبز المدعم هناك عدة سلع غذائية رئيسية يتم دعمها من قبل الحكومة ومنها: الدقيق والعدس والبقول والزيوت والسكر أبا يشكل عبئًا على ميزانية الحكومة لتلبية احتياجات الطبقة الفقيرة. ومع ذلك لا يرى مصطفى نوفل أستاذ علوم الأغذية بجامعة الأزهر أنها تلمي الاحتياجات الرئيسية للفقراء. فهو يعتمد بأن الحكومة لا بد وأن تضيف السكر البني لما يحتويه من حديد وكالسيوم وأن تضيف البيض واللبن ليحل محل اللحم الذي لا تستطيع العائلات الفقيرة أن تشتريه^(٢).

تصور الرسوم الكاريكاتورية المواطن المصري على أنه ضحية الغلاء وارتفاع الأسعار دون مبرر واضح في ظل غياب حقيقي لمفهوم "حماية المستهلك". وأصبحت لعبة العصا والجزرة التي أطلقت مرارًا على سياسة أمريكا في الشرق الأوسط هي اللعبة المفضلة لدى الحكومة المصرية عندما تتعامل مع المواطن المصري الذي لا يسمع غير الوعود الرنانة بتوفير حياة كريمة ولا يجد في الواقع غير قسوة الغلاء وأزمة السكن والبطالة ورداءة الخدمة في كثير من القطاعات.

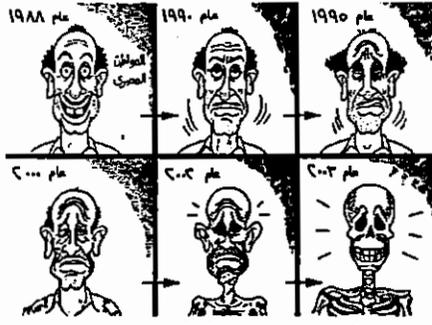
استعرض الرسام عمرو عكاشة في الكاريكاتير التالي تأثير حالة التدهور في الاقتصاد المصري على المواطن المصري منذ الثمانينيات. وصور أحمد طوغان حجم الأعباء الملقاة على كاهل المواطن المصري الضعيف والتي منها الديون الخارجية والإهمال والركود الاقتصادي والانفجار السكاني... إلخ. كما سجل زهدي العدوي معاناة الفلاح الذي أصبح أكثر فقرًا ولا عجب أن يساوي حصيلة دخله صفرًا.

(١) ديريك هوبود:

Derek Hopwood. (1993). Egypt: politics and society, 1945-1990. (3rd ed). London: Rout ledge.

(٢) محمد النحراوي:

Mohamed Al Nahrawi. (2003). Al aawda lebtaqat al tamwin (Back to the food-supplies card). Al-Ahram. Issue 42754.



شكل ٢٨٦: تدهور حالة المواطن المصري!

(الوقد، ٢٥ أغسطس ٢٠٠٣)



شكل ٢٨٧: حمل الأسيء!

(الجمهورية، ٢٠٠٢)



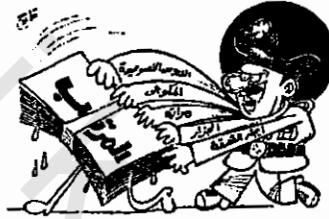
شكل ٢٨٨: دخل الفلاح المصري!

(زهدي، ١٩٩٨)

قدمت الرسوم الكاريكاتورية الغلاء في هيئة غول أو حيوان مفترس أو قط شره يتقض على طعام "الغلابة" ليسلب ما فيه. ولطالما وضعت الأجور في مقارنة مع ارتفاع الأسعار، فصورت الأجور بسلحفاة تسير بمحاذاة حصان أو بزواج نحيل جدًا يجلس ملاصقًا لزوجته البدينة جدًا. كما صورت الرسوم ارتفاع الأسعار بحرارة الصيف الشديدة "المولعة"، وساد اتجاه كاريكاتوري بوضع اللحم في فاترينة عرض لإتاحة الفرصة لرؤيتها طالما أصبح من الصعب اقتنائها.

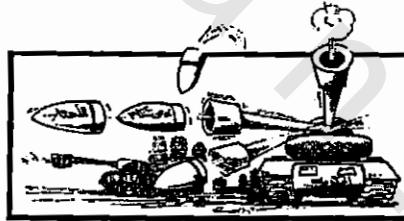
الكاريكاتير السياسي

أكد عبد العزيز تاج أن متوسط الأجور لا يتناسب مطلقاً مع الأسعار ولا يغطي النفقات العادية، بينما حمل ممدوح طلعت الحكومة المسؤولية لارتفاع الأسعار وتبسيط الشكوي. وصور محمد حاكم حالة الإفلاس التي وصل إليها المواطن المصري الذي أصبح لا يحتكم على مليم واحد داخل جيوبه. ورسوم عمرو عكاشة كيف أن الموظف والأطباء قد انضموا مؤخراً إلى صف المتسولين. وصور حسن فداوي كيف أن خط الفقر "مطاطي" تتحكم به فئة رأس المال المسيطرة. كما قدم وليد طاهر مفارقة بين ما يطالب به الفقراء وهو "الحد الأدنى من الأجور"، وما يطالب به الطبقة الثرية الفاسدة وهو "الحد الأقصى للفجور"! وكانت معظم المظاهرات التي شهدتها مصر خاصة في عامي ٢٠١٠ و٢٠١١ تطالب برفع الحد الأدنى للأجور، كما ستم مناقشته لاحقاً.



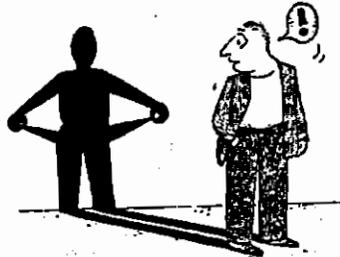
شكل ٢٨٩: الأجور!

(كاريكاتير، ٥ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٢٩٠: ارتفاع الأسعار !!

(كاريكاتير، ٣ مايو ٢٠٠٣)



شكل ٢٩١: الجيوب الخاوية!

(كاريكاتير، ٢٥ مارس ٢٠٠٢)



شكل ٢٩٢: التسولون!

(الوقد - ٢٠٠٩)



شكل ٢٩٣: خط الفقر!

فقير: "هو اللي بيتحكم في خط الفقر .. يعليه على مزاجه ويوطيه على مزاجه"

(حسن فداوي^(١)، ٨ أغسطس ٢٠١٠)



شكل ٢٩٤: الحد الأدنى للأجور!

(الشروق، ٥ مايو ٢٠١٠)

(١) حسن فداوي، موقعه الشخصي على "فيس بوك"، ٢١ أغسطس ٢٠١٠، تم الاطلاع في ٨ أغسطس ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<https://www.facebook.com/media/set/?set-a.10150170302205252.428371.877935251&type=3>

ومن قلب مؤسسة "أخبار اليوم"، ظهر الدويتو الشهير، الرسام مصطفى حسين والكاتب الساخر أحمد رجب، اللذان عملا سوياً ومتعاقرائهما بمزيج كاريكاتوري من الخطوط المبهرة والتقد اللاذع وابتكرا سوياً عدداً من الشخصيات الكاريكاتورية التي خرجت كخلاصة لنماذج إنسانية عديدة زخر بها المجتمع المصري ونالت شهرة واسعة، ومن أشهرها حنظورة، وعبد مشتاق، وفلاح كفر الهنادوة، والكحيت، وعزيز بك الأليت، وعبد الروتين، ومطرب الأخبار، وعباس العرسة، وعلي الكومندا، وكمبره بيه، وغيرهم. اعتمدت معظم رسومها على المحادثات الطويلة الساخرة بين شخصين أو أكثر، ومن أشهرها تلك التي كانت بين رئيس الوزراء آنذاك عاطف عبيد وفلاح كفر الهنادوة، السلسلة التي كان لها تأثير كبير وسجلت نسبة مشاهدة عالية بين الجمهور المصري. في الكاريكاتير التالي، يشرح عاطف عبيد لفلاح كفر الهنادوة أسباب أزمة السيولة في مصر!



شكل ٢٩٥: إشاعات!

"..وماتديش ودنك للإشاعات.. إحنا نسبة الفقر عندنا ٣٪ يعني حوالي ٢ مليون فقير.. إحنا أغنيا.. إحنا أقويا.. شوف هرم خوفو يساوي كام.. أبو الهول.. النيل.. وعازيك تعرف إن معندناش أزمة اقتصادية.. الفلوس موجودة بس عندنا أزمة فكة.. معنا ورقة بخمسين مليار وعاوزين نفكها ومش لاقين حد معاه فكة ٥٠ مليار.. آدي القصة وطلوا إشاعات"

(أخبار اليوم، ٨ مارس ٢٠٠٣)

ويعتقد جمعة فرحات بأن ارتفاع الأسعار وليس ارتفاع درجات حرارة الصيف هو السبب وراء تصيب المواطنين العرق، بينما يرى تاج بأن الحكومة تستغل حرارة الشمس لتبرير "ارتفاع" الأسعار. ويعتقد تامر يوسف بأن حمى ارتفاع الأسعار قد أصابت أيضًا رسوم المكالمات المحلية.



شكل ٢٩٦: ارتفاع الأسعار ١١

"إنتم مش مستوي م الحر.. ده إنت أكيد مستوي زي م الأسعار"

(الأهرام، ٨ يوليو ٢٠٠٣)



شكل ٢٩٧: ارتفاع الأسعار ١٢

(كاريكاتير، ٢٥ مارس ٢٠٠٢)



شكل ٢٩٨: ارتفاع الأسعار ١٣
 بابا نويل: "يا ناس اختشوا... حأجيلكم إيه.. والأسعار مولعة كده"
 (الأهرام، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٣)



شكل ٢٩٩: ارتفاع الاسء. ١٤
 "المسكين يا عيني اتجنن من ساعة ما جاتله فاتورة التليفون!"
 (كاريكاتير، ٢ يوليو ٢٠٠٢)

ويطرح رجائي ونيس تأملاته حول النظام العالمي الجديد الذي تصنف فيه "اللحمة" من ضمن الأثريات المتوفرة فقط داخل المتاحف، ليتمكن العامة من رؤيتها والتعرف عليها. في حين يطرح سمير عبد الغني المشكلة التي تواجه الكلاب الآن بعد أن تحول الناس إلى أكل العظام كبديل عن اللحم!

تأملات من النظام العالمي الجديد ..
النظام العالمي القديم



النظام العالمي الجديد



شكل ٣٠٠: النظام العالمي الجديد!
(بهجت، ١) (١٩٩٥)



شكل ٣٠١: أزمة عضم!

"الناس لما كانت بتاكل لحمه .. إحنا كنا بنلاقى العضم .. لكن لما الناس تاكل العضم الكلاب تعيش ازاي في البلد دي ..!"

(العربي، ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣)

(١) بهجت، 'رفاق سلاح'، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٥.

الكاريكاتير السياسي

حتى الفول المصري الذي يشكل الطبقة الرئيسي للبروتين (تعويضًا عن اللحم) عند أغلب الشعب لم يسلم هو الآخر من ارتفاع الأسعار. ويتوقع جمعة أن تصبح "قدرة" الفول في "مقام" اللحم وتعلق هي الأخرى خلف الجزار، بينما يجذر عمرو وعكاشة من انقراض "قدرة" الفول ويحث الناس على التقاط صور تذكارية لها. ويربط فرج حسن بين ارتفاع سعر الفول وارتفاع سعر طن الحديد!



شكل ٣٠٢: ارتفاع سعر الفول !!
(الأهرام، ١٥ يوليو ٢٠٠٣)



شكل ٣٠٣: ارتفاع سعر الفول !!

"صور بسرعة.. أحسن مش هشوفه تاني!!"

(الوفد، ٢٠٠٣)



شكل ٣٠٤: ارتفاع سعر الفول !٣

"غالي إيه يا أستاذ داك له حديد وشوف سعر الطن وصل كام"

(الأهرام، ١٢ أغسطس ٢٠٠٨)

تحسرت الرسوم الكاريكاتورية على الأيام الخوالي للجنيه المصري (أيام ما كان "جيس"، عشر ورقات منه تعيشك ملك)، وتبكي حاله اليوم بعد أن أصابته عوامل التعرية لينكمش حجماً وقيمة ومع كثرة تداوله يصل إلى أيدي الناس بالياً وتظهر عليه علامات التعفن ناقلاً للفيروسات والميكروبات ونصيحة.. إياك وأن تشمه.

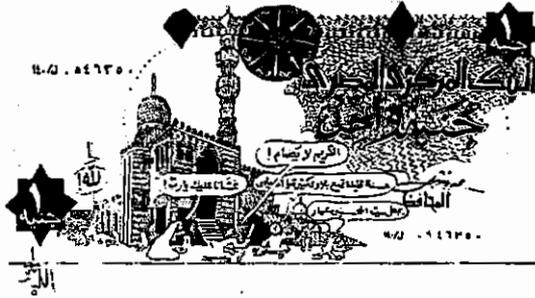
ويعد أن تغت الطفلة فيروز للريال (فئة العشرين قرشاً) في فيلم "ياسمين" عام ١٩٥٠ قائلة: "معانا ريال معانا ريال... دا مبلغ عال ماهوش بطل"، رسمها رمسيس ("صباح الخير"، ١٨ فبراير ٢٠٠٣) تقدم أغنيها بعد التعديل بما يتناسب مع متطلبات العصر "معانا مليار معانا مليار!!" كما غنى عمرو عكاشة باكياً في وداع الجنيه المشلول والمغلوب على أمره: "يا جنيه قولي رايح على فين... يا جنيه قولي وفايتي لمن". وقدم يحي الدين اللباد توقعاته للشكل الذي ستكون عليه ورقة البنكنوت فئة الجنيه بعد أن أدخل عليها بعض التعديلات حتى تتناسب مع المتغيرات المحلية، فيظهر أمام مسجد السلطان قايتباي (على وجه الجنيه) مجموعة من المتسولين (الشعب المصري) يطلبون صدقة. أما على ظهر الجنيه، فتظهر صورة جورج واشنطن، أول رئيس للولايات المتحدة، في إشارة هيمنة الدولار على الجنيه المصري.

• الجنيه يحصل ارتفاعه أيام الازدهار والبراد •

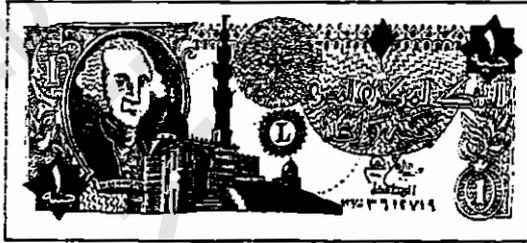


شكل ٣٠٥: الجنيه المصري !١

(الوقد، ٢٣ يوليو ٢٠٠٢)



شكل ٣٠٦: جنيهه المصري ١٢
(اللبان ١٩٨٧)



شكل ٣٠٧: جنيهه المصري ١٣
(اللبان ١٩٨٧)

ومؤخرًا صكت الحكومة من الجنيه عملة معدنية حتى "يشخلل" جيب المواطن، كخطة لإنعاش حركة شراء البطولونات المحلية ذات الجيوب بعد أن ركذ بيعها فترة!! وفي كاريكاتير لعمر وعكاشة نشر في صحيفة "٢٤ ساعة" (٢٠٠٩)، أحد الأشخاص يسير وجيوبه "تشخلل" من امتلائها بعملات فضية ويرد على شخص آخر ينادي عليه قائلاً: "أبو علي" مين.. دانا حاسس إني "أبو هب" بعد ما أخذت باقي الـ ٥٠ جنيه.. جنيهات فضة!!"

ويتوقع سمير عبد الغني ضياع هبة الجنيه محليًا وتفضيل تداول العملة الأجنبية بديلًا له، بينما يرى فرج حسن أن في هبوط "سعر" الجنيه تأكيدًا على أن ليس كل السلع أسعارها في ارتفاع. ووضحت دعاء العدل كيف أن فئات المجتمع محدودة الدخل أكثر تأثرًا بهبوط قيمة الجنيه. وفي لوحة كاريكاتورية بديعة، حسم مصطفى حسين نهاية المواطن المصري مصلوبًا على قدره "الجنيه" الذي لا مفر منه.



شكل ٣٠٨: الجنيه المصري!٤

"احمد رينا .. ايني بتعامل معاك بالجنيه المصري"

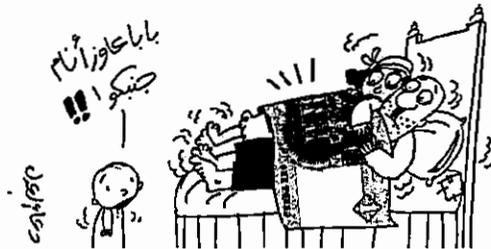
(العربي، ٧ سبتمبر ٢٠٠٣)



شكل ٣٠٩: الجنيه المصري!٥

"بالعكس فيه سلع "سعرها" يقل عنك مثلًا الجنيه.. "سعره" في النازل أهه"

(الأهرام، ٨ مايو ٢٠٠١)



شكل ٣١٠: الجنيه المصري!٦

(المصري اليوم - ١٩ ديسمبر ٢٠١٠)



شكل ٣١١: الجنيه المصري ١٧

(النصف الآخر، نصف الدنيا، ٩ نوفمبر ٢٠٠٢)

ونتيجة للأوضاع الاقتصادية السيئة، نمت لدينا ثقافة "الفاترينة" بشكل أصبح يستفز أصحاب المحلات والعاملين فيها، فمن المعتاد رؤية العشرات وقد اصطفوا أمام فاترينة ما وكأنهم يشاهدون "ماتش" كورة أو بوستر لمارلين مونرو. وشغلت هذه الظاهرة لب وريشة رسامي الكاريكاتير على ما يقرب من نصف قرن، فنجد كاريكاتير لكمال، في "صباح الخير" في أواخر الثمانينات، وفيه بائع الياميش يخاطب مذبة التلفزيون قائلاً: "حاليا عندي نوعين من الزباين.. نوع مستهلك وده نادر.. ونوع متفرج وده اللي متوفر!!"

وتسبب عدم توفر أو ارتفاع سعر رغيف العيش إلى تنغيص حياة المواطن المصري ليصبح شغله الشاغل، فبدونه لا يبدأ له بال ولا يبالي بأعياد أو مناسبات. من منا لا يتذكر شادية وهي تشدو في الثمانينات احتفالاً بتحرير سيناء: "ياللي من البحيرة وياللي من آخر الصعيد.. ياللي من العريش الحرة أو من بورسعيد.. هنوا بعضيكم وشاركوا جمعنا السعيد.. سينار جعت كملة لينا.. ومصر اليوم.. مصر اليوم في عيد". الأغنية التي ارتبطت بأعياد تحرير سيناء في ٢٥ إبريل، مع إنها لم "ترجع كاملة لينا"، فقد كان يتقصها طابا. فوفقاً لمعاهدة السلام ١٩٧٩، تعهدت إسرائيل بسحب قواتها كاملة من سيناء في ٢٥ إبريل من عام ١٩٨٢. إلا أن إسرائيل لم تلتزم بتاريخ الانسحاب وبحثت في جعلتها عن ادعاءات باطلة تفيد حقها في منطقة طابا، لتخلق بذلك أزمة سياسية ومحال النزاع إلى هيئة تحكيم دولية في عام ١٩٨٦، والتي أعلنت عن وجوب عودة طابا إلى أحضان الوطن الأم في ٢٩

سبتمبر ١٩٨٨. واختتمت المفاوضات بين مصر وإسرائيل بشأن طابا في ٢٦ فبراير ١٩٨٩، ليرفرف علم مصر أخيراً فوق سماء طابا في ١٩ مارس ١٩٨٩.

والثير للدهشة أنه بدلاً من أن تفرد المساحات الشاسعة احتفالاً بعودة طابا إلى السيادة المصرية، فرضت مشكلة رغيف العيش نفسها على الساحة الإعلامية وسرقت قدر من فرحة المصريين بعودة طابا. فعلى سبيل المثال، تنوعت العناوين والمواضيع في "روزاليوسف" من "صباح الخير يا طابا" و"عودة طابا" إلى "معركة رغيف العيش" و"قضايا تهريب الدقيق التي وصلت لـ ٥٠ قضية في شهر واحد" إلى "مسلسل بيع العيش في السوق السوداء". وفي إحدى تحقيقات "روزاليوسف" يفصح عمال المخازن وأصحابها بأنهم لعشرين سنة مضت لم يسبق وأن رأوا مثل هذه الطواير التي تتزاحم أمام مخابزهم!!

وأثر ذلك بالتبعية على الرسوم الكاريكاتورية التي مزجت بين احتفالات عودة طابا ومعارك طواير العيش. فصور محمد حاكم فرحة رجوع طابا بفرحة الأب (مصر) بعودة ابنه الصغير إلى أحضانه. ورسم جمعه فرحات ملاك السلام (على هيئة امرأة جميلة ذات جناحين) وهي تقلد الرئيس حسني مبارك نيشان طابا. ورسم محمد حاكم مبارك وهو يقود أفراد الشعب ويحمل علم مصر. ورسم رؤوف عياد مواطناً يتحدث على عامل "بمخبز زينهم" قائلاً: "عرفنا نفتح "منفذ طابا" .. مش عازفين تفتحوا "منافذ" لتوزيع العيش .. يا متخلفين...!!" وصور جمعة وزير التموين السابق جلال أبو الذهب وهو يعلن تخوفه من توفير رغيف العيش حتى لا ينادونه "بابو دقيق"! ويشدو رؤوف بإحدى أغاني عبد الحليم حافظ يجدها مناسبة لهذه الأزمة: "عيش" أيامك "عيش" لياليك... خلي شبابك يفرح بيك!!"



شكل ٣١٢: عودة طابا !!

(صباح الخير، ١٦ مارس ١٩٨٩)



شكل ٣١٣: عودة طابا!
(روز اليوسف، ٢٧ مارس ١٩٨٩)



شكل ٣١٤: وعادت سيناء!
(صباح الخير، ٢٩ أبريل ١٩٨٢)



شكل ٣١٥: أزمة رغيف العيش ١١

"عرفنا نفتح "منفذ طابا".. مش عارفين تفتحوا "منافذ" لتوزيع العيش.. يامتخلفين...!!"

(صباح الخير، ٣٠ مارس ١٩٨٩)



شكل ٣١٦: أزمة رغيف العيش ١٢

"خايف أوفر لهم العيش أحسن يسموني "أبو دقيق" مش "أبو الذهب"...!!"
(روزاليوسف، ٣ أبريل ١٩٨٩)

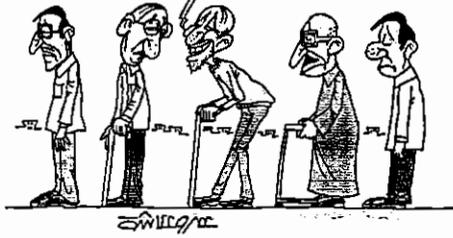


شكل ٣١٧: أزمة رغيف العيش ١٣

"-وفي ذكرى رحيل عبد الحلیم حافظ تقدم لكم أغنية "عیش" أيامك.. "عیش"
لياليك.. خللي شبابك يفرح بيك!!"
(صباح الخير، ٦ أبريل ١٩٨٩)

• الطوابير •

بقالي أسبوع ما شوفتش حد من عيلتي- العيال في طابور العيش والمعاش في طابور الجمعية !!



شكل ٣٢١: طابور العيش ١٤

"بقالي أسبوع ما شوفتش حد من عيليت.. العيال في طابور العيش وأهمهم في طابور الجمعية وأنا في طابور المعاش!!"

(٢٤ ساعة، ٢٠٠٩)

وصور مصطفى حسين فلاح كفر الهنادوة وهو يعرض على رئيس الوزراء وقائع الصراع القائم حول قانونية توريث مطرح "المرحوم طلبه الكلاف" في طابور العيش. وصور عمرو عكاشه كيف أن رغيف العيش أصبح أفيون المصريين، فرسم المواطن "يترجي" رئيس الوزراء أحمد نظيف "يديله شمه".

صورتان: ٣٢٢-٣٢٣
 ٣٢٢: صورة مصطفى حسين فلاح كفر الهنادوة وهو يعرض على رئيس الوزراء وقائع الصراع القائم حول قانونية توريث مطرح "المرحوم طلبه الكلاف" في طابور العيش. وصور عمرو عكاشه كيف أن رغيف العيش أصبح أفيون المصريين، فرسم المواطن "يترجي" رئيس الوزراء أحمد نظيف "يديله شمه".
 ٣٢٣: صورة مصطفى حسين فلاح كفر الهنادوة وهو يعرض على رئيس الوزراء وقائع الصراع القائم حول قانونية توريث مطرح "المرحوم طلبه الكلاف" في طابور العيش. وصور عمرو عكاشه كيف أن رغيف العيش أصبح أفيون المصريين، فرسم المواطن "يترجي" رئيس الوزراء أحمد نظيف "يديله شمه".



شكل ٣٢٢: طابور العيش ١٥

"...والإصاة إن المرحوم طلبه الكلاف سقط ميت وهو واقف في طابور العيش.. قامت مراته ووقت ابنها الواد جعدار مطرح أبوه في الطابور.. الناس زرجت في الطابور.. قالت لهم ده شرع الله وحق الولد يورث مطرح اللي كان واقف أبوه تلت تيام بلياليها لحد ما طب ساكت.. رد زغلول افندي وقال لها الكانون بيقول لازم إعلام وراثه عشان ابنك يورث

مطرح أبوه في الطابور.. قالوا اليه عاطف يكلم وزير التموين بيعت طويرة عيش لأم جعدار.. رد ابن ابو سليم قال ده تلاقي الوزير واقف طابور بقاله يومين.. نهايته كلفوني اترجى اليه عاطف يخلص لها إعلام الوراثة لجل ما الواد يورث مطرح أبوه في الطابور.. ربنا ما يوقعك في ديقة يا بيه ويحللي لك الكرسي ويجعله عامر"

(أخبار اليوم، ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٣)



شكل ٣٢٣ رغيف العيش!
(الوفد، أغسطس ٢٠٠٨)

ومن المآسي التي كثرت في الآونة الأخيرة ما يتعلق بأزمة "أنابيب البوتاجاز"، التي مازالت تشكل أحد مصادر الوقود الرئيسية المهمة في الحياة اليومية للأسرة المصرية. وتكثر المأساة حينما ينفذ في المستودعات الكمية المناسبة التي تكفي احتياجات المواطنين، لتنتشر مافيا السوق السوداء التي تستفيد من نقص الكميات لتبيعها أضعافاً مضاعفةً للأهالي، كما تظهر أعمال البلطجة في طوابير البوتاجاز لتكون أكثر ضراوة من مثيلاتها في طوابير العيش، ويقع من جرائها جرحى وقتلى. رسم توفيق في "المصري اليوم" (١١ من فبراير ٢٠١٠) مواطن معدم في صحراء جرداء وتحت قسوة الشمس القارصة يجري خلف سراب لأنبوبة بوتاجاز، يراها ولكن لا يستطيع الوصول إليها.

أما حلمي التوني فقد قارن في صحيفة "الأهرام" تحولات المرأة المصرية التي لقبها "بالجميلة" عبر العصور، ففي الزمن الماضي كانت "الجميلة" تحمل فوق رأسها بدلال "زلة" الماء أو الجبن، بينما في الحاضر، تبدو السيدة المصرية أكثر قبحةً وغضباً وأجدر على دخول معارك طاحنة للحصول على "أنبوبة البوتاجاز" التي أصبحت هي ما تحمله فوق

رأسها، في إشارة إلى كيف ساهمت البيئة "القاسية" في تحول المرأة المصرية، فستان بين "الزلة" و"أنبوية البوتاجاز".

حج تطوّر الجميلة المصرية عبر العصور !!



شكل ٢٢٤: تطوّر الجميلة المصرية عبر العصور!

(الأهرام، ٢٩ يناير ٢٠٠٩)

وعمل أيضًا الكاتب الساخر أحمد رجب مع الرسام عمرو فهمي في سلسلة "كفر الهنادوة" الكاريكاتورية، وفي الكاريكاتير التالي يحكي فلاح كفر الهنادوة لأحمد نظيف مشكلة الدعم وأنبوية البوتاجاز.

ووالد ابن ابو سليم آل يقول الحكومة حتشيل الدعم في الوقت اللي مجلس الشعب هايح على مصاريف الحكومة بالمربارات في الفشخرة والفتنجرة.. قلت له اخرس ياوله.. اخرس ايه.. يعني يصح بابا الحاج نشترى بمبة البوتاجاز بـ ٢٧ جنيه والرغيف بتلاتين قرش والحكومة بتاكل بغاشة؟ هب الشيخ حمزة وقال ده تمن باب واحد من المرشيدس.. يجيب



هبة جمال حبه وهدا بنور فهمي

شكل ٢٢٥: الحكومة والدعم!

"والواد ابن ابو سليم آل يقول الحكومة حتشيل الدعم في الوقت اللي مجلس الشعب هايح على مصاريف الحكومة بالمربارات في الفشخرة والفتنجرة.. قلت له اخرس ياوله.. اخرس ايه.. يعني يصح بابا الحاج نشترى بمبة البوتاجاز بـ ٢٧ جنيه والرغيف بتلاتين قرش والحكومة بتاكل بغاشة؟ هب الشيخ حمزة وقال ده تمن باب واحد من المرشيدس.. يجيب

الكاريكاتير السياسي

الشع الفلاني للدعم.. وراح مطلع السبحة السوداء بتاعة الدعا وهات يادعاع الحكومة وربنا يسلم ويجعله عامر"

(عمرو فهمي (١)، ٢٠١٠)

ومع زيادة معاناة فئات الشعب الكادحة، تصور دعاء العدل كيف تعوض بعض الأسر متطلباتها الترفيهية التي لا تستطيع توفيرها، مثل الذهاب إلى مصيف. ففي الكاريكاتير التالي، هيأ رب الأسرة الجو التخلي للمصيف، وكأنه هو وزوجته وأولاده يجلسون على شاطئ البحر.



شكل ٣٢٦: المصيف!

(المصري اليوم، ٧ يوليو ٢٠١٠)

ويعلن مبارك سنويًا عن العلاوة الاجتماعية التي تصرف في أول يوليو من كل عام، والتي ينتظرها جموع الشعب مع اذاركهم بأن العلاوة ستأتي ومعها كما هو معتاد زيادة في أسعار مواد غذائية رئيسية، وبالتالي لن "يلحقوا" ويهنؤوا بها، فباستأخذونه باليمين سيسلب منهم باليسار أضعافًا مضاعفة، ومع ذلك ينتظر الناس "العلامة" بفارغ الصبر.



شكل ٣٢٧: علاوة أم عظمة!

مسؤول: "الشعب ده مالهوش علاوة غير دي"

(الأهالي، ٢٢ يوليو ٢٠٠٥)

(١) عمرو فهمي، موقعه الشخصي، تم الاطلاع في ١٠ من ديسمبر ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:
<http://www.amr-fahmy.com/fallah.asp?c=4&id=2519>



شكل: ٣٢٨: العداوة!

"عشمتي بالحق... خرمت انا وداني... بعد ما قلت هسدد ديوني... بقيت أقول آه ياني... أشوف فيك يوم ياللي كسرت بخاطري وخاطر عيالي... يجييك ويحط عليك انت وحيبيك "الغالي"!"

(الدمتور، إبريل ٢٠٠٩)

وكان كل ما سبق لم يكن كافياً للتضييق على المواطن المصري، فأصدر وزير المالية السابق يوسف بطرس غالي لائحة تنفيذية لقانون جديد للضرائب العقارية، عرف بـ "قانون غالي"، رقم ١٩٦ لسنة ٢٠٠٨، والذي شمل على ٢٢ مادة يتم تطبيقها في يناير ٢٠٠٩، وهي ضريبة لا تحصل على وحدات تقل قيمتها السوقية عن ٤٥٠ ألف جنيه. تم الإعلان عن هذا القانون في ظل انتقاد وسخط واسع النطاق، فهناك من يرى أن الضريبة غير دستورية بالمرّة لانتهاكها صون الملكية الخاصة التي كفلها الدستور وانتهاكها مبدأ العدالة الضريبية التي تمنع اقرار ضريبة على رأس مال ثابت لا يدر دخلاً. وفي ظل إصرار الحكومة على تمرير القانون بعد الموافقة عليه من قبل مجلسي الشعب والشورى، فاجأ مبارك الناس، في زيارة له بكفر الشيخ (٢٠١٠)، بتصريحه بأن القانون "لم يحسن بعد"^(١)، مما شكل إحراجاً لحكومة أحمد نظيف آنذاك، الذي أصدر على أثره قراراً يقتضي بتجميد العمل بالقانون رقم ١٩٦ لسنة ٢٠٠٩ بشأن الضريبة على العقارات المبنية.

ومن المثير للدهشة أنه بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، أصدر المجلس العسكري مرسوماً عسكرياً يقضي بعودة فرض الضريبة على العقارات المبنية، وفقاً لأحكام "قانون غالي" رقم ١٩٦ لسنة ٢٠٠٩ (دون تعديل) اعتباراً من أول يناير ٢٠١٢^(٢)، في وقت يتهم صاحب

(١) محمد عبد السلام، تصريحات الرئيس مبارك بخصوص الضريبة العقارية، مقالات وكتاب، الأهرام الرقمي، ١٩ يناير ٢٠١٠، تم الاطلاع عليه في ٢٥ ديسمبر ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=73109&eid=2555>

(٢) المجلس العسكري يعيد فرض "الضريبة العقارية"، "العصري اليوم"، ١٦ سبتمبر، ٢٠١١.

القانون الوزير السابق بإفساد الحياة الاقتصادية والسياسية. لم يلق المرسوم العسكري صدى في الشارع لانصراف انتباه الناس لتحديات ما بعد الثورة كنتيجة لاستمرار الاحتجاجات والانفلات الأمني والهبوط الاقتصادي، كما سنشير إليه لاحقاً.



شكل ٣٢٩: كبسة..كبسة!

"مبارك: الضريبة العقارية لم تحسم بعد!"

(للصري اليوم، ٢٠ يناير ٢٠١٠)



شكل ٣٣٠: لضرائب العقارية!

"بتدفع عليه ضرائب؟"

(صباح الخير، ٢٦ يناير ٢٠١٠)

وسلطت الرسوم الضوء على بعض الدراسات التي أفادت بأن نسبة المواطنين المصريين المصابين بالاكتئاب بسبب التدهور الاقتصادي الحالي في ازدياد. ففي كاريكاتير له نشر بالوفد، حمل عمرو عكاشة الحكومة المسؤولة للحالة النفسية التي وصل إليها المواطن المصري. ويؤكد سمير عبد الغني على أنه ثمة علاقة بين سوء الأحوال الاقتصادية التي يعيشها المواطن المصري وانتشار مرض الاكتئاب. وطبعاً لم يفوت الكاتب الساخر أحمد

زجج الفرصة في تقديم رد تحييلي لرئيس الوزراء عاطف عبيد عن مسألة الاكتاب هذه، وأجده من أطرف ما كتبه أحمد رجب في مسألة الغلاء والتدهور الاقتصادي.

• ١١ مليون مصري مصادون بالاكتاب •



شكل ٣٣١: الاكتاب ١١

"ولسه.. في الخطة الخمسية الجارية هيوصلوا ل ٦٦ مليون!!"

(الوفد، ٢٠٠٣)



شكل ٣٣٢: الاكتاب ١٢

"احكي لك ايه يا دكتور... هو انت مش من البلد دي؟"

(العربي، نوفمبر ٢٠٠١)



شكل ٣٣٣: الاكثات ١٣

"محتقولي الغلا والكوا أقولك كداب مفيش لا غلا ولا كوا.. محتقولي الجنيه نزل النص أقولك كداب الجنيه بخير ومكتوب عليه جنيه مش نص جنيه.. محتقولي الناس بتشتكي أولك كداب محدش ييشتكي إلا أنت.. محتقولي الناس عندها أكتاب أقولك كداب.. الناس كلهم مبسوطين ومن انبساطهم نازلين تنكيت ع الحكومة ويضحكوا.. محتقولي يجعله عامر أقولك عامر غصبن عنك"

(أخبار اليوم، ١ مارس ٢٠٠٣)

وزادت في السنوات الأخيرة نسبة الانتحارات خاصة من ذوي معدومي الدخل. وشهد عام ٢٠١٠ حادثة انتحار لشاب شقق نفسه من أعلى سور كوبري قصر النيل، لفشله في الارتباط بحييته، ليترك جسده يتدلى في وسط زهول الناس المارة ومحاولات إنقاذ فشلت أن تلحقه قبل أن يلفظ أنفاسه، وسبقه بعدة سنوات أب شقق نفسه أعلى كوبري فيصل لياسه وعدم قدرته على تلبية احتياجات أسرته. ومما لاشك فيه أن الظروف الاقتصادية الصعبة هي على رأس أسباب محاولات الانتحار.

ويتتقد مخلوف كيف أن الخوف من التورط ظلمًا في أي من الحوادث التي يمكن أن تقع على قارعة الطريق كان السبب في انتشار ظاهرة السلبية وقتل "النخوة" المعروفة بها الشعب المصري.



شكل ٣٣٤: ظاهرة الانتحار !!

أسد قصر النيل: "إلحق في واحد بيهحاول يتتحرر!!"
 أسد قصر النيل الثاني: "يا عم ملناش دعوة أحسن يقولوا إحنا اللي موتناه!!"
 (المصري اليوم، ١٢ يونيو ٢٠١٠)



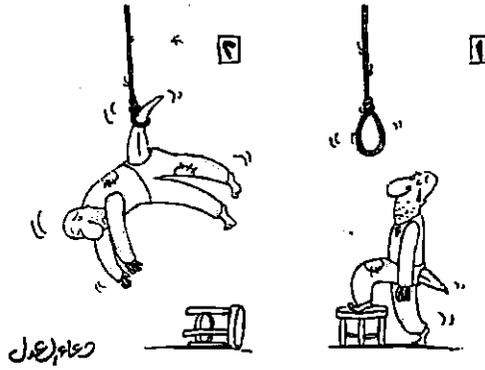
شكل ٣٣٥: ظاهرة الانتحار ١٢

ناوي يتتحر: "لو سمحت يا أخ.. اللي عايز يروح كوبري قصر النيل من هنا يركب ايه؟!"
 (المصري اليوم، ١٢ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٣٣٦: ظاهرة الانتحار ١٣

متتحر: "طب واللي أنا عايش فيه بدمتك ماسمهوش كفر برضه..!!"
 (المصري اليوم، ١٢ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٣٣٧: ضاهرة الانتحار ١٤

(المصري اليوم، ١٢ يونيو ٢٠١٠)

نظيف: مستوى المعيشة في ارتفاع مستمر



شكل ٣٣٨: ضاهرة الانتحار ١٥

نظيف: "مستوى المعيشة في ارتفاع مستمر"

(المصري اليوم، ١٣ يوليو ٢٠١٠)

واشتد البؤس بالشباب ليقع فريسة الهجرة غير الشرعية لدول بأوروبا مثل قبرص أو اليونان أو إيطاليا، وانتهزت عصابات الهجرة حاجة الشباب الماسة للعمل وضيق حالهم وقلة حيلتهم لتحملهم على قوارب قديمة متهالكة تكون دائماً مسيرها محتوم في مشهد مأساوي تكرر مراراً، إما بغرقهم أو في النهاية باعتقالهم فور وصولهم بعد رحلة شاقة. وأصبح خبراً "عادياً" أن تقرأ عن حادثة مروعة راح ضحيتها فوج من الشباب المصري غرقاً في عرض البحر بعد أن غرقت معهم أحلامهم وأمانهم وكل ما يملكونه من مال دفعوه ثمناً لهذه المغامرة.

جمد الحياة السياسية:

شهدت مصر في هذه الفترة ركودًا في الحياة السياسية وغياب أحزاب سياسية فعالة وانعدام المشاركة في عملية صنع القرار. وظهرت الرسوم الكاريكاتورية تنادي بأهمية الإصلاح السياسي لتحسين التدهور الاقتصادي الملحوظ الذي تشهده مصر وتطالب بإجراء تغييرات جذرية كوسيلة لتفعيل الحياة السياسية، وتعبّر عن سخط الجماهير تجاه الوضع السياسي الراهن. وظهرت معظم الرسوم التي تتناول مناخ الحياة السياسية في مصر في صحف المعارضة أو المستقلة أو الناطقة بغير اللغة العربية، وهذا لانسامها بسقف حرية أكبر مما هو متاح في الصحف الرسمية.



شكل ٣٤١: التغيير الوزاري!

"مفيش فايده.. حالته مش هتتحسن إلا إذا حصل تغيير وزاري!!"
(الأهرام ويكلي، عدد ٦٣٨، سنة ٢٠٠٣)



شكل ٣٤٢: الإصلاح السياسي!

"بعد الإصلاح السياسي والاقتصادي في عصر عاطف عبيد.. مصر بقت نجين"
(العربي، ٧ سبتمبر ٢٠٠٣)

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه لا وجود لهيكل سياسي واضح لمصر، فيرى بعض المحللين أن سياسة مبارك قد اتخذت خطأً وسطاً بين اشتراكية ناصر الحازمة وبين نظام السادات الأكثر رأسمالية. إلا أن مبارك اتسم ببعض المرونة عن سابقه عندما سمح بعودة الأحزاب السياسية وفتحها وتقبل النقد. يسمح بنشاطات وحركات أكثر سياسية^(١). ومع ذلك شهدت مصر غياب لدور حزبي نشط قادر على لبقاء باستثناء الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، كما شهدت غياب حوار وطني حقيقي بين الأحزاب لسياسية مما عكس هيمنة الحزب الحاكم على مجريات الحياة السياسية وعلى عملية صنع القرار بما شكل تهديد حقيقي للعملية الديمقراطية وللتداول السلس للسلطة (انظر الرسوم التالية).



شكل ٣٤٣: الحزب الوطني ١١

"حوار الحزب الوطني وليس الحوار الوطني"

(الوقد، عدد ١٠٢٣، ٢٠٠٣)

ويعتمد عمرو وعكاشة بأن قانون الطوارئ (الذي بقي العمل به ساريًا منذ اغتيال السادات وحتى يومنا هذا) له دور كبير في شل الحركة السياسية. كما صور عمرو وعكاشة كيف أن قانون الطوارئ كان إحدى آليات الحزب الوطني للهيمنة على الأحزاب الأخرى!

فوز الحزب الوطني في المرحلة الأولى للانتخابات التشريعية



شكل ٣٤٤: قانون الطوارئ ١٢

فوز الحزب الوطني في المرحلة الأولى لانتخابات الشورى
الأحزاب: لو راجل صحيح .. انزل لي!!"

(الوقد، ٢٢ مايو ٢٠٠١)

(١) ديريك هوبود: المرجع السابق.

وطالبت قوى وحركات معارضة ومنظمات حقوق إنسان وقف العمل بالقانون لما فيه من انتهاكات وتقييد للعمل السياسي، حيث يميز اعتقال أشخاص لفترات قد تطول ويدون محاكمة، كما يميز انتهاك الحرية الشخصية وخصوصيتها في الاجتماع والانتقال والإقامة. واستقبل بخيبة أمل كبيرة موافقة مجلس الشعب في ١١ مايو ٢٠١٠ على تمديد فترة العمل بالقانون لعامين إضافيين، على أن يكون مقصوراً على مكافحة المخدرات والإرهاب، فانفجرت الاحتجاجات والمظاهرات المطالبة بإنهاء حالة الطوارئ. نقد محمد أنور انتهاك المادة الثانية لخصوصية المواطن المصري التي تميز "وضع قيود على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والإقامة". ويرى مصطفى الشيخ بأن "قانون الطوارئ" ما هو إلا العصا التي يتوكأ عليها الرجل الأعمى (الحزب الوطني)، بينما يرى مخلوف بأن المواطن المصري قد "اتهرى قفاه" من تفعيل قانون الطوارئ حتى أنه لا يوجد مكان لمزيد من الانتهاكات!

◆ المادة ٢ من قانون الطوارئ: يجوز وضع قيود على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والإقامة



أور 2010

شكل ٣٤٥: قانون الطوارئ!

"المادة ٢ من قانون الطوارئ: يجوز وضع قيود على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والإقامة"

رجل الأمن: "كفاية عليك كده.. فز قوم..!"

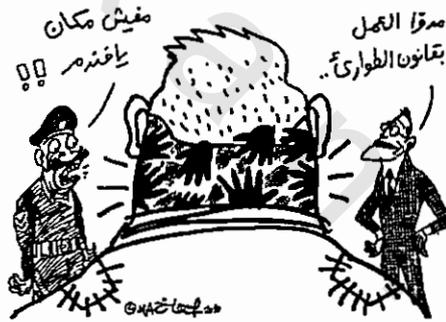
(المصري اليوم، ١٥ مايو ٢٠١٠)



شكل ٣٤٦: قانون الطوارئ ١٤

مواطن: "أصله من غيرها ما يشوفتش!!"

(الوفد، ١٣ مايو ٢٠١٠)



شكل ٣٤٧: قانون الطوارئ ١٥

مسؤول: "مدوا العمل بقانون الطوارئ.."

رجل الأمن: "مفيش مكان يا فندم!!"

(المصري اليوم، ١٨ أبريل ٢٠١٠)

وزاد من سوء الحالة السياسية، التدهور الملحوظ في أداء الحكومات المتعاقبة، وتحول الوزراء شيئاً فشيئاً لأقرب لسكرتارية عن كونهم أصحاب قرار. وارتبطت كل حكومة بقضية ما أو أزمة ما، وبالتالي كان رئيس الحكومة موضع النقد في الرسوم الكاريكاتورية.

الكاريكاتير السياسي

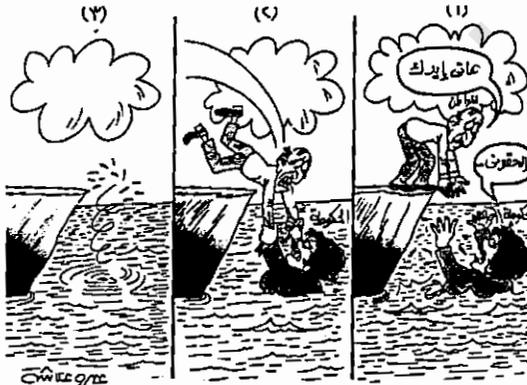
فعلى سبيل المثال، نقد رؤوف عياد سياسة رئيس الوزراء عاطف صدقي التي اعتمدت على الخصخصة وأدت إلى التضخم وانخفاض قيمة الجنيه.



شكل ٣٤٨: حكومة عاطف صدقي!

الطبيب: "طبعاً الخصخصة.. والتضخم.. وانخفاض الجنيه.. وزيادة الكوليسترول.. كل دول مع بعض يعملوا أزمة ورا أزمة تهدد اللي ما يتهدد...!!"
(صباح الخير، ١٩٩١)

ويرى عمرو عكاشة بأن الأداء الحكومي بشكل العام من شأنه "إغراق" المواطن المصري لا مساندته. أما دعاء العدل فتصور الوزارات أو الأجهزة المعنية بالجزر المنعزلة التي لا تستطيع أن تصل إلى المحتاجين!



شكل ٣٤٩: عندما تنفذ الحكومة مواطنًا!

(الوفد، ٩ مارس ٢٠٠٤)



شكل ٣٥٠: الجزر المنعزلة!

(المصري اليوم، ١١ فبراير ٢٠١٠)

وشهدت آخر فترة مبارك أسوأ حكومة على الإطلاق والتي كان يرأسها أحمد نظيف والتي تم تشكيلها في يوليو ٢٠٠٤ وفقاً لخريطة الطريق لمشروع التوريث، والتي كان من أهم ملاحظتها هو تعيين بعض رجال الأعمال والمستثمرين كوزراء، لتلقب بوزارة "رجال الأعمال" أو وزارة "البيزنس" التي باركت التزاوج بين السلطة والمال، كما شهدت علاقة نسب وقرابة بين بعض وزرائها تحقيقاً لمبدأ "الشللية"، وكان جلياً وقوف الابن جمال وراء بعض هذه التعيينات. كما سميت أيضاً بـ "وزارة الكوارث" في إشارة إلى حجم المصائب والكوارث التي شهدتها نتيجة للإهمال والفساد.



شكل ٣٥١: كوارث حكومة نظيف!

العرافة: "بصرت وبنجمت كثيرًا.. لكنني لم أشهد أبداً فنجاناً يشبه فنجانك.."

(الوفد، ٢ نوفمبر ٢٠٠٩)

وانتقد كثير من الرسامين أداء حكومة نظيف وعدم مباليتها بمعاناة الناس، وتصريحاتها التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ومع زيادة الاحتجاجات في تلك الفترة، لم تأخذ الحكومة أي موقف فعلي لامتصاص تدمير وغضب الشارع المتصاعد.



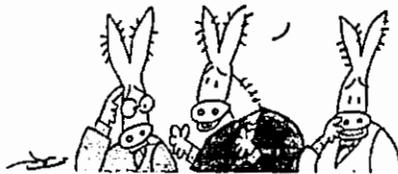
شكل ٣٥٢: حكومة نظيف!

رئيس الوزراء أحمد نظيف: "ما شربتش من نيلها.. جربت تغني لها.. جربت في عز ما تحزن تمشي في شوارعها وتشكي لها!"

(الاستور، ١٥ أغسطس ٢٠٠٩)

ومن الجدير بالذكر أن نظيف كان يتولى منصب وزير الاتصالات والمعلومات قبل توليه رئاسة الحكومة، وبالتالي اهتم خلال فترة حكمته بتنفيذ عدد من المشاريع والبرامج الخاصة بتكنولوجيا المعلومات، ودعم انتشار وسائل الاتصال والخدمات الإلكترونية، ولعله السبب وراء تسمية حكومته بالحكومة الإلكترونية أو الحكومة الذكية. إلا أن بعض المختصين يرون بأن الحكومة ساهمت في تراجع معدلات التنمية وذلك لإهمالها قطاعات كبيرة مؤثرة في الدولة مثل قطاع الصحة والتعليم والنقل والسياحة والصناعة والزراعة، كما لم تستطع السيطرة على ظاهرة ارتفاع الأسعار بشكل عام وأسعار المواد الأساسية بشكل خاص، في ظل تردي الظروف الاقتصادية وزيادة التضخم وتدني مستوى الأجور، مما كان سبباً لانفجار الكثير من الاحتجاجات والاضطرابات والاعتصامات خاصة بين فئة طبقة العمال والموظفين بالهيئات الحكومية. الأمر الذي جعل بعض المراقبين يلقبها بالحكومة "الغبية"!

حاجة غريبة جداً.. اسمنا الحكومة الذكية وعندنا القرية الذكية والمدرسة الذكية والكروت الذكية ويرضه البلد بترجع! تفكر سعادتك السبب إيه؟

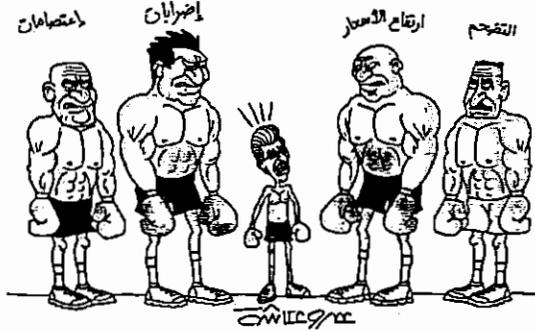


شكل ٣٥٣: الحكومة الذكية هنجت!

"حاجة غريبة جداً.. اسمنا الحكومة الذكية وعندنا القرية الذكية والمدرسة الذكية والكروت الذكية ويرضه البلد بترجع! تفكر سعادتك السبب إيه؟!"

(المصري اليوم، ٢٧ فبراير ٢٠١٠)

• بدون تعليق •



شكل ٣٥٤: حكومة نظيف!

(الاستور، ٢٠ إبريل ٢٠٠٩)

وقدم عمرو عكاشة رائعته "وزارة فرقة" بصحيفة "الوفد"، والتي بها عدد من من الشخصيات الكاريكاتورية التي ابتكرها، والتي يقدم من خلالها أخبار لا تخلو من الاسقاطات على أداء الوزارات في مصر وقتها. ومن أهم الشخصيات التي قدمها عمرو: "ختار قطارة" وزير المياه المقطوعة، "سمير بخير وزير الشؤون اللي بره"، و"سلومة الزير ووزير الصفر"، و"بكر سطر ووزير التعليم"، و"شلي محلك سر وزير القوى العاملة"، و"نوفل عبده نوفل، وزير شؤون الآخرة"، و"حنفي بيك أب وزير النقل"، و"مطاوع وز وزير الحديد"، و"طشطوش الدش مفتي القضايات"، وآخرون.



هيمي البوهيمي - وزير الثقافة



بستانة الهفانة. الشؤون الاجتماعية

شكل ٣٥٥: وزارة فرقة!

"هيمي البوهيمي وزير الثقافة وبستانة الهفانة وزيرة الشؤون الاجتماعية"

(الوفد، ٢٠٠٧)

الكاريكاتور السياسي

وكان من أهم رموز حكومة نظيف رجل الأعمال أحمد عز، الذي كان يشغل منصب أمين التنظيم وعضو لجنة السياسات بالحزب الوطني الديموقراطي الحاكم، والذي عرف عنه احتكاره للحديد، من خلال رئاسته لمجموعة شركاته "عز" للحديد، مما شكل عبئًا كبيرًا على المواطنين، والذي أشار إليه البعض بأنه كان مهندسًا لانتخابات مجلس الشعب ٢٠١٠، والتي تعتبر من الأسباب التي عجلت بثورة لغضب، والذي استقال في اليوم التالي من جمعة الغضب (٢٨ يناير ٢٠١١) من الأمانة العامة للحزب.

• فوازير رمضان •



شكل ٣٥٦: فوازير رمضان!

"تاجر في ديون مصر وعمل مليار مليار.. والي زيه وفي سنه شافين المرار... عاوز ياخذ كل حاجه ويقول الشعب هو اللي اختار.. قسم البلد كلها فقوس وخيار!"
(الدمتور، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩)

وشهدت هذه الفترة ظاهرة نهب أراضي الدولة والمال العام، ما جعل عمرو عكاشة يلقبها بـ "أزهي عصور الحرامية"، حيث يشعر "الحرامية" بالأمان والامتنان لبلدهم مصر. وفي كاريكاتير آخر، يتتقد عكاشة أسلوب النظام "الراعي" للصمص، إلى الحد الذي قد يكافئهم على سرفاتهم، ويتضح من شكل "الأثف" أن المسؤول الجالس في الكاريكاتير هو مبارك شخصيًا (انظر الرسوم التالية).

الدرامية

أزهي عصور الديمقراطية

مجموع

شكل ٣٥٧: أزهي عصور الحرامية!

(الدمتور، ٩ يوليو ٢٠٠٩)



شكل ٣٥٨: ما يقايب الأراضي!

"عظيمة يا مصر.. يا أرض النعم!!"

(اللمتور، ٢٠ أغسطس ٢٠٠٩)



شكل ٣٥٩: مينا توزع المناصب!

"وحياتي عندك تقبل المنصب.. كفاية التعب اللي تعبته في الوزارة اللي سبقتها.. خذلك رئاسة شركة ولا اتنين!!"

(اللمتور، ٢ يوليو ٢٠٠٩)

وبات أن الاهتمام الأكبر ذهب إلى الاستثمار العقاري خاصة في شكل منتجعات سياحية وشواطئ خاصة بتقديم تسهيلات لمستثمرين مصريين وعرب وأجانب، في الوقت الذي مازال يحرم فيه أهالي سيناء من حق امتلاك أرضي لهم على أرض سيناء!!

و سيناء رجعت كاملة لينا
و مصر البراءة من كيدنا



شكل ٣٦٠: أهالي سيناء!

مستثمرين عرب وأجانب وأصحاب منتجعات وشواطئ خاصة: "وسيناء رجعت كاملة لينا.. ومصر اليوم في عيد!!"

(المصري اليوم، ١٩ يوليو ٢٠١٠)

الكاريكاتير السياسي

طلبت جميع الأحزاب المعارضة بتعديل بعض مواد الدستور الذي أقره السادات في سبتمبر من عام ١٩٧١، وعلى رأسها المادة ٧٧ التي تقرر عدد الفترات التي تسمح بإعادة انتخاب الرئيس. ففي الأصل، نانت المادة ٧٧ تقر بأن الرئيس يجوز إعادة انتخابه لفترتين فقط، إلا أن السادات غير "الفترتين" وجعلها مدة مفتوحة^(١). وورسم حجازي شخص يشرح لفئات المجتمع نصوص الدستور قائلا: "حسب نص الدستور، ماده أولى زبطة وزمبليطة ومبايعة، ماده اتنين زبطة وزمبليطة واستفتاء، ماده ثالثه زبطة وزمبليطة وتهازي^(٢)!" وباءت محاولات الأحزاب والمعارضين جميعها بالفشل في ظل حكومة وصفها عمرو عكاشة بالصماء التي لا تتفاعل مع المطالب الشعبية من إجراء إصلاح سياسي أو تعديل للدستور. ويصور شريف عرفة قري المعارضة على هيئة "دمى" يحركها النظام، في إشارة إلى ضعفها.

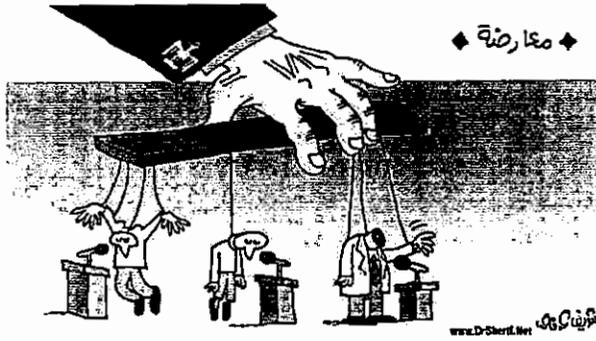


شكل ٣٦١ الحكومة صماء!
(الوفد، ٢٧ أغسطس ٢٠٠٣)

(١) جمال عصام السنين: 'It won't happen here.' Home. (2004). Gamal Essam El-Jin.

Al-Ahram Weekly. Issue 672.

(٢) الكاريكاتير وحقوق الإنسان، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة. جمعية الكاريكاتير المصرية، دار المستقبل العربي. القاهرة، ١٩٩٠.



شكل ٣٦٢: قوة المعارضة!

(٢٥ يونيو ٢٠١٠، www.drsheif.net)

وشيئاً فشيئاً نمت لدينا ثقافة الكراسي، فما أن يصل أحدهم إلى منصب ما حتى يفعل المستحيل للاحتفاظ "بكرسيه" لأطول فترة ممكنة. وألهمت ثقافة الكراسي العديد من الرسامين الذين باتوا يخللون سبب التصاق أصحاب المناصب في كراسيهم. يعتقد محيي الدين اللباد بأن سر التصاق ذوي المناصب الرفيعة في كراسيهم مدة طويلة هو لاستخدامهم الغراء الشهير "أوهو" السريع المفعول. ووصف سمير عبد الغني إزالة أي مسؤول عن منصبه بالعملية الصعبة إن لم تكن مستحيلة.



شكل ٣٦٣: الكرسي !!

(اللباد، ٢٠٠١)



شكل ٣٦٤: الكرسي ١٢

(نهضة مصر، ٩ ديسمبر ٢٠٠٣)

وكان طبيعياً أن يشجع هذا الجو، الذي انعدم فيه تداول سلس لأي سلطة، العاملين على منافقة رؤسائهم والسعي لإرضائهم لضمان احتفاظهم هم أيضاً بوظائفهم لأطول فترة ممكنة. كما شجع انتشار ظاهرة المحسوبية (الكوسة) لضمان الحصول على وظيفة ما أو لضمان الإبقاء عليها (انظر الرسوم التالية).



شكل ٣٦٥: الكرسي ١٣

(كاريكاتور ح.كم، ١٩٩٧)



شكل ٣٦٦: كوسة ١١

"مين آده .. وراه ظهر كبير مسنود عليه!!"

(الأهرام، ١٦ أكتوبر ٢٠٠٣)



شكل ٣٦٧: أرض التناقض!

"نحن غرابه عبد عبد... نحن غرابه عبد عبد..."

(الدستور، ٢٩ سبتمبر ٢٠١٠)

وتعتبر الانتخابات الرئاسية التي أقيمت في ٧ سبتمبر من عام ٢٠٠٥ هي أول انتخابات تعددية بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ لاختيار رئيس للجمهورية. فقد طالب وقتها مبارك في خطوة اعتبرت مفاجأة وإيجابية بتعديل المادة ٧٦ من الدستور المصري لفتح الباب لمن ينطبق عليه الشروط لترشيح نفسه رئيساً للجمهورية.

وبالفعل نافس مبارك ذو السبعة والسبعون عامًا وقتها على مقعد الرئاسة تسع مرشحين: أيمن نور رئيس حزب الغد وقتها، ونعمان جمعة رئيس حزب الوفد الجديد وقتها، وأسامة شلتوت رئيس حزب التكافل الاجتماعي، ووحيد فخري الأقصري رئيس حزب مصر العربي الاشتراكي وقتها، وإبراهيم ترك رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي وقتها، وعمدوح قناوي رئيس حزب الدستوري الاجتماعي الحر، وأحمد الصباحي خليل عن حزب الأمة، وفوزي خليل غزال عن حزب مصر ٢٠٠٠، والسيد رفعت العجرودي عن حزب الوفاق القومي.

وفاز وقتها مبارك بأغلبية الأصوات بنسبة ٨٨، ٥٧٪ يليه أيمن نور بنسبة ٧، ٥٨٪ ونعمان جمعه بنسبة ٩٣، ٢٪، ومع أنها كانت تجربة جديدة، إلا أن لجان الانتخابات شهدت نسبة مشاركة ضئيلة بلغت ٩٥، ٢٢٪ لإجمالي المحافظات، كما رصدته موقع "لجنة الانتخابات الرئاسية" التابع لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار^(١)، بما يمثل مؤشرًا سلبيًا.

(١) لجنة الانتخابات الرئاسية ٢٠٠٥، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، تم الاطلاع في ٥ يونيو من

على الموقع الإلكتروني:

<http://www.egyptelection2005.gov.eg/election2005/ElectionTotalStatistics.asp>

الكاريكاتير السياسي

كما قابلت الانتخابات عقبات كثيرة أمام نزاهتها كان من أهمها كشوف الناخبين التي ثبت أنها تحمل العديد من أسماء المتوفين، مثلاً.

وتعتبر قضية "التوريث" أحد القضايا التي قابلها رفض شعبي، وأحد الأسباب الرئيسية التي عجلت بالثورة، التي كان من أهم مطالبها تيسير تداول السلطة. وقد أعلن الرئيس مبارك في أكثر من مناسبة بأن نجله لن يخلفه بأي حال من الأحوال، وأنه لا يوجد توريث للحكم في مصر. كما سبق وصرح جمال مبارك شخصياً بأن الترشح للرئاسة ليس في ذهنه أبداً. ومع ذلك لم يصدق الشارع المصري هذه التصريحات وأصبح واثقاً من أن ثمة سيناريو معداً سلفاً لخلافة جمال لوالده. وشجع من ترسيخ هذا الاعتقاد تولي جمال منصب رئيس لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم. وأسهمت الرسوم الكاريكاتورية هي الأخرى في ترسيخ وجودية "للتوريث" لدى النظام، وحذرت منه وانتقدته (انظر الرسوم التالية).



شكل ٣٦٨: فيه توريث!

"مفيش نوريث .. فيه توريث .. فيه توريث .. فيه توريث!!"

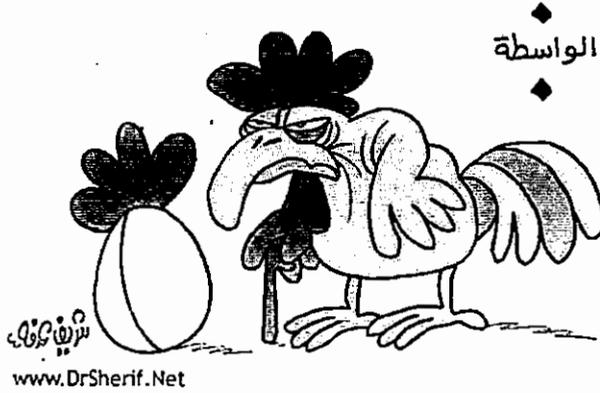
(الدستور، ٥ إبريل ٢٠٠٩)



شكل ٣٦٩: القراءة الرشيدة!

"ت: تبات في الكرسي، و: واضح زي الشمس، ر: رجل الأعمال، ي: يجوز يجي بدري،
ث: ثورة على الحرس القديم"

(الدستور، ١٦ إبريل ٢٠٠٩)



شكل ٣٧٠: الواسطة!

(www.drsherif.net، ٢٥ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٣٧١: الحزب الوطني وجمال مبارك!

"حالياً بنجاح ساحق فيلم الموسم "أنا"، بطولة: جمال مبارك بالاشتراك مع: جمال مبارك وضيف الشرف: جمال مبارك، قصة وسيناريو وإخراج: الحزب الوطني" (الدستور، ٥ يونيو ٢٠٠٩)



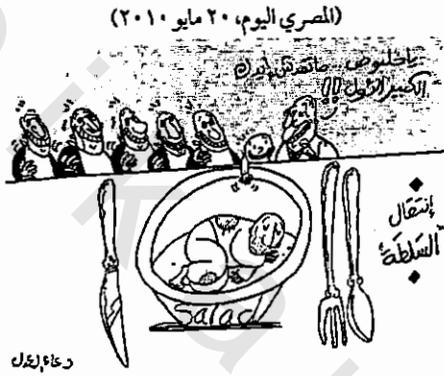
شكل ٣٧٢: المسرح السياسي!

المخرج: " وأول ما أديك الإشارة.. تتطلع انت وأكومبارس تقولوا اللي اتفقنا عليه!"
 الملقن لجمال مبارك: "قول ورايا.. منكم ولكم ويكم.. من أجلكم رشحت نفسي.."
 ضابط الشرطة (الحكومة) للعلم سام: "أهم حاجة تكون ميسوط احنا مانقدرش على زعلك!"
 أحد المتفرجين: "يقولوا اللي يخرج عن النص.. هيقصفوا رقبته!!"
 أحد المتفرجين لآخر: "مصرية ايه دي?"
 يردهم: "التوريث!"
 أحد المتفرجين: "أمال فين باقي الأبطال?"
 يردهم: "يا اتسجنوا.. ياسافروا بره!!"
 أحد المتفرجين: "أنا سمعت انهم هيجيوا "محلل" الأول قبل ما يظهر البطل!!"
 أحد المتفرجين: "يظهر ان "السنيدي" هيطلع في الفصل الأخير!"
 أحد المتفرجين يرتكن على وساده: "ده فيلم الحفيد?"
 يردهم وهو مستلقي هو الآخر على وساده: "لا.. التوريث!"
 أحد المتفرجين يسأل متعجباً من يجلس بجانبه: "بتعمل ايه?"
 يردهم: "بقرا الفاتحة على روح المعارضة!"
 أحد المتفرجين: "يقولوا المسرحية كانت ٣ فصول.. بس خلوها فصل واحد عشان الظروف!!"
 (الدستور، ١٧ يونيو ٢٠٠٩)



شكل ٣٧٣: التوريث!

الابنة: "وتفتكر يا بابا ممكن على أيامنا ست توصل لمنصب الرئاسة!!؟"
الأب: "هاها... ولا راجل وحياتك!!"



شكل ٣٧٤: انتقال السلطة!

الأب لإبنة الصغير: "يا خلبوص ... ما تمدش إيدك .. الكبير الأول!!"
(المصري اليوم، ٤ أكتوبر ٢٠١٠)

وأصاب عمرو سليم غيرة شديدة ونقد استغلال التشابه بين الاسمين: اسم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والشاب جمال مبارك الذي يتطلع للسلطة، ولأنه شتان بين الاسمين، رسم بجرأته المعهودة يحذر المستهلك من الاسم التقليد. كما أثيرت حفيظة سليم عندما تم استغلال الأغنية المعروفة "جمال حبيب الملايين" التي أعدت مخصوصاً لجمال عبد الناصر في حملة الدعاية لجمال مبارك للترشح لرئاسة الجمهورية. فقد استخدم منسقو الحملة الأغنية كخلفية لفيلم تسجيلي عن جمال مبارك تم عرضه في جولات ميدانية في عدد من المحافظات لجمع توقيعات مؤيدة لجمال. فرسم سليم الرئيس الراحل يطالب بمقاضاة مستغلي الأغنية التي أعدت خصيصاً له، والتي غناها عبد الحليم حافظ وكان مطلعها: "يا جمال يا حبيب الملايين .. يا جمال .. ماشيين في طريقك مش ناسيين .. يا جمال .. يا حبيب الملايين .. للنور طالعين .. للخير رايمين وإياك يا حبيب الملايين.. إحنا الملايين إحنا الملايين".



● عزيزي المستهلك - هذا المنتج أصلي .. أحمسج آخر
بنفس الاسم تقيم .. احذروا التقليد

شكل ٣٧٥: جمال الأصلي وجمال التقليد!

"عزيزي المستهلك .. هذا المنتج أصلي .. أي منتج آخر بنفس الاسم تقليد .. احذروا التقليد"

(المصري اليوم، ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠)



شكل ٣٧٦: حملة جمال مبارك .. يا جمال يا حبيب الملايين!

جمال عبد الناصر: "حارفع قضية غش وتدليس! أغنية يا جمال يا حبيب الملايين" اتعملت لي أنا مش لأني حد تاني!"

(المصري اليوم، ٦ سبتمبر ٢٠١٠)

وقدم عمرو عكاشة رائعته "سلطنة بورنجا"، التي نشر جزء كبير منها على صفحات "الدستور"، والتي شملت إسقاطات على أهم الأحداث الداخلية في السلطنة (مصر)، وعلى حاكمها "عظمة السلطان مارينجوس"، الذي يمهد لحفيده الأمير كهرمان أن يخلفه. يقدم عكاشة السلطنة بقوله: "بلدنا يا بورنجا يا بلد القسيخ والرنتجة .. ماسكينك الحرامية وشافطينك زي السفنجة .." ومن أهم حاشية "الافتكاسات السلطانية"، التي يرأسها الأمير كهرمان، شهبندر التجار صباح الجاه والعز، في إشارة إلى رجل الأعمال أحمد عز. المثير للدهشة أن عكاشة قد تنبأ بعدة أحداث ووقائع من خلال السلطنة قبل حدوثها في الواقع. مثال ذلك كتابة عكاشة عام ٢٠١٠ عن وقائع زيارة السلطان مارينجوس للولايات المتحدة ومقابلته للرئيس أوباما بالبيت الأبيض، فإذا بأقل من شهرين يسافر مبارك لأمريكا ويزور أوباما بالبيت الأبيض. أيضًا كتب عكاشة تصريح على لسان "اللهو الخفي" كبير الحاشية السلطانية بأن "الأمير

كهريمان مش هيقي سلطان"، والتي نشرها تقريبًا في أول أكتوبر ٢٠١٠! ولم يكشف عكاشة عن من يعنيه بشخصية "اللهو الخفي"، الشخصية المحورية في السلطنة والتي تملك صلاحيات قد تفوق صلاحيات السلطان نفسه، وبالتالي لها قدرة في تشكيل والتحكم في مسار الأحداث.



شكل ٣٧٧: السلطان مارينجوس!



شكل ٣٧٨: الأمير كهريمان وشهبندر التجار!



شكل ٣٧٩: اللهو الخفي!



اخيار اليوم 4 2010 9

الدمستور 77 2010

الرئيس حلد لجميع الأطراف وشنة نجاح المفاوضات

انتقل المصري والدعم الأمريكي والتابعة الدولية... أهم عناصر المفاوضات



شكل ٣٨٠: زيارة مبارك للولايات المتحدة!

(الدمستور، ٧ يوليو ٢٠١٠، اخبار اليوم، ٤ سبتمبر ٢٠١٠)

كما شرح عمرو عكاشة الوضع الداخلي وقتها من خلال تصوير مصر على شكل سيارة ميكروباص وقد كتب على لائحتهما: "أجرة الحزب الوطني ٩٩/٩"، وخط سيرها محطات الحزب الوطني التي تمثل شعاراته: "العبور للمستقبل" و"مصر بتقدم بينا" و"من أجلك انت" و"؟؟؟؟؟" أو المجهول!



شكل ٢٨١: موقف الشرق الأوسط!

أحد المواطنين: "مين اللي هيسوق بينا المشوار ده؟"
 مواطن آخر محذراً: "ما تتكلمش في السياسه!"
 المتنادي: "ياللا يا خوانا.. كله يركب ورا.. والمعارضة تركب مكان الاستين!"
 السائق: "رايح فين يا استاذ.. المكان اللي قدام مجوز امانة السياسات!"
 أحد المواطنين: "إحنا رايجين على فين؟"
 مواطن آخر: "علمك!"
 أحد المواطنين: "بتاع الكارته ده مشار.. بياخد عموله على كل طلعه!"
 مواطن آخر: "فين العدل؟... اشمعي الوطني يركب قدام على طول؟"

(الدستور، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٩)

وتشكك عدد من المراقبين في الغرض الحقيقي من وراء زيارة مبارك الأخيرة لواشنطن في منتصف أغسطس ٢٠٠٩ لإجراء مباحثات مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما، خاصة بعد اصطحاب نجله جمال معه، مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن زيارة مبارك لم تكن غير مباحثات للحصول على الدعم الأمريكي ملف التورث.

تريده إسرائيل. ويرى أمين بأن هذه التبعية للولايات المتحدة بدأت في عصر السادات، ولم يجد عنها نظام مبارك، بل قدم تنازلات عدة والتي كان على رأسها التنازل عن زعامة مصر للبلاد العربية والتنازل عن ولائها للقضايا العربية، والتنازل عن حماية القطاع العام والاقتصاد الوطني بفتح الأبواب بلا ضوابط لاستيراد السلع ورؤوس الأموال الأجنبية، غير مبالٍ بالأضرار التي يمكن أن تلحق بالصناعات والاستثمارات الوطنية، دون الاهتمام بتحقيق حد أدنى من الاكتفاء الذاتي لسلع أساسية كالقمح، مما سمح للولايات المتحدة "باستخدام حاجتنا إلى القمح كوسيلة للضغط علينا لتنفيذ أغراضها الاقتصادية والسياسية في المنطقة" (١).

وقدم بهجت عثمان رائحته "بهجاتيا العظمى"، تلك الدولة ذات النظام الديكتاتوري، ويرأسها "بهجاتوس"، راصداً للأوضاع التي يعيشها شعب "بهجاتيا" وطبيعة علاقته برئيسه. وفي الكاريكاتير التالي، قارن بهجت بين شكل العلاقة التي يفرضها الحاكم على شعبه، وعلاقته هو شخصياً بعم سام (الولايات المتحدة).



ثريستقبل سفراء الدول الصديقة.

ويود ذلك يستقبل أبناء شعبه أولاد!

شكل ٣٨٤: معاملة الرئيس لشعبه ومعاملته لسفراء الدول الصديقة!

"ويعد ذلك يستقبل أبناء شعبه أولاً"

"ثم يستقبل سفراء الدول الصديقة"

(الدكتورورة للمبتدئين (٢)، ١٩٨٩)

وتاريخ مصر مع المعونة ليس قاصراً على المعونة الأمريكية فقط ولكنها أشهرها، فقد سبقتها المعونة الروسية والإنجليزية وغيرهما. وتأتي المعونة الأمريكية في أشكال عدة وتساند مشاريع تنمية عديدة في مصر سواء في مجال التعليم أو الرعاية الصحية أو لتعزيز بعض الخدمات التنموية للمجتمعات العمرانية الفقيرة.

(١) جلال أمين، الثورة المصرية ومشكلة التبعية، "الشروق"، ١٢ أغسطس ٢٠١١، عدد ٩٢٣.
(٢) بهجت، "الكتاتورية للمبتدئين: بهجاتوس رئيس بهجاتيا العظمى"، مصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، مارس ١٩٨٩.

الكاريكاتير السياسي

وأذكر أنني شاهدت في إحدى دور العرض في التسعينيات فيلم أمريكي بعنوان "يوم الاستقلال" أو "Independence Day" وكان الحضور أغلبه من الشباب فوق الـ ١٨ ودون الثلاثين. يحكي الفيلم عن معتدين من الفضاء الخارجي قاموا بغزو الأرض وأصابوا العديد من مدنها بالدمار الشامل، لتقرر أمريكا قيادة العالم في حرب هي الأولى من نوعها لطرد الغزاة. ويخاطب الرئيس الأمريكي العالم في عيد الاستقلال معلناً قيام الحرب وأن يوم الرابع من يوليو لن يكون بعد ذلك اليوم الذي تحتفل به أمريكا وحدها باستقلالها بل ستحتفل به كل دول العالم لانتصارهم على الغزاة. وما أن أنهى الرئيس الأمريكي خطابه، وإذا بجموع الحاضرين بالسينا يصفقون بحرارة وينادي أحدهم بصوت مرتفع: "المعونة يا ريس" لينفجر الجميع بالضحك حتى نهاية أحداث الفيلم!!

والمعونة ترتبط بالدرجة الأولى بالأجندة السياسية لأمريكا والتي أعلنها صراحة الرئيس السابق جورج بوش الابن في دعوته للانضمام لغزو العراق: "من ليس معنا فهو ضدنا". والحق أن هذا التصريح قد أثار حفيظة الرأي العام العالمي وعلى رأسهم العديد من الصحفيين ورسامي الكاريكاتير الأمريكيين لأن هذه السياسة تنتقص من مصداقية أمريكا، وتبعاً لذلك اختلفت حجم المعونات الأمريكية من دولة لأخرى قياساً على مدى ولائها للولايات المتحدة، لتصبح إسرائيل أكبر متلقي المعونة الأمريكية.

أشارت الرسوم الكاريكاتورية إلى المعونة مراراً وتكراراً والتي تراها تهديداً لاستقلالية مصر وسيادتها في المنطقة، ومن أجل ما رسم في هذا الموضوع هو كاريكاتير لبهجت عثمان وفيه تلخيص دقيق لحال الحكومة المصرية مع المعونة الأمريكية، وفيه تأكيد على سياسة الولايات المتحدة التي تقوم على تعزيز دورها وتأثيرها في المنطقة من خلال المعونات التي تقدمها.



شكل ٣٨٥: لمعونة الأمريكية!
(بهيجت (١)، ١٩٩٥)

(١) بهيجت، "رفاق سلاح"، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٥.

الكاريكاتير السياسي

منحه!!" الـFBI: "الشعب بتاعكم لابس اسود ليه؟" ضابط أمن: "ده مش الشعب.. دول عساكر الأمن المركزي!" مواطن: "وحياة والدك تعديني عشان أسأل أوباما فيه "توريث" ولا لأ!!" ضابط شرطة: "ايه اللي جابكم النهارده؟ الميتين: "أبدًا.. لقينا اللمه.. والأمن المركزي والريس.. فافتكرنا انتخابات الرياسة!!" خنزير: "سييني أشتكي له.. هو الوحيد اللي يقدر يوقف المذابح بتاعتنا!" عسكري أمن مركزي: "يا عالم.. يا هوو بقالي ٣ أيام واقف... عاوز أروح دورة المية!!"

(الستور، ٣ يونيو ٢٠٠٩)

وسخر فرج حسن من المبالغة في الإعداد لاستقبال أوباما، فرسم سيدة تطلب من خادمتها "غسل الزبالة" قبل رميها في الشارع حتى "يبانوا" متحضرين أمام الضيوف الأجانب. وعبر وليد طاهر عن سعادة المواطن المصري للقرار الذي اتخذ بمد فترة بقاء "اصاري" الورد في الشوارع حتى التأكد من عودة أوباما إلى بلاده!



شكل ٣٨٧: في استقبال أوباما!

"عتننا ضيوف أجنبي مهمين ولازم نبقى متحضرين.. اغسلي الزبالة كويس قبل ماترميها في "الشارع" من الشبان.."

(الأهرام، ٤ يونيو ٢٠٠٩)



شكل ٣٨٨: في استقبال أوباما!

"بيان عاجل.. تقرر مد العمل بأصاري الزرع المؤقتة ٢٤ ساعة لحين التأكد من عودة أوباما إلى بلاده سالمًا....."

(الشروق، ٦ يونيو ٢٠٠٩)

وأشار جورج بهجوري إلى الانطباع الايجابي الذي لابد وأن حمله أوباما بعد مغادرته مصر، فرسم ميشيل أوباما تسأل زوجها قائلة: "جيتلي إيه من مصر.. أنا عاوزه مسله زي الملكة حتشبسوت"، في الوقت الذي يقدم لها أوباما كتاب ضخيم بعنوان "الحضارة المصرية ٥٠٠٠ سنة".



شكل ٣٨٩: انطباع أوباما عن مصر!

(الأهرام، ٨ يونيو ٢٠٠٩)

بينما رأى جمعة فرحات بأن أوباما لا يختلف كثيرًا عن جورج بوش الابن، فما هو إلا قناع يخفي تحته نفس سياسة بوش.



شكل ٣٩٠: خطاب أوباما
(الأهرام، ٩ يونيو ٢٠٠٩)

حرية التعبير ومفهوم الديمقراطية عند مبارك:

يرى المؤرخ عبد العظيم رمضان بأنه قد ظهرت مبكراً نظرة نظام مبارك للصحافة وحرية التعبير، فقد تم مصادرة صحيفة "الأهالي" في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٧، عشية إعادة الاستفتاء على مبارك لفترة رئاسية ثانية في ٥ أكتوبر والتي انتهت بحصوله على أغلبية ١٢, ٩٧٪ من الأصوات^(١). فقد تم التحفظ على العدد ١٦ من كتاب "الأهالي" تحت عنوان "لهذا نعارض مبارك"، والذي كان يشمل كل الافتتاحيات والمقالات التي اعترضت على قرارات أو مواقف أو خطاب للرئيس مبارك في الفترة من ١٩ مايو ١٩٨٢ وحتى منتصف سبتمبر ١٩٨٧^(٢).

وكتب مدحت الزاهد تحقيلاً كاملاً عن المضايقات التي تعرضت لها "الأهالي" والضغط التي مورست عليها لإجبارها على حجب معلومات وحقائق عن الرأي العام. فلم تكن هذه المرة الأولى، فقبل هذه المصادرة بيضع سنوات مورس على الحزب وعلى الجريدة ضغوط هائلة لوقف نشر حلقات "خريف الغضب" للكاتب محمد حسنين هيكل، مع أن الكتاب متاح في المكتبات وبجميع اللغات. أيضاً قبل المصادرة بشهور، تم الضغط على "الأهالي" لرفع تصريح لمسؤول عسكري قد أخطى به عن الأخطار التي تهدد الأمن القومي، وبالفعل تم رفع الخبر بعد طباعة ٤٠ ألف نسخة^(٣).

*صحيفة "الأهالي" تصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

(١) د. عبد العظيم رمضان، "الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص: ٢٦٧.

(٢) د. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص: ٢٦٩.

(٣) مدحت الزاهد، القصة الكاملة لمصادرة الأهالي وكتاب الأهالي قبل الاستفتاء على الرئاسة، "الأهالي"، ٧ أكتوبر ١٩٨٧.

يرى الزاهد أن هذه المصادرة كانت غريبة لأنها تمت قبل خمسة أيام من الاستفتاء على رئاسة مبارك لدورة ثانية وبدون أمر من القضاء، ويعتقد أن الهدف منها هو حجب موقف الحزب الداعي إلى رفض ترشيح مبارك لدورة ثانية، ليقبى فقط مهرجانات المبايعة والتأييد المروجة لـ "نعم للديمقراطية .. نعم للاستقرار .. نعم للأمان" (١).

والحقيقة أن "الأهالي" كانت ثابتة على موقفها ضد ترشيح مبارك، وقد أعلنتها بصراحة مع كل دورة استفتاء على الرئاسة، والذي تراه باطلاً وغير دستوري، كما طالبت مبارك بإنهاء علاقته بالحزب الحاكم.



شكل ٣٩١: الديمقراطية وضمفي الحكومة!

الطبيب: "حالتك الديمقراطية متدهورة، عندك تضخم في الـ "نعم" وضمور في الـ "لا"!"
(الأهالي، ١٤ أكتوبر ١٩٨٧)



شكل ٣٩٢: الحزب الوطني وتزوير الانتخابات والحكومة!

مواطن: "أسمع كلامك يعجبني" .. "أشوف عماليلك أستعجب!"
(الأهالي، ١٤ أكتوبر ١٩٨٧)



شكل ٣٩٣: الاستفتاء على رئاسة الجمهورية!

"غربية... هو الملك فاروق انتشال ولا إيه...؟"

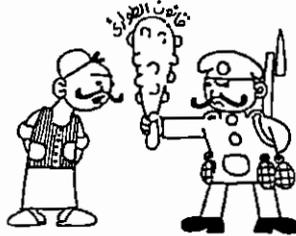
(الأهالي، ١٤ أكتوبر ١٩٨٧)

ووصف كل من بهجت وحجازي شكل العلاقة بين الحكومة والشعب في ظل وجود قانون الطوارئ.



شكل ٣٩٤: حكومة وأهالي وقانون الطوارئ!١

(بهجت، (١) ١٩٨٧)



شكل ٣٩٥: حكومة وأهالي وقانون الطوارئ!٢

(بهجت، (٢) ١٩٨٧)

(١) بهجت، "حكومة وأهالي.. وخلافه"، كتاب الأهالي، القاهرة، ١٩٨٧.

(٢) بهجت، "حكومة وأهالي.. وخلافه"، كتاب الأهالي، القاهرة، ١٩٨٧.



شكل ٣٩٦: قانون الطوارئ ١٢

"إحنا عايشين في بلد ديموقراطي من حق أي مواطن إنه يعترض ويقول "لا" لكن أحسن له يقول "نعم"!"

(الأهالي ٧ أكتوبر ١٩٨٧)

ومع أن مبارك قد سمح بنشأة الأحزاب وصدور الصحف المعارضة والمستقلة كما أشرنا سابقاً إلا أن عصره اتسم بضعف القوى المعارضة وعدم حصولها على آليات أو صلاحيات تستطيع من خلالها تفعيل لدورها في الحياة السياسية ليقى الحزب الوطني القوة المؤثرة المسيطرة والوحيدة.

وتحولت الصحف الرسمية مثل صحيفة "الأهرام" و"الأخبار" و"الجمهورية" خاصة في الفترة الأولى لحكم مبارك إلى لسان حال النظام والمدافعة عن رؤيته. إلا أن في العشر سنوات الأخيرة من حكم مبارك تنوع الخط التحريري للصحف الرسمية ليكون أيضاً ناقداً للنظام وكاشفاً لبعض قضايا الفساد وإن كان يصاحبه سقف حرية أقل بكثير من ذلك الذي تتسم به الصحف المعارضة أو المستقلة.

بشكل عام كان الخط التحريري لصحف المعارضة الحزبية يتسم بأنه نقدي ساخن إذا ما قورن بالصحف "الحكومية" إلا أن سقف الحرية قد ارتفع في السنوات الخمس الأخيرة خاصة بعد ظهور عدد من الصحف المستقلة وعلى رأسها صحيفة "المصري اليوم".

يصف رمضان الحرية التي أتاحتها نظام مبارك بـ "حرية الصراخ" أي حرية في ابداء الخلاف في الرأي في الوقت الذي لا يسمح بنقل السلطة من يد الحزب الوطني إلى أي حزب آخر^(١). رسم عمرو عكاشة على موقع "حريتنا" (٢٠١٠) رجل شرطة (النظام)

(١) د. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص: ٢٧١.

الكاريكاتير السياسي

يضرب مواطن بعصا غديظة قائلاً: "يا بني افهم.. الحرية إنك تقول اللي انت عاوزه.. واحنا نعمل اللي احنا عاوزينه!!" وفي كاريكاتير آخر، رجل الشرطة بعد أن قيد حركة مواطن وكمم فمه يقول له: "أنا سايبك تعبر بحرية.. قول آه.. قول لأ.. اعمل اللي انت عاوزه!"



شكل ٣٩٧: حرية التعبير!

ضابط شرطة: "أنا سايبك تعبر بحرية.. قول آه.. قول لأ.. اعمل اللي أنت عاوزه!"
(حرية^(١)، ٢٠١٠)

ومع إن عصر مبارك قد شهد إثراء في الحياة السياسية من خلال عودة ظهور عدد لا بأس به من الصحف المعارضة والخاصة، إلا أنه شهد سجن أول رسام كاريكاتير بسبب رسومه وهو الرسام عصام حنفي الذي قد ذاق ويل الحبس ثمنًا للتعبير عن رأيه وعن رأي جريدته "الشعب" من خلال رسومه ضد وزير الزراعة السابق يوسف والي^(٢).

ويعاني معظم رسامي الكاريكاتير في يومنا هذا من مقص رئيس التحرير. فبينما كان الرقيب في الماضي كثيرًا ما كان يحذف كلمة أو جملة من مقالة ما، رئيس التحرير اليوم يمكنه أن يرفض نشر مقالة كاملة أو كاريكاتير يتعارض مع أجندته الخاصة. وتحدث ناجي كامل عن تجربته الشخصية عندما تقاجأ بكاريكاتيره منشور وقد تم تغيير التعليق به بدون الرجوع إليه وكيف أنه أعرب مرارًا للرئيس التحرير بأن إلغاء الكاريكاتير كلية هون عنده مائة ألف مرة من أن يتم التغيير فيه بدون الرجوع إليه^(٣)!

(١) موقع حريتنا، اضحك مع عمرو عكاشة، تم الاصطلاح عليه في ٨ سبتمبر ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<http://www.horytna.net/Articles/Details.aspx?TID=1&ZID=349&AID=19099>

(٢) رانيا صالح:

Rania M.R. Saleh (Fall 2007). Political Cartcons in Egypt. International Journal of Comic Art. 9(2), 187-225

(٣) رانيا صالح، المرجع السابق.

وسرعان ما ظهرت أسوأ أنواع الرقابة في عصرنا الحديث وهي "الرقابة الذاتية" التي يطبقها رسام الكاريكاتير على نفسه ليتجنب مشاكل لا طائل له بها. يعتقد الرسامون بأن هناك عددًا لا نهائيًا من الخطوط الحمراء غير المكتوبة والتي يجب عدم المساس بها في أعمالهم والتي لم تمل عليهم صراحة من أي طرف. ويفكر الرسامون بتأني قبل تحطى أي منها وقياس ما إذا كانت هذه المجازفة تستحق العناء أم لا، هذا بالإضافة لقناعتهم الشخصية بأنهم حتى لو تجاوزوا أيًا منها فلن يجدوا من يقبل نشرها.



شكل ٣٩٨: الرقيب!
(بهجت،^(١) ١٩٩٥)

وفي ٧ أكتوبر ٢٠٠٧، احتجبت ٢٢ صحيفة حزبية وخاصة عن الصدور، احتجاجًا على انتهاك حرية الصحافة بعد صدور أحكامًا بالحبس والغرامة ضد عدد من رؤساء التحرير والصحفيين^(٢)، بتهم نشر أخبار كاذبة (على خلفية نشر الإشاعات التي تناولت صحة الرئيس) تسببت في "تكدير" المناخ العام، ولم يجد قراء الصحف مع الباعة في ذلك اليوم سوى الصحف الحكومية الثلاث وبعض الصحف والمجلات الأسبوعية^(٣).

(١) بهجت، "رفاق سلاح"، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٥.

(٢) محمد عبد الخالص مساهل، احتجاج الصحف يتحول إلى "يوم دولي" للتضامن مع حرية الصحافة المصرية، "المصري اليوم"، ٨ أكتوبر ٢٠٠٧، تم الاطلاع في ٦ يوليو ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<http://www.almasry-alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=78622&IssueID=821>

(٣) عبد البصير حسن، مصر: احتجاج صحف حزبية ومستقلة عن الصدور، بي بي سي العربية، ٧

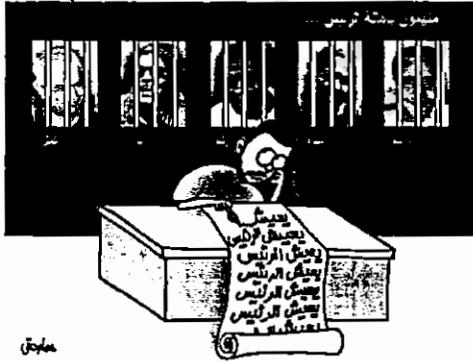
أكتوبر، ٢٠٠٧، تم الاطلاع في ٢٠ أغسطس ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7032000/7032266.stm

ولم تكن هذه المرة الأولى في فترة مبارك التي محتجب فيها الصحف عن الصدور احتجاجًا على قمع حرية الرأي، فقط احتجبت أكثر من عشر صحف حزبية ومستقلة في بداية عام ٢٠٠٦، اعتراضًا على مناقشة البرلمان لمشروع قانون يشمل مواد تقضي بحبس الصحفيين في قضايا نشر، وتدخّل وقتها مبارك وألغى مواد الحبس (١).

كانت لهذه الأحكام صدها على المستوى المحلي والدولي. فقد أصبحت مادة غنية للنقاش والتعليق في العديد من المواقع والمدونات العربية وغير العربية على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، كما أصبحت على رأس أجندة العديد من المنظمات الحكومية وغير الحكومية المحلية والدولية المعنية بحقوق الإنسان والتي تسعى لإلغاء وتعديل القوانين التي تسجن الصحفيين في قضايا النشر. والحق أن حرية الرأي والتعبير مكفولة بموجب الدستور المصري ولها معايير محددة تجعلها مسؤولة وملزمة أديًا عندما تأتي في إطار تقصي الحقائق ونشر الوقائع للصالح العام بعيدًا عن أي أطماع أو أغراض شخصية. إلا أن هناك معايير أخرى غير مكتوبة تضع حدود لحرية التعبير وتعمل على قمعها لصالح مراكز القوى.

وقد رسم عصام حنفي ساخرًا من البديل الذي يريده ويطلبه انظام من الصحفيين وهو منافقة الرئيس! في حين يصور شريف عرفة التباين بين مفهوم "الديمقراطية" الذي يسمع في تصاريح المسؤولين وبين ما هو مطبق على أرض الواقع!



شكل ٣٩٩: مهمون بإهانة الرئيس!

"يعيش الرئيس!"

(الوعي المصري، ٢٥ مايو ٢٠٠٦)

(١) عبد البصير حسن، المرجع السابق.



شكل ٤٠٠: الوطن ينعم بالديموقراطية!

"إغلاق الصحف المعارضة، تعذيب المعتقلين، اعتقال المعارضين، عاش الحاكم"

(www.drsharif.net، ٢٥ يونيو ٢٠١٠)

وشهد عام ٢٠١٠ أزمة مدوية في الوسط الصحفي، عندما تفاجأ القراء ببيع صحيفة "الدستور" التي تعد من أنجح التجارب الصحفية تحت رئاسة تحرير إبراهيم عيسى للدكتور السيد البدوي رئيس حزب الوفد (بشخصه وليس ممثلاً لحزب الوفد) ورجل الأعمال رضا إدوارد، مع الوعد بالحفاظ على السياسة التحريرية كما هي والتي كانت من أهم ما يميزها.

إلا أن الأزمة اشتعلت بعد قرار البدوي بإقالة عيسى لينظم على أثره صحفيو الدستور اعتصامًا مفتوحًا بمقر الجريدة تضامناً مع رئيس التحرير السابق، فيما توالى الوقفات الاحتجاجية التي اشترك فيها عدد من الصحفيين وبعض الحركات السياسية مثل حركة شباب من أجل العدالة والحرية وحركة شباب ٦ إبريل على سلم نقابة الصحفيين للتضامن مع صحفيي الدستور اعتراضاً منهم على إقالة عيسى وعلى تغيير السياسة التحريرية للجريدة. وما أن اشتدت الأزمة احتداماً حتى فاجأ البدوي الجميع بتنحيه عن رئاسة مجلس إدارة الصحيفة وعضويتها، تاركاً الملعب كله لإدوارد باستحواذه على حصة البدوي في الجريدة.

ورأى أغلب الصحفيين ورسامي الكاريكاتير بأن ما حدث هو مؤامرة مدبرة لاغتيال الصحيفة بسبب خطها المعارض الساخن ضد النظام الحاكم ولجنة السياسات التي يرأسها جمال مبارك، فكان جلياً أن هناك من اختار أن يخرس "الدستور" إلى الأبد في إطار حملته لتكميم الأفواه المعارضة، خاصة وأن النظام يمهّد لانتخابات برلمانية ورئاسية قادمة.

ومن تجربته الشخصية، يرى عمرو عكاشة بأن أعلى سقف للحرية وجدته كان في صحيفة "الدستور"، تحت السياسة التحريرية لإبراهيم عيسى الذي قال له: "سقفك

الكاريكاتير السياسي

النساء! فلم يكن هناك أى رقيب على رسومه سوى ضميره. ويؤكد عكاشة هنا على أهمية أن يراعي الإنسان "ضميره" في عمله، في وقت غلبت على الوسط الصحفي مؤخرًا المصالح الشخصية عن المصلحة العامة. وفيما يبدو أن لمرعاة الضمير ثمنًا، فقد تعرض عكاشة خلال عمله بصحيفة "الدستور" لتهديدات بالأذى الجسدي له ولأسرته ومن يجب إذا لم يتوقف عن الرسم، وقد قام عكاشة بعمل محضر يثبت فيه وقائع التهديدات ولم يتوقف عن الرسم.



شكل ٤٠١: الدستور!

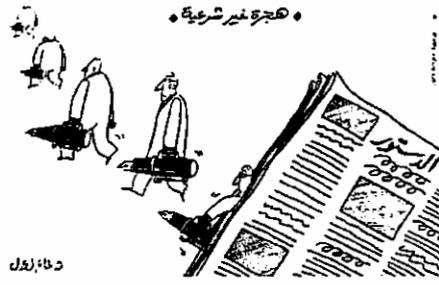
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾
 "توفيت جريدة "الدستور" المصرية لسان حال الشعب المصري بعد صراع طويل مع الحكومة منذ عام ١٩٩٥.. للفقيدة الرحمة وللشعب المصري خالص العزاء.. تؤدى صلاة الغائب على الفقيدة في شارع أحمد نسيم.. الجيزة"
 (الوقت، ٥ أكتوبر ٢٠١٠)

وشرح عمرو سليم طريقة استخدام سلطة الدولة لسلطة رأس المال في القضاء على سلطة الصحافة، بينما أوضحت دعاء العدل كيف "هجر" عدد كبير من صحفيي الدستور الجريدة بعد بيعها!



شكل ٤٠٢: سلطة الدولة وسلطة رأس المال وسلطة الصحافة!

(المصري اليوم، ٩ أكتوبر ٢٠١٠)



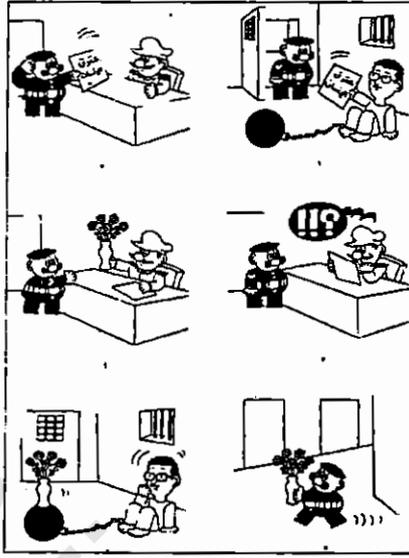
شكل ٤٠٣: هجرة غير شرعية!
(المصري اليوم، ١٢ أكتوبر ٢٠١٠)

ولخص شريف عرفة الوضع في مشهد كاريكاتوري صور فيه "غراب" حريسأل طائر ببغواء عن سبب وضعه داخل قفص، ليرد الببغواء قائلاً: "عشان باتكلم..!"



شكل ٤٠٤: عشان باتكلم!
(www.drsherif.net، ٢٥ يونيو ٢٠١٠)

وظهرت في مصر عدد من المنظمات والمؤسسات النشطة المعنية بحقوق الإنسان، ومنها الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، والمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، والمركز المصري لحقوق المرأة، ومركز هشام مبارك، والجمعية المصرية لمناهضة التعذيب، والجمعية الوطنية لحقوق الإنسان والتنمية البشرية، ومركز الأرض لحقوق الإنسان وغيرها. وتجد على الموقع الإلكتروني لكل منها العشرات إن لم يكن المئات من التقارير والتوصيات عن ما تنسبه من انتهاكات لحقوق الإنسان على أرض مصر. ويبقى بعض هذه التوصيات إن لم يكن معظمها حبيس الأدراج كشاهد فقط على ما وصل إليه الحال وكشاهد على اتساع الفجوة بين النظرية والتطبيق ونقصان الوعي المطلوب لإلزام المواطنين بحقوقهم. وقد عبر كل من حجازي وأحمد عز العرب ورؤوف عياد ببراءة عن التباين بين رؤية المواطن ورؤية النظام حول مفهوم "حقوق الإنسان".



شكل ٤٠٥: حقوق الإنسان !
(بهجت (١) ١٩٩٥)



شكل ٤٠٦: حقوق الإنسان !
النظام: "اضحك الصورة تطلع حلوه"
(لأمالي ٢٠٠٠)



شكل ٤٠٧: حقوق الإنسان ١٣

المواطن: "حقوق الإنسان؟"
النظام: "تأخذه الجزمه"

(الأهالي، ١٩٩٧)



شكل ٤٠٨: حقوق الإنسان ١٤

(رؤوف عياد، ٢٠٠٤)

وقد أفادت عدد من الدراسات إلى أن ازدياد عدد مستخدمي الإنترنت أدى إلى تحريك عجلة تدفق المعلومات وانتشارها في وقت أقل بكثير وعلى نطاق أوسع مما لو كان بالطرق التقليدية، ومن هنا كان جلياً أن انتشار مواقع اجتماعية مثل المدونات، خاصة تلك التي تعود لنشطاء سياسيين، قد فتحت قنوات أخرى للتعبير كانت أحد أسباب اتساع هامش الحرية بالصحف القومية والمعارضة والخاصة. وكان أهم ما لفت الانتباه وقت ظهور المدونات هو نشر المواضيع الصحفية التي منع نشرها أو التي طأها مقص رئيس التحرير.

ومن أشهر النشطاء المدونين كان وائل عباس (صاحب مدونة "اوعي المصري")، وعلاء عبد الفتاح وزوجته منال حسن (مدونة "منال وعلاء")، ومالك مصطفى (مدونة "MaLek X")، وعمر وعزت ("مابدالي")، وحسام الحملاوي أو عمرو حسام ("عرباوي")، وشاهيناز عبد السلام ("واحدة مصرية")، ومصطفى النجار ("أمواج التغيير")، ومحمد خالد ("دماغ مك")، عبير العسكري ("عبير العسكري" أو "stranger2day")، وعمر الهادي ("أسد")، وخالد كامل ("ورقصني يا جدع")، محمد الطاهر ("مواطن مصري واخذ على قفاه")، ومحمود صابر (Mahmoud Saber's)، ومحمد عادل ("العميد ميت")، وكريم الشاعر ("مصر الحرة")، عبد المنعم محمود ("أنا إخوان")، وغيرهم.

واتضح مدى خطورة هؤلاء المدونين الشباب على النظام عندما كرسوا حياتهم لكشف عوراته، وكانوا السبب وراء الانتشار السريع لعدد من مقاطع الفيديو التي ترصد "حفلات" تعذيب لمواطنين بأقسام الشرطة على يدي بعض الضباط بهدف نزع اعترافات منهم أو إذلالهم، مما ساعد على نشر الوعي بين المواطنين بأهمية الإبلاغ عن أي ممارسات قمعية تمت أو تتم ضدهم، وبالتالي ساعد النشطاء على اختراق ما كان يعتبر من فترة بسيطة سابقة أحد التابوهات المحرم الاقتراب منها، كما أثمر جهودهم على القبض على بعض ضباط التعذيب ومحاكمتهم. وبالتالي لم يسلم هؤلاء النشطاء من الاضطهاد والتهديدات الأمنية من اعتقالات واحتجاز وتعذيب وامتهان وخطف وحبس وملاحقات قضائية بأحد التهم "الشعبية" ومنها محاولات تكدير الأمن العام، مما أثار وقتها تساؤلاً حول مدى اتساع حرية التعبير الفردية. كما أن ملاحقة المدونين يثبت حقيقة وجود مراقبة إلكترونية للشبكة العنكبوتية تتم من قبل جهاز أمن الدولة.

واتسمت فترة مبارك بالاحتجاجات ضد انتهاكات الشرطة، والتي كان من أشهر ضحاياها الشاب خالد سعيد الذي تم ضربه من قبل مخبرين حتى الموت وكان أحد أسباب الشحنة لثورة ٢٥ يناير (كما سيتم الإشارة إليه لاحقاً)، والشاب السيد بلال الذي تم تعذيبه حتى الموت بعد اعتقاله بدون إجراء قانوني على خلفية أحداث انفجار كنيسة القديسين في مطلع عام ٢٠١١.



شكل ٤٠٩: انتهاكات الشرطة

"إذا كان رب البيت على القبض معتاد.. فشيمة أهل البيت كلهم الفساد!!"

(الدستور، ١٨ سبتمبر ٢٠١٠)

يا سلام يا أخويا... جاي دلوقتي تعترف إنك القاتل؟
طب والراجل اللي بتعذب فيه من أسبوع لحد ما أعترف؟
يرضيك يعق تعبتنا معاه يروح هتدر؟



شكل ٤١٠: اللي سبق أكل النيق!

ضابط الشرطة: "يا سلام يا أخويا... جاي دلوقتي تعترف إنك القاتل؟! طب والراجل اللي بتعذب فيه من أسبوع لحد ما أعترف؟! يرضيك يعني تعبتنا معاه يروح هدر؟!"

(المصري اليوم، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٩)



شكل ٤١١: بلد الأمن والأمان!

"مصر بلد الأمن المركزي" والأمان

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)

الكاريكاتير السياسي

وشهدت هذه الفترة ميلاد حركات مقاومة مهدت لسقوط مبارك بعد أن تحطت حاجز الخوف وخرجت تعبر عن سخطها بشكل سلمي مطالبة علانية بالتغيير الجذري. ونادت هذه الحركات بالوقوف صفاً واحداً ضد الظلم والقمع والفساد وإلى ضرورة أن يتخلى الشعب عن سلبيته، لأنه من غير أشعب وإرادته الحرة لن يكون المطالبهم المشروع أي صدى عند أركان النظام.

كانت أولى هذه الحركات هي "الحركة المصرية من أجل التغيير" أو كما اشتهرت تحت اسم "كفاية" والتي ظهرت عام ٢٠٠٤، ونظمت عدد كبير من المظاهرات مطالبة بالحريات وانتهاء احتكار السلطة وتقليل صلاحيات الرئيس وإلغاء قانون الطوارئ، ورافضة للأوضاع التي آلت إليها الحياة السياسية في مصر ورافضة للتجديد لمبارك ورافضة لتوريث السلطة لابنه. وقد انضم إليها نخبة من المثقفين والمفكرين والشخصيات العامة.

كما شهدت هذه الفترة ميلاد حركة "شباب ٦ إبريل" التي شكلت علامة فارقة في حياة المصريين والحركات السياسية المصرية، فمع أول ظهور لها نادت (بالاشتراك مع حركات وقوى سياسية أخرى) بالإضراب العام في يوم ٦ إبريل من عام ٢٠٠٨ تضامناً مع عمال شركة المحلة للغزل الذين أعلنوا إضرابهم احتجاجاً على الأحوال المعيشية المتدهورة وغلاء الأسعار. وسرعان ما انتشرت فكرة الإضراب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت ومن خلال خاصية الرسائل القصيرة على هواتف المحمول.

ومما لا يدع مجالاً للشك فقد مثل هذا الإضراب أول صفة للنظام حيث استجاب للدعوة وبشكل ملحوظ طوائف عديدة من الشعب، فقد امتنع العديد من الطلاب من الذهاب إلى المدارس أو الجامعات وشهدت الهيئات والمصالح الحكومية غياب عدد من الموظفين عنها. وتوج هذا اليوم بانتفاضة أهالي وعمال مدينة المحلة الكبرى الذين صمدوا ضد القمع الأمني ضدهم وآلياته من هراوات وقنابل غاز ورصاص حي، مما أدى إلى سقوط عشرات الجرحى والموتى واعتقال المئات بما يعرف فيما بعد بأحداث المحلة. وتعتبر أحداث المحلة باكورة ثقافة الاعتصامات والإضرابات، فقد وجد المغضوب عليهم من طوائف الشعب الكادحة الشارع متنفساً لهم للتعبير عن سخطهم من الظروف المعيشية المتدهورة التي يعيشونها ومن سني أنهم لا يتناسب مع تكلفة البقاء على قيد الحياة ومن عدم قدرتهم على معالجة أمراضهم لارتفاع سعر الكتشف الطبي والدواء.

رسم جورج بهجوري معلقاً على أحداث المحلة رئيس الوزراء وقتها أحمد نظيف وهو يبدو هائماً وقد اعتلى وجهه مزيج من معالم الدهشة والحيرة في كيفية التعامل مع الاحتجاجات التي سادت أنحاء البلاد.



شكل ٤١٢: أحمد نظيف!

(الأهرام ويكلي، ١٠-١٦ إبريل ٢٠٠٨)

لم تتوقف الاحتجاجات العمالية منذ عام ٢٠٠٤ وحتى نهاية عام ٢٠١٠ دفاعاً عن مطالب العمال وفي مواجهة مع نظام انحازت قوانينه (ولا تزال) لفئة رجال الأعمال على حساب حقوق العمال في ظل تنظيم نقابي عمالي فاسد ونظام سياسي قمعي لم يتوانى عن استخدام القوة والعنف في مواجهة العمال واعتقال بعض قادتهم بموجب قانون الطوارئ، كما حدث مع عمال المحلة في إبريل ٢٠٠٨، وتقديم البعض الآخر لمحاكمات عسكرية كما تم مع عمال الإنتاج الحربي في ٢٠١٠^(١).



شكل ٤١٣: عمال أمونستيو يعاودون الاحتجاج!

لافتات: "عايز حقي" .. "حقوق العمال!" .. "يا خاير مينها"

(المصري اليوم، ١ يونيو ٢٠١٠)

(١) مركز الدراسات الاشتراكية، تقرير: المركز المصري وأولاد الأرض يرصدان إرهابات الثورة وتداعياتها على العمال، مؤسسة أولاد الأرض لحقوق الإنسان والمركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، فبراير ٢٠١١، تم الاطلاع في ١ نوفمبر ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني: <http://www.e-socialists.net/node/6493>.

استمرار اعتصام القائل طوسون أمام سور وزارة الزراعة



صلى الله عليه وسلم

شكل ٤١٤: اعتصام أهالي طوسون!

الأب: "هاسميه (معتصم) .. واكتب محل الميلااد أمام سور وزارة الزراعة!!"

(الورد، ٦ مايو ٢٠١٠)

= استمرار اعتصامات العمال أمام مجلس الشعب =



شكل ٤١٥: استمرار اعتصامات العمال أمام مجلس الشعب!

اللافتات: "أين حقوق العمال" .. "عايز أعيش"

مسؤول: "يوووو .. كل يوم نفس اليفط..!! إبقوا خلوهم يغيروها عشان وجعتني عنيا"

المساعد: "سلامة عنيك يا فندم"

(المصري اليوم، ٢٦ إبريل ٢٠١٠)

ومن الجدير بالذكر، أنه في مارس ٢٠١٠ حصلت الطبقة العاملة المصرية على حكم قضائي بالزام رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس المجلس القومي للأجور بوضع حد أدنى للأجور يتناسب مع الأسعار ويضمن للعمال حياة كريمة، وتمسك العمال بمطلب

١٢٠٠ جنيه كحد أدنى للأجور. وبعد أن امتنع النظام عن تنفيذ الحكم لمدة سبعة شهور، نجحت الطبقة العاملة في الحصول على حكم ثان يلزم الحكومة بتنفيذ الحكم الأول، فحاول النظام الالتفاف على الحكم بإصدار قرارًا برفع الحد الأدنى للأجور إلى ٤٠٠ جنيهًا شهريًا كأجر شامل وأن ينطبق هذا القرار على عمال القطاع الخاص فقط متجاهلاً تطبيقه على عمال القطاع العام والحكومي وهو ما أجبر الطبقة العاملة للاستمرار في معركتها بشأن زيادة الأجور^(١).

ولاقى دعوة الاعتصام في يوم ٢ مايو ٢٠١٠ من أجل تحديد حد أدنى عادل للأجور قبولاً لدى العديد من أفراد الشعب، وشاركت فيه قوى عمالية وسياسية ومنظمات حقوق إنسان وأطباء وصيدالدة وممرضون ومهندسون وموظفون وأصحاب معاشات، كما تقدم أعضاء من مجلس الشعب بمجموعة من طلبات الإحاطة والاستجواب من أجل تفعيل الحكم القضائي^(٢).



شكل ٤١٦: حد أدنى للأجور!

الضابط: "نفسك قبل ما تموت يتعمل حد أدنى للأجور ١٥٠٠ جنيه؟ الكلام ده مش دلوقتي"

المتهم: "خلاص يا بيه .. نستنى أما يعملوه!!"

(الوفد، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٠)

ومن الجدير بالذكر، أن صورة الرئيس الراحل عبد الناصر قد تصدرت اللافتات التي رفعها العمال المتظاهرين في الحقبة الأخيرة من مبارك، كما ظهرت أيضًا صورته بشكل ولو رمزي في بعض الرسوم الكاريكاتورية لنصرة العمال والفقراء.

(١) مركز الدراسات الاشتراكية، المرجع السابق.

(٢) في يوم ٢ مايو.. كل فئات الشعب تعتصم من أجل حد أدنى للأجور، "الأهالي"، ٢٨ أبريل، ٢٠١٠.



شكل ٤١٧: فض اعتصام امونسيبو بالقوة!

"عاش جمال عبد الناصر نصير العمال"

(المصري اليوم، ٢٥ مايو ٢٠١٠)

تضامنت الرسوم الكاريكاتورية مع نبرة غضب الشارع ونفاذ صبر المتضررين من قسوة المعيشة وانحراف ميزان العدالة الاجتماعية والتي كانت السمة العامة للملامح هذه الفترة، فزادت جرعة الرسوم المناهضة للفساد والظلم والقمع الأمني، ولم تشر الرسوم بشكل مباشر إلى أي من الحركات السياسية إلا في أضيق الحدود، كالإشارة لحركة ٦ إبريل. انتقد عمرو سليم في مشهد كاريكاتوري تحييل قرارات وزيرة القوى العاملة وقتها "عائشة عبد الهادي" الغير منصفة للعمال والتضييق عليهم كنوع من الانتقام لمشاركتهم في أحداث ٦ إبريل. وصورت دعاء العدل كيف أصبح لرجال أمن الدولة "عقدة" من مجرد سماع اسم حركة ٦ إبريل. وتمنى عمرو عكاشة أن لو ينشغل جهاز أمن الدولة بانقبص على المجرمين بدلاً من شبه تفرغه لملاحقة أصحاب القضايا والرأي وأعضاء حركة ٦ إبريل. ويشير عمرو سليم كيف أن بعض رجال الأمن المسؤولين عن فض مظاهرات ٦ إبريل بالقوة هم أنفسهم يعانون من "قرف" المعيشة المسببة للتظاهرات!

كلامى يتنفذ بالحرف الواحد.. العمال يتخضم منهم
١٥ يوم بمخالهم بمناسبة أحداث ٦ إبريل!



شكل ٤١٨: ٦ إبريل ١١

وزيرة القوى العاملة: "كلامي يتنفذ بالحرف الواحد.. العمال يتخضم منهم ١٥ يوم بحالهم .. بمناسبة أحداث ٦ إبريل!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)

بقى ككده يا راجل يا ناقص تقبض عليا .. كل ده عشان قولتلك هات ٦ أرغفة و٦ بيضات و٦ بيريل !!



شكل ٦:٤١٩: ١٢ إبريل

"بقى ككده يا راجل يا ناقص تقبض عليا.. كل ده عشان قولتلك هات ٦ أرغفة و٦ بيضات و٦ بيريل!!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل، ٢٠١٠)



شكل ٤٢٠: حركة ٦ إبريل ١٣

الأمن: "آسف جداً يا جماعة.. افكرتكم من المجرمين بتوع ٦ ابريل.. خدوا راحتكم ع الآخر!!"

(الوفد، ٨ أكتوبر ٢٠١٠)



شكل ٤٢١: ٦ إبريل ١٤

الزوجة: "طب والعيال دول الي انت عجنتهم في المظاهرة .. فيه الي كان مضايقتهم بالنظير!!؟" رجل الأمن: "العيشة اللي تترن!!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)

الكاريكاتور السياسي

وربطت دعاء العدل بين أحداث فيلم "البريء"، الذي يتناول لمحات من الفساد السياسي في مصر خاصة خلال الفترة التي شهدت انتفاضة العيش ١٧ و١٨ يناير ١٩٧٧، وبين ما جرى من فض للاعتصامات بالقوة من قبل جنود الأمن المركزي الذي تصرفوا بوحشية مع المواطنين العزل، تفكرنا بالشخصية الرئيسية في الفيلم "أحمد سبع الليل" الشاب الريفي الساذج الذي تم تجنيده ضمن قوات حراسة لأحد المعتقلات المسؤولة عن تعذيب وامتهان أصحاب الرأي وتدريبه على إطاعة الأوامر بصورة عمياء وزرع الاعتقاد لديه بأن من يجاربههم ويشارك في تعذيبهم هم أعداء الوطن.



دعاء بول

مع الاحتفال بيلاد الشرطة

إنهاء
الاعتصام
على
رصيف
مجلس
الشعب

شكل ٤٢٢: البريء!

إنهاء الاعتصام على رصيف مجلس الشعب!

(المصري ليوم، ٢٤ مايو ٢٠١٠)

وانتقد عمرو عكاشة ظاهرة تحرش بعض ضباط الشرطة بالفتيات المشاركات في المظاهرات ومحاولة إذلالهن.



شكل ٤٢٣: أمام الحيتان.. أمام النسوان!

(الوقد، ٦ مايو ٢٠١٠)

وصدم الرأي العام عندما طالب ثلاثة نواب بمجلس الشعب (نائبى الوطنى حسن نشأت القصاص وأحمد أبو عقرب ونائب الغد رجب هلال حميدة) وزارة الداخلية بإطلاق الرصاص الحى على المتظاهرين. وتصاعدت الاحتجاجات والمظاهرات فى عدد كبير من المحافظات ضد نواب الرصاص مطالبة بطردهم من البرلمان. وصدم الرأي العام مرة ثانية عندما اكتفى مجلس الشعب برئاسة فتحى سرور بتوجيه اللوم لنواب الرصاص بعد أن ساد الاعتقاد بأنه لا بد وسيتم حرمانهم على الأقل من دخول البرلمان!



شكل ٤٢٤: نواب الرصاص !

رئيس مجلس الشعب فتحى سرور: "ما تعملش كده تانى .. فاهم؟!"
(الوفد، ٨ مايو ٢٠١٠)

◆ نواب الوطنى يطالبون الداخلية بإطلاق الرصاص على المتظاهرين ◆



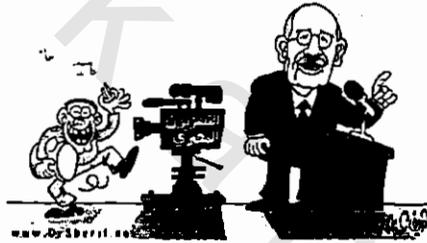
الشكل ٤٢٥: نواب الرصاص !٢

"ضربوني بالنار يا فسوانى ... مع إني مش من شباب ٦ أبريل!!"
(المصري اليوم، ٢٢ إبريل ٢٠١٠)

وتوالت الصفعات لنظام مبارك عندما نقلت الكاميرات من أمام صالة الاستقبال بالمطار في ١٩ فبراير ٢٠١٠ الحشود الشعبية التي جاءت من مختلف المحافظات لاستقبال البرادعي حاملة لافتات تأييد له لما يروونه مرشحاً مناسباً للانتخابات الرئاسية القادمة. وقد عمل على التنسيق لوصول هذه الحشود لاستقبال البرادعي كل من الحملة الشعبية لدعم البرادعي وحركة شباب ٦ إبريل وحملة "عايز حقي" وغيرها. كان الغرض الرئيسي لتأييد البرادعي هو الرد على المزاعم المسيطرة في تلك الفترة من عدم وجود بديل لجمال مبارك.

وركزت الرسوم الكاريكاتورية على "فزع" النظام من سطوع نجم البرادعي، فعقد شريف عرفة مقارنة بين البرادعي والتلفزيون المصري إذا ما تطرقنا إلى مفهوم "الريادة". ورسوم عمرو عكاشة مسؤول يفهم من زاوية أنفه وشفافيه أنه حسني مبارك وهو مستلقي أمام طبيبه الذي يكتشف متعجباً أن رؤيته لصورة البرادعي تتسبب في ارتفاع ضغطه. ويرى مخلوف في البرادعي متقدماً لسكان مصر من الغرق المحتم. بينما يرى عمرو سليم البرادعي كمرشح للشباب إذا ما قورن بمبارك الذي يكبره بأكثر من عشر سنوات.

◆ الريادة ◆



شكل ٤٢٨: الريادة!

(www.drsherif.net، ٢٥ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٤٢٩: البرادعي ١!

الطبيب: "غريبة .. كل ما بتبص على الصورة دي .. ضغطك بيزيد!!"

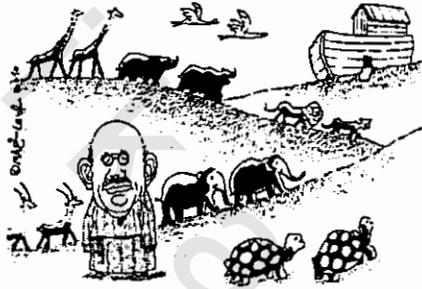
(الدستور، ١٩ يناير ٢٠١٠)



شكل ٤٣٠: البرادعي ٢!

"النظام: البرادعي لا يصلح للرئاسة.. ما المرشحين كثير أهه يا جدعان!"

(٢٠٠٩، www.drsherif.net)



شكل ٤٣١: سفينة نوح!

(المصري اليوم، ٢٨ فبراير ٢٠١٠)



شكل ٤٣٢: انتخبوا مرشح الشباب!

"أنا شخصياً كنت متقبلاً مرشح الشباب.. اللي عمده ٦٧ سنة بس!!"

(المصري اليوم، ٢٧ فبراير ٢٠١٠)

وصورت دعاء العدل كيف أن البرادعي وصل إلى قلوب الناس، حتى إلى قلوب عساكر الأمن شخصياً. ورأى مخلوف أن كل ما يهيم الأمن هو التوقف عن الحديث عن "تأييد البرادعي". ويرى عمر حسونة بأن البرادعي شخصياً يرى أن الناس محتاجة معجزة حتى تستطيع أن تتخلص من النظام.



شكل ٤٣٣: البرادعي في قلوب الناس!

ضابط الأمن: "يعني إيه "البرادعي" في قلوب الناس عايزك تعقل قلوبهم وكلاويهم كان!!"

عسكري و"البرادعي" في قلبه: "أوامر.. أوامر.. سعادتك يا باشا!!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)



شكل ٤٣٤: قلوب المصريين!

الدكتور العالمي مجدي يعقوب: "قلوب المصريين الأكثر ألماً ومرصاً بسبب القهر والظلم!!"

الأمن: "سيوه يقول اللي هو عايزه، المهم.. ميجيش سيرة تأييد البرادعي!!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)



البرادعي: "أنا متشكر أوي يا جماعة على استقبالكم لي .. بس أحب أقولكم انتو مش محتاجين البرادعي .. انتو محتاجين معجزة!"

(المصري ايوم، ١٩٠ أبريل ٢٠١٠)

وتعتبر انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠١٠ بمثابة أحد أوراق التوت التي سقطت تباعاً عن نظام مبارك، ولقد وافقت الأحزاب المعارضة على خوض الانتخابات بعد أن كانت تدرس بالفعل مقاطعتها تلبية لدعوة محمد البرادعي. شهدت هذه الانتخابات أحداث عنف واشتباكات في عدد كبير من الدوائر أدت إلى سقوط قتلى. وأجريت الانتخابات بدون إشراف قضائي وعارية من أية نزاهة، فقد اتهم الحزب الوطني بشبهة تزوير. وانسحب كل من حزب الوفد ومرشحي الإخوان المسلمين من جولة الإعادة احتجاجاً على ما رأوه من تزوير وأعمال عنف وبلطجة صاحبت الجولة الأولى.

كان الجو العام ينبئ بأن هذه الانتخابات ستكون الأسوأ على الإطلاق. وكذلك كانت رؤية رسامي الكاريكاتير وقناعتهم بأن الحزب الحاكم سيفعل المستحيل حتى يضمن أغلبية المقاعد بالبرلمان. كما سخر الرسامين من تصريحات الحزب الوطني بوصف هذه الانتخابات بـ "النزاهة"، ومن كشف الأموات التي تستغل أصواتهم في الانتخابات.



شكل ٤٣٦: انجازات الحزب الوطني!

مواطن: "عايز أطلع على منجزات الحزب الوطني في ٢٣ سنه.. من باب العلم بالشيء"

(الأهالي، ٦ أغسطس ٢٠٠٥)



شكل ٤٣٧: الانتخابات!

"وتتحر ليه دلوقتي.. ما تستنى بعد الانتخابات!"

(الأهالي، ٢٥ مايو ٢٠٠٥)



شكل ٤٣٨: الانتخابات المقبلة نزيهه!

الفتاة: "كل شويه يوقلي تعالى يا نزيهه وروحي يا نزيهه!!"

(المصري اليوم، ٢٦ إبريل ٢٠١٠)



شكل ٤٣٩: من أجلك أنت!

"مع هع هع.. عايزين ما أزوررش الانتخابات.. عشان يحصل فيازي ما -تصل في محمود أبوظة بتاع حزب الوفد؟!!"

(المصري اليوم، ١٢ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٤٤٠: الأموات يصوتون في الانتخابات!

"خانوتي: قوم ياخويا منك له.. الانتخابات قريت!!"

(الوفد، ١ أكتوبر ٢٠١٠)



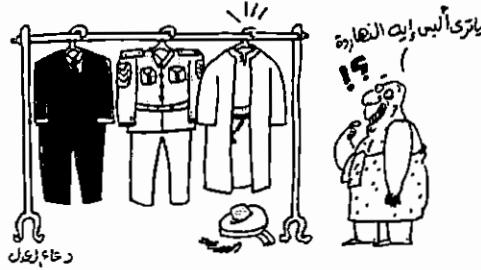
شكل ٤٤١: تصويت الأموات في الانتخابات!

"يا باشا انتوا زهقوتنا.. شعب وشورى.. ولسه انتخابات الرئاسة!!"

(الوفد، ٨ أكتوبر ٢٠١٠)

كما أشار الرسامين إلى تلون الحزب الوطني للتأثير على الناس واستغلاله الخطاب الديني للدعاية له.

◆ أزياء الوطني في انتخابات ٢٠١٠ ◆



شكل ٤٤٢: أزياء الوطني في انتخابات ٢٠١٠.

الحزب الوطني: "يا ترى ألبس إيه النهاردة؟!"

(المصري اليوم، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٠)



شكل ٤٤٣: رمضان كريم!

مواطن: "هوه اللي يزور الانتخابات في رمضان يا مولانا .. يدخل النار؟!"

الشيخ: "أنا أؤيد الحزب الوطني"

(الأهالي، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥)

وأشار عدد من الرسامين إلى بلطجية الحزب الوطني المأجورة التي تتواجد في كل انتخابات، وتساهم في إحداث أعمال عنف واشتباكات الغرض منها ترهيب المنافسين وناخبينهم.



شكل ٤٤٤: بلطجة الانتخابات!

"إديها ميه تديك طراوة كانت زمان.. دلو قتي إديها بلطجة.. تديك حصانة!!"
(الوقد، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠)



شكل ٤٤٥: بلطجي تحت الطلب

"إحنا بلطجية الانتخابات.. قول للدكتور مش عايز حاجة منا؟!"
(المصري اليوم، ٢٧ فبراير ٢٠١٠)

وحتى بعد إعلان نتائج "انتخابات" مجلس الشعب، استمر عدد كبير من الرسامين خاصة بالصحف المعارضة والمستقلة بتناول قضية الانتخابات والسخرية من نتائجها "المزورة". صور رؤوف عياد (الأهالي، ٨ يونيو ٢٠٠٥) مواطنًا يستمع لبيان تلفزيوني يقول: "ويسعدنا أن نعلن أن جميع مشاهدي التلفزيون المصري والقنوات المحلية وفضائيات "نايل سات" و"هوت بيرد" قالوا "نعم"! بينما رسم عمرو سليم ودعاء العدل أعضاء الحزب الوطني يسخرون من عامة الشعب! وأشار وليد طاهر إلى الأموال الطائلة التي تصرف على الدعاية للفوز بمقعد البرلمان، بينما أشار عمرو وعكاشة وعبد الله والعدل لحجم التزوير الذي شهدته هذه الانتخابات، التي كان مسؤولاً عن إدارتها أمين التنظيم بالحزب الوطني أحمد عز.



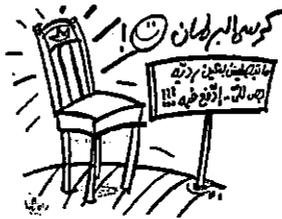
شكل ٤٤٦: نتيجة الانتخابات
(المصري اليوم، ١٩ ديسمبر ٢٠١٠)

نتيجة الإنتخابات

أنظر الكتاب صفحة ٢٠٠٥ ←



شكل ٤٤٧: نتيجة الانتخابات.. أنظر الكتاب صفحة ٢٠٠٥
(المصري اليوم، ٧ ديسمبر ٢٠١٠)



الشكل ٤٤٨: كرسي البرلمان!

"ماتبصليش بعين رديه.. بص للي.. إدفع فيه!!!"

(الشروق، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠)



شكل ٤٤٩: التزوير قبل وفي انتخابات ٢٠١٠
(الوفد ٦ ديسمبر ٢٠١٠)



شكل ٤٥٠: التزوير في الانتخابات
مزور: "ليه يارب خلقت الإنسان بإيدين اتنين بس؟!"
(المصري اليوم، ٧ ديسمبر ٢٠١٠)

♦ كائنات أسطورية مستحيل وجودها ♦

الغول و العنقاء و ... "نزهة" !!



٥٤٦ لؤلؤ

شكل ٤٥١: كائنات أسطورية مستحيل وجودها

"الغول والعنقاء و"نزهة"!!"

(المصري اليوم، ٢٩ نوفمبر ٢٠١٠)

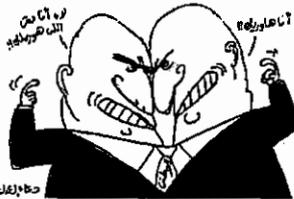


شكل ٤٥٢: أحمد عز مهندس انتخابات ٢٠١٠!
(الوقد، ٧ ديسمبر ٢٠١٠)

ورأى بعض الرسامين أن نتيجة انتخابات مجلس الشعب أظهرت خلو المجلس من أي معارضة ليتحاور الحزب الوطني في النهاية مع نفسه.



شكل ٤٥٣: مجلس الشعب بدون معارضة!
(الأهرام، ٧ ديسمبر ٢٠١٠)
١٠ انتخابات ٢٠١٠ - ٢٠٠٠ .. وطني يناقش وطنه



شكل ٤٥٤: انتخابات ٢٠١٠ .. الوطني يناقش الوطني!
الوطني: "أنا هاوريك!!"

وطني آخر: "لاء أنا بقى اللي هاوريك!!"

(المصري اليوم، ١٠ نوفمبر ٢٠١٠)



شكل ٤٥٥: نواب البراشوت!

(المصري اليوم، ٨ مايو ٢٠١٠)



شكل ٤٥٦: على كل لون يا باسطا!

"متهم بالفساد وتبديد الاموال العامة عضو بمجلس الشعب"، و"شتم عضو بمجلس الشعب"، و"المحرض على ضرب المسيحيين عضو بمجلس الشعب"، و"لاعب قمار عضو بمجلس الشعب".

المواطن: "مي اللي قال إن مجلس الشعب ما بيعتلس كل الطوائف؟!"

(المصري اليوم، ١٦ يناير ٢٠١٠)

ورسم عمرو عكاشة متحسراً على حال البلد بعد عملية تزوير الانتخابات التي فاقت في حجمها المرات السابقة والتي كُتت على مشهد ومنمع من الرأي العام.



شكل ٤٥٧: انتهاكات الحزب الوطني في الانتخابات!

الموطن: " وطني حبيبي الوطن الأكبر.. يوم ورا يوم وفصاحجه بتكثر.. وانكساراته ماليله حياته.. وطني يبخس ويستهتر.. وطني يا مالك حبك قلبي.. وطني يا بلد الحزب الوطني.. كرشك كبير كبير.. صلك خطير خطير..!"

(الوقد، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠)

وما لبث أن أدت إحدى رسوم عمرو سليم إلى نشوب أزمة بين صحيفة "المصري اليوم" الناشرة للكاريكاتور ومجلس الشعب، الذي اعتبر في الكاريكاتير إهانة للمجلس، وقام بتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في الكاريكاتير.



شكل ٤٥٨: انتخبوني.. ممثل القطط وخير من يمثلكم!

قطة: " من طينة غير طينتنا ولا شبهنا ولا يتكلموا زينا.. ورغم كده هما اللي يمثلونا في كل مجلس!"

(المصري اليوم، ١١ ديسمبر ٢٠١٠)

في المقابل، رسم ناجي كامل معبراً عن إحساسه بمضمون خطاب مبارك أمام مجلسي الشعب والشورى في افتتاح الدور البرلمانية لعام ٢٠١٠، الذي يراه ايجابياً. والحقيقة أن مارسمه ناجي يعتبر مفاجئاً ومخالفاً للتوقعات، فقد رسمه في ظل وجود احتجاجات واسعة ضد هذه الدورة البرلمانية بالتحديد. وبشكل عام لا يمكن أن نجد مثل هذه النوعية من الرسوم في الصحف الحزبية المعارضة أو المستقلة.



شكل ٤٥٩: استطلاع جديدة من وحي خطاب الرئيس ١١
(الأهرام، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٠)



- من وحي خطاب الرئيس، أمام مجلس الشعب والشورى -

شكل ٤٦٠: استطلاع جديدة من وحي خطاب الرئيس ١٢
(الأهرام، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٠)

سياسة التنفيس:

عمل نظام مبارك بمبدأ التنفيس حتى لا يحدث انفجاراً، فكان يسمح بإعطاء بعض الحركات تصاريح لإقامة مظاهرات، ثم يقوم بقمعها وبشدة. وكان يسمح بالنقد اللاذع وفي نفس الوقت يقوم بإرهاب المعارضين بأشكال عدة. فلم يخف عن الجهات السيادية مدى الغليان الذي وصل له الشارع المصري ولكن كان لديها دائماً طمأنينة أنه عملاً بنظرية التنفيس ستبقى سيطرتهم على الشارع وزمام الأمور. ومن أشكال التنفيس التي استطاع النظام توظيفها لصرف الناس عن مشاكلهم ومعاناتهم الحقيقية مرضي أنفلونزا الطيور

والخنازير ومباريات كرة القدم والتي كان على رأسها مباراة مصر والجزائر للتأهل لنهائيات كأس العالم ٢٠١٠.

أشار عمرو سليم إلى نظرية التنفيس والأثر النفسي على المواطن المصري الذي تتركه كم الأزمات والكوارث التي تنصدر المشهد الإعلامي، والتي منها "أزمة التلفزيون وقناة الجزيرة"، و"أزمة البرادعي وجماعة التغيير"، و"أزمة القضاة والمحامين"، و"أزمة الشرطة وقتيل الإسكندرية".



أحد المسؤولين: "الخطة نجحت ودماع المواطنين جابت جاز .. نصدر للخارج بقى يا فندم"

(المصري اليوم، ١٥ يونيو ٢٠١٠)

ظهر في مصر منذ عام ٢٠٠٦ مرض معد يعرف بمرض أنفلونزا الطيور، الذي يتقل للإنسان نتيجة المخالطة لطيور منزلية مصابة بالمرض، والذي قد يتسبب نوع منه معروف باسم (اتش ٥ إن ١) الوفاة بين البشر، مما دفع منع تداول الطيور الحية. وبالتالي تم إعدام ملايين من الطيور الداجنة لأهالي وشركات بما أضرت بشكل كبير على الثروة الداجنة. فوفقاً لتقرير عن مجلس الوزراء أن السلطات أعدمته ٤, ٣٤ مليون طائر قيمتها في الأشهر الـ ١٣ التي تلت ظهور المرض ٩٧٧ مليون جنيه، مما أدى إلى تحويل البلاد إلى مستورد للدواجن بتكلفة بلغت ٨٠, ٥ مليون جنيه بعدما كانت قد كسبت ٢١, ٥ مليون جنيه من صادرات الدواجن عام ٢٠٠٥^(١). ولعل هذا هو السبب الذي دفع بعض الناس خاصة من المتضررين إلى التشكك بأن وراء الأمر مؤامرة للقضاء على الثروة الداجنة واحتكار سوق اللحوم البيضاء في مصر لأشخاص محددين!

(١) إعدام دواجن قيمتها ١٧٢ مليون دولار في مصر، الأخبار، الاقتصاد والأعمال، "الجزيرة نت"، تم الاطلاع عليه في ١ يناير ٢٠١٢ من على الموقع الإلكتروني:

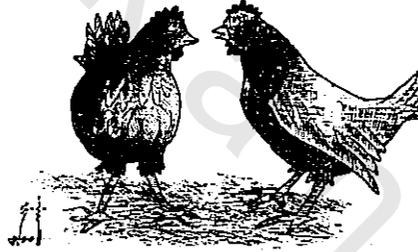
<http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=1038528>

الكاريكاتير السياسي

ويستغرب الكاتب والأديب محمد سماوي من توقيت وصول أنفلونزا الطيور إلى مصر، في الوقت الذي مازال الشعب مهمومًا بمأساة عبارة الموت التي راح ضحيتها مئات الأبرياء. يعتقد سماوي بأن الحكومة أسرعت بإعلان وجود المرض لتحويل اهتمام الناس بعيدًا عن موضوع العبارة التي لا تريد التحقيق فيه لأن مالك السفينة "صديق للمسؤولين"^(١).

ولم تمر بضع سنوات وحتى تم "الإعلان" عن ظهور وباء آخر بمصر اسمه "أنفلونزا الخنازير"، ليعلن النظام خطته في حصار الوباء باتباع تقريبًا نفس السيناريو الذي اتبعه مع أنفلونزا الطيور من خلال قرار إعدام جميع الخنازير في مصر، الخطة التي لاقت نقدًا وإدانة سواء على المستوى المحلي أو الدولي. وتبنت عدد من الصحف فكرة وجود ثمة مؤامرة وراء التهويل من حجم خطر الفيروس عالميًا، والتي يقف خلفها بعض شركات الأدوية المصنعة للمصل المضاد والتي ارتفع أسهمها في هذه الفترة بشكل ملحوظ^(٢).

• ظهور أنفلونزا الخنازير •



الخنزير ورائنا ورائنا من راقية تسيينا في حالنا...!!

شكل ٤٦٢: ظهور أنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير!

"الخنزير ورائنا ورائنا مش راضية تسيينا في حالنا...!!"

(الأهرام، ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠)

(١) محمد سماوي، أنفلونزا الطيور ونظرية المؤامرة، "المصري اليوم"، ٢٤ فبراير ٢٠٠٦.

(٢) خالد أحمد دياب، نظرية المؤامرة: أنفلونزا الخنازير سلاح بيولوجي تستفيد منه شركة يساهم فيها

رامسفيلد وريجان، "المصري اليوم"، ١٢ مايو ٢٠٠٩.



شكل ٤٦٣: أنفلونزا الخنازير!

الأب: "يا غشاش يا ضلالي اشتري منك صنف لحمة واحد... يطلع ثلاث أصناف!!"

(المصري اليوم، ١٠ نوفمبر ٢٠٠٩)



شكل ٤٦٤: أنفلونزا الخنازير!

أحمد نظيف: "تام .. بقولك نام .. شد اللحاف .. ركز في انفلونزا الخنازير وإنساني خالص!!"

(الوفد، ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩)

ومما لا يدع مجالاً للشك أن ملابسات مباراة مصر والجزائر كانت من أحد الخيل التي وظفها النظام لضمان صرف انتباه واهتمام الناس عن مشاكلهم وأزماتهم الحقيقية، ويبدو أنه بشكل ما نجح في هذا خاصة مع شعب عرف عنه عشقه "لللكورة" وأنها كل ما تبقى لديه ليزيح بها عنه قليل من همومه.

كانت المباراة الأولى قد تمت في القاهرة في ١٤ نوفمبر ٢٠٠٩، والتي انتهت بفوز المنتخب المصري بهدفين للاشياء. وتأزم الموقف الرسمي قبل الشعبي عندما انتشرت أنباء عن تعرض حافلة المنتخب الجزائري لاعتداء من جماهير مصرية قامت برشقها بالحجارة وتكسير زجاجها. وتوالت الأخبار عن وقوع اعتداءات على مصريين مقيمين في الجزائر عقب فوز المنتخب المصري على نظيره الجزائري في القاهرة، على إثر بث إحدى الصحف

الكاريكاتور السياسي

الجزائرية خبرًا كاذبًا عن مقتل عدد من الجزائريين وإصابة مئات في القاهرة، وهو ما أدى إلى مهاجمة مجموعة جزائرية مقار سكن وعمل مصريين بالجزائر.

وأقيمت المباراة الفاصلة في أم درمان بالسودان في ١٨ نوفمبر ٢٠٠٩، وانتهت بفوز الجزائر ١-٠ صفر وتأهلها لنهائيات كأس العالم ٢٠١٠، وسجل الإعلام المصري حدوث أعمال شغب وعنف، واتهم مشجعي الجزائر باعتدائهم على مشجعين مصريين وحافلاتهم سواء بالحجارة أو الأسلحة البيضاء، مما تسببوا في وقوع إصابات.

بصرف النظر عن المذنب أو المستفيد من وراء أحداث الشغب التي تمت، فمن الملاحظ أن الإعلام قد تبنى بشكل عام سياسة التهيج والتصعيد وليس التهدئة، وللأسف لم يراع الكثير من المهنية في نقل وتناول الأحداث، وسلك في البداية عدد من الرسامين نفس السياسة الإعلامية في التحريض ضد مشجعي الجزائر. واستفاد النظام من أحداث الشغب في السودان كغطاء للهزيمة. ولا ننسى أن أحداث الشغب كانت سببًا لعلو نجم علاء مبارك (الابن الأكبر لمبارك)، بعد أن قام بمدخلة هاتفية على الهواء مباشرة لإحدى البرامج التلفزيونية يندد ضد الأحداث ويرى أنه لا بد وأن يكون هناك موقف ضد ما حدث! ومن الجدير بالذكر، أن كلاً من علاء وجمال قد حضرا المباراة الفاصلة.



شكل ٤٦٥: البلطجية اشتكوا من كتر سكاكينك!

(المصري اليوم، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٩)

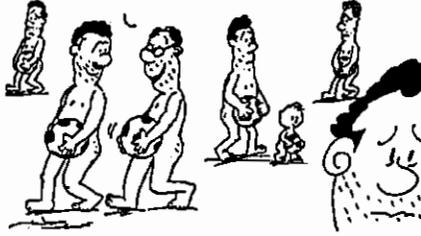


شكل ٤٦٦: ماتش الجزائر!

"حضارة سول: ٧٠٠ سنة خبرة في زيادة لحشرات الضارة"

(أخبار اليوم، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٩)

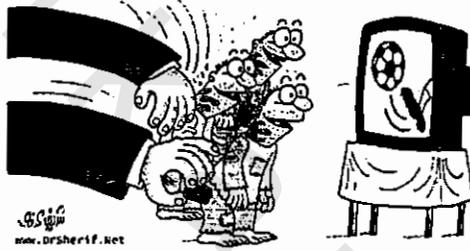
طبيعي طبعاً إننا نتخافك ونزعمك ونتحمق ..
أصل الكورة هي الحاجة الوحيدة الي فاضلة لنا !



شكل ٤٦٧: كورتي وكورتك وانفروا الكورا!

"طبيعي طبعاً إننا نتخافك ونزعمك ونتحمق .. أصل الكورة هي الحاجة الوحيدة الي فاضلة لنا!"

(المصري اليوم، ١٦ نوفمبر ٢٠١١)



شكل ٤٦٨: الزمبك!

(www.drsherif.net، ١٣ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٤٦٩: الانتماء!

الشعب: "فرجني الماتش بسرعة .. أرجوك محتاج الجرعة.." (www.drsherif.net، ١٩ يونيو ٢٠١٠)

صالح إنت ومال هندوراس؟! قلت لك
ميت مرة خليك مركز في أحداث
صاتش الجزائر!



شكل ٤٧٠: يحدث في بلد تتركب الأفيال!

مسؤول: "مالك أنت ومال هندوراس؟! قلت لك ميت مرة خليك مركز في أحداث صاتش الجزائر!"

(المصري اليوم، ٢ ديسمبر ٢٠٠٩)

مش شرط إن المهاجم الصريح هو اللي يجيب الجون...
فخ خطط اللعب الحديثة إني يجيب الجون بيكون جاي من
الخطط الخلفية!



شكل ٤٧١: صعود نجم علاء مبارك!

"مش شرط إن المهاجم الصريح هو اللي يجيب الجون... فخ خطط اللعب الحديثة اللي يجيب الجون بيكون جاي من الخطوط الخلفية!"

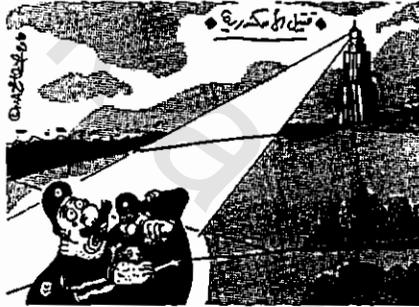
(المصري اليوم، ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٩)

خالد سعيد:

وقعت حادثة زلزلت الإسكندرية في ٦ يونيو ٢٠١٠ كان ضحيتها شاب يدعى خالد سعيد، الذي وفقاً لشهود عيان قد تم تعذيبه حتى الموت على أيدي اثنين من مخبري الشرطة التابعين لقسم شرطة سيدي جابر بالإسكندرية، القضية التي مازالت في أروقة المحاكم للمطالبة بالقصاص من قتلته.

وسرعان ما انتشرت قصته على موقع "فيس بوك" لتتسع دائرة الاحتجاجات وتشمل جميع محافظات مصر ضد التعذيب والتعامل بوحشية داخل أقسام الشرطة من قبل بعض رجال الأمن. كشفت هذه الحادثة عن قدرات موقع مثل "فيس بوك" على تنظيم الاحتجاجات والمظاهرات، وذلك من خلال ظهور صفحتين، "كلنا خالد سعيد" و"اسمي خالد سعيد"، واللتين كان لهما دورًا كبيرًا في تنظيم الاحتجاجات ضد انتهاكات الشرطة بشكل عام وضد ما حدث مع خالد سعيد بشكل خاص. من هذه الوقفات الاحتجاجية المنظمة، قام آلاف من المصريين بارتداء ملابس سوداء، والوقوف صامتين بطول "الكورنيش" في العديد من المحافظات، ووجههم مواجهة للبحر أو للنيل، حدادًا على شهيد الطوارئ.

وثارت الرسوم الكاريكاتورية متعاطفة مع قضية خالد سعيد وضد انتهاكات الشرطة.



شكل ٤٧٢: قتل الإسكندرية!

(المصري اليوم، ١٤ يونيو ٢٠١٠)



شكل ٤٧٣: تاريخ الشرطة.. حوادث التعذيب!

(المصري اليوم، ٢٩ يونيو ٢٠١٠)



"سنة كاملة.. ولم يعاقب قتلة خالد سعيد!"
 بهلوان: "بقى ياراجل فانت سنة ولسه مانستش خالد سعيد؟!!"
 زميله: "ولا ميت سنة"

(الأهرام، ٩ يونيو ٢٠١١)

الثورة التونسية:

لم يصدق المصريون أنفسهم وهم يتابعون ثورة تونس التي اندلعت في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ ويتساءلون، إذا كان قد حدث في تونس فما يمنع حدوثه هنا؟ ومن قراءة سريعة للنكت التي أطلقها المصريون على أنفسهم وقتها، تعرف أنهم غير راضين عن موقعهم كمتفرج وانهم نوا على القيام بثورة. وكانت أشهر النكت: "يعني إيه كوك زيرو: يعني البرادعي يطالب بالتغيير في مصر، الشعب يستجيب في تونس"، و"الفرق بين الشعب المصري والتونسي إن الشعب التونسي تقول له ثور فيثور والشعب المصري تقول له ثور يقول احلبوه"، و"تونس اختارت التغيير ومصر اختارت شيسبي بالجمبري"، و"بن علي بيتصل بمبارك ومبارك بيكنسل عليه"، وأخيراً "هوليه شباب تونس بيتظاهروا في الشوارع هو مفيش عندهم فيسبوك".

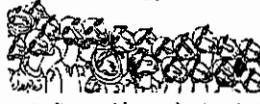
وطبعاً وجد الرسامون أخيراً ضالتهم ويدقون يدقون طبول الحرب (الثورة) بمساندتهم لثورة تونس في الكاريكاتير. كما عبر الرسامون عن قلق الأنظمة العربية بما فيها نظام مبارك على أنفسهم بعد أحداث ثورة تونس.



شكلا ٤٧٥: تونس... أكبر النار من مستصغر الشررا

(الأهرام، ١٥ يناير ٢٠١١)

إرادة الشعب
لا تقهر
٢٠١١ تونس



شكل ٤٧٦: إرادة الشعب لا تقهر.. التوقيع تونس!
(المصري اليوم، ١٥ يناير ٢٠١١)



شكل ٤٧٧: الآن فهمتكم!

الزوجة: "يا قوة الله.. ده الحكام يياخدوا وقت طويل قوي على ما يفهموا الشعب ياسي سيد!"

(المصري اليوم، ٢١ يناير ٢٠١٠)



شكل ٤٧٨: ثورة تونس!

فيروز: "أيه في أمل!!"

(الشرق، ١٩ يناير ٢٠١١)



شكل ٤٧٩: ثورة تونس!

(١٨ يناير ٢٠١١، www.drsherif.net)



شكل ٤٨٦: تنظيم عنبر ٩

"هذا البيان لكل مسئول.. سبق وحذرنا من لصاق أي تهمة بنا.. دلوقتي كل ما حد يولع في نفسه يقولوا عليه مجنون.. ونحن نحذر من تكرار ذلك.. صحيح مش هنولع في الراجل الطيب ده.. لكن هنحط واحد كبير مكانه.. احنا ولاد مجنونه ونعملها.. وقد أعذر من أنذر!!"

(الوقفه ١٨ يناير ٢٠١١)

كانت نظرة الرسامين بشكل عام للواقع والمستقبل مصر يتسم بالتشاؤم في ظل استشرء الفساد، واحتكار بعض رجال الأعمال القرييين من النظام لسوق المال، ولا يوجد آليات أو نية لوقف نزيه النهب والسرقات.



شكل ٤٨٧: مستقبل مصر!

مواطن: "تفتكر.. أنا اللي مش شايف أدامي واللا أدامي... هو اللي مش موجود!!"
زميله: "الاتنين!!"

(الشروق، ١ نوفمبر ٢٠٠٩)



شكل ٤٨٨: ما شريش من نيلها

"ما شريش من نيلها... ما سرقش مصانعها.... جريت في عز ما تحزن تمشي في شوارعها وتشكيلها.... دور جواك تلقاها هي عز وهي جمال.... غيرك عملوا من قوتنا ثروات ولا جت على بال.... يمكن ناس لأنك فيها.... يوماتي شايف بلاويها.... بس اللي مجرب وفارقها قال في الدنيا مفيش زيها"

(الوفد، ٩ ديسمبر ٢٠١٠)

الإرهاب والفتنة الطائفية:

بدأت السنة الجديدة ٢٠١١ بحادث إرهابي مروع أخذ بأفئدة ولب المصريين من بشاعته، فقد حدث تفجير استهدف كنيسة القديسين بالإسكندرية في ليلة رأس السنة وقت الاحتفال بعيد الميلاد، مما أودى بحياة عشرات القتلى وما يقرب من ٩٠ جريح. وكانت هذه آخر ورقة توت سقطت عن نظام مبارك.

كان ثمة اتجاه إعلامي استمر لسنوات يطلق على حوادث الاعتداء على الأجانب والمناطق السياحية بالإرهاب، في حين يطلق على حوادث الاعتداء على الأقباط أو على دور عبادتهم بالفتنة الطائفية. ولعل السبب الذي يرجع للمسمى الأخير هو أن الاعتداءات على الأقباط يكون الغرض منه إشعال الفتنة بين فصيلي المجتمع الواحد. وهذا يدفعنا للتساؤل هل يوجد فتنة طائفية وهناك من يريد أن يوقظها؟ أم هناك طائفية تحتاج من يقضي عليها؟ وإذا سلمنا بأن هناك فتنة نائمة، فمن من مصلحته أن يوقظها؟

ثمة حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي أن تضاؤل دور الأزهر في السنوات الأخيرة أتاح للمد الوهابي أن يملأ الفراغ الذي خلفه والذي يحمل خطاباً دينياً متشدداً يزيد من حالات الاحتقان، إن وجدت، بين فصيلي المجتمع. وبسبب ضعف الأزهر وفقدانه لسيطرته على بعض المساجد خاصة في المناطق الريفية أو الشعبية، وقع بعض الناس ضحايا لفكر خطابي متشدد. فهناك بشكل ما طائفية يتوجب التصدي لها برجوع الأزهر لمكانته ودوره الريادي كمنار للإسلام الوسطي.

الكاريكاتير السياسي

وإذا سلمنا بوجود متعصين من المسلمين فهذا لا يعني بأي حال أنهم ممن يتبنون فكرة الاعتداء على من هم على غير دينهم. فإزالت فطرة المصريين بشكل عام لا تبني العنف ولا تتخذه مبررًا. ونقصد هنا المواطنين العاديين ممن لا ينتمون لجماعات إسلامية متطرفة قد اتخذت في الماضي العنف مذهبًا وارتكبت أعمالًا إرهابية.

فقد عرفت مصر مبكرًا جدًا وبشكل عملي نتيجة الخلطة السرية للجهل والتعصب مع فقر وفساد في شكل عدد من العمليات الإرهابية التي استهدفت أبرياء من المصريين والسائحين الأجانب. وقد دق ناقوس خطر التطرف وعلاقته بالإرهاب مبكرًا مع اغتيال السادات عام ١٩٨١ على يد عناصر متمنية للجماعة الإسلامية.

يعتقد بعض الرسامين بأن ثمة علاقة قوية بين الفساد والإرهاب. كما أن انتشار الفقر والجوع والجهل والبطالة من العوامل التي هيأت بيئة خصبة لانتشار الأفكار المتطرفة والهدامة.



شكل ٤٨٩: الإرهاب!

الزوجة: "والغلا اللي احنا فيه ده .. مش إرهاب برضه يا سي عبده؟!"

(الأهلي، ١١ مايو ٢٠٠٥)



شكل ٤٩٠: الفساد والإرهاب!

(زهدي، ١٩٩٨)

وتعتبر حادثة الأقصر (١٧ نوفمبر ١٩٩٧) من أشنع الحوادث الإرهابية الدموية التي ارتبطت بالجماعات الإسلامية المتطرفة، والتي استهدفت السائحين الأجانب بالدير البحري، وراح ضحيتها ما يقرب من ٥٨ سائحًا من جنسيات مختلفة، وقد أعقب هذه الحادثة إقالة وزير الداخلية وقتها حسن الألفي، وتولية حبيب العادلي مكانه.

هاجمت الرسوم وقتها التطرف الديني والإرهاب، كما سخرت من نفاق المسؤولين وعدم شفافية تصريحاتهم حول حقيقة ما يحدث. رسم رؤوف في "الأهالي" (٣ ديسمبر ١٩٩٧) مسؤول يحدث صحفيًا قائلًا: "واكتب إن السياحة بخير.. والتدفق السياحي مستمر.. ويقول لأهالي الأقصر بطلوا وزن وكل واحد يحاول يسافر يشوف شغلانه في الخليج!"

كما أشار رؤوف أن الأهم من تغيير القيادات الأمنية تحسين الوضع المتدني والظروف الاقتصادية الصعبة التي يعمل في ظلها عساكر أمن "الأقصر"!



شكل ٤٩١: عساكر الأمن بالأقصر!

"مش مهم تغيير القيادات الأمنية.. المهم تغيير الفول والطعمية والبصل..!!"

(الأهالي، ٣ ديسمبر ١٩٩٧)

ومع أن الإرهاب كان محليًا صرفًا، إلا أن ماهر داوود في "الأهرام" (٢٩ يناير ١٩٩٨) تحت عنوان "فوازير الإرهاب"، ربط بين الإرهاب وإسرائيل، فصور رجلاً، يرتدي جلابية ويضع عصا على عينيه وقد أخذت لحيته شكل نجمة داوود، يسأل متعجبًا ضابط شرطة قد ألقى القبض عليه: "إنما إيش عرفك إني إرهابي وعميل؟"، في إشارة إلى أن ما يقترفه الإرهابيون من جرائم في مصر يقع في مصلحة إسرائيل، وبالتالي ليس مستبعدًا أن يكونوا عملاء لإسرائيل.

ولم تكن حادثة الأقصر الأولى أو الأخيرة، بل أعقبها سلسلة من التفجيرات، ففي ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤، وقعت تفجيرات في فندق هيلتون في منتجع طابا بسيناء، أوقعت ٣٤ قتيلًا و١٠٥ جرحى، وكان من بين القتلى ابنة رئيس وزراء إسرائيل شارون وحفيدها

وسكرتيرته. وفي ٧ و٣٠ إبريل ٢٠٠٥، تعرضت القاهرة ليومين داميين من العنف في حي خان الخليلي وميدان عبد المنعم رياض، قتل فيها ثلاثة سائحين أجانب، وأصيب ١٨ شخصاً بينهم عشرة مصريين. وفي ٢٣ يوليو ٢٠٠٥، شهدت مدينة شرم الشيخ سلسلة من الهجمات الإرهابية، أودت بحياة ٨٨ قتيلاً، معظمهم من المصريين، وأعلنت مجموعة سمت نفسها كاتاب عبد الله عزام تابعة للجماعة "القاعدة" الإرهابية، مسؤوليتها عن الحادث. وفي ٢٤ إبريل ٢٠٠٦، وقعت ٣ تفجيرات مترامنة بمتجمع ذهب في شرم الشيخ، أودت بحياة ٢٣ شخصاً وجرح ٦٢ آخرين معظمهم من المصريين. وفي ٢٢ فبراير ٢٠٠٩، في سوق خان الخليلي قرب المشهد الحسيني في حي الحسين بالقاهرة، انفجرت قنبلة أسفرت عن مقتل فتاة فرنسية تبلغ من العمر ١٧ عامًا، وإصابة ٢٥، من ضمنهم أربعة مصريين.

وتذكرنا مذبحة القديسين والتي شهدت بعدها ثورة ٢٥ يناير، بـ "مذبحة كنيسة السويس" في ٤ يناير ١٩٥٢، والتي شهدت بعدها حريق القاهرة ٢٦ يناير التمهيدي لثورة يوليو ١٩٥٢. لم يكن الحادثين تمهيداً مباشراً للثورتين، لكنه بكل تأكيد كان إشارة لاحتامية إنهاء نظام الظلم.

وتعتبر "مذبحة كنيسة السويس" من "خطر الأحداث التي هددت الوحدة الوطنية في منطقة القنال، وكادت أن تؤدي إلى فتنة وأن تؤدي إلى انسحاب الأقباط من الحركة الوطنية في مصر كلها. وقد تبين من التحقيقات أن السبب في الحريق هو أحد الشباب المرتزقة الذين كانوا يعملون في المعسكرات الإنجليزية والذي عرف عليه عدد من السوابق الإجرامية من قبل^(١).

وساهم في امتصاص الغضب والحيلولة دون حدوث فتنة بعض الأعلام الشريفة الواعية من الأقباط الذين أشاروا إلى قناعتهم بتورط الإنجليز في هذا الحادث، وبالتالي أغلقوا كافة النوافذ والأبواب على المؤامرة وفشلت فتنة السويس في الإطاحة بالحركة الوطنية. ففي المقال الافتتاحي بالصفحة الأولى من جريدة "النيل" (١٤ يناير ١٩٥٢)، على سبيل المثال، كتب تادرس شنودة واصف مقالاً تحت عنوان "اضربوا على الأيدي العابثة" يسجل فيه قناعاته ويقول فيه: "إننا نرى أن الأصبغ الإنجليزي قد بدأ يلعب فعلاً"، و"نعم إن الإنجليز يهتمهم جداً أن يروا عنصري الأمة وقد افترقا فيسهل تمزيق الجميع وبذلك يطمثون على أنهم باقون بدعوى حماية الأقليات ولكن أين الأقليات ولما يسموا الأقباط

(١) الدكتور محمد أنيس، "حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ على ضوء وثائق تنشر لأول مرة"، المؤسسة

العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص: ٢٣.

بأقليات إن الأقباط والمسلمين في وادي النيل مصريون أخوة في وطن واحد" (١). ووفقاً لصحيفة "الشروق" (٢)، فإن هناك سرداً طويلاً لحوادث الفتنة الطائفية في مصر، فلا يكاد يمر عام إلا وتكون هناك مواجهات بين مسلمين وأقباط في مكان ما. وتعتبر حادثة "الخانكة" عام ١٩٧٢ أولى حوادث الفتنة الطائفية في شكلها المعهود التي نعرفها اليوم، فقد حدثت مواجهات بين أقباط ومسلمين بسبب محاولة بعض الأقباط تحويل مترهم إلى كنيسة، ثم كانت أحداث الزاوية الحمراء عام ١٩٨١ والتي أشار إليها السادات في إحدى خطاباته بمجلس الشعب والتي نشبت على أثر خلافات عادية، ثم كانت أحداث "الكشخ" الأولى عام ١٩٩٨، على خلفية ثأر بين عائلة مسلمة وأخرى قبطية، وبعدها بعامين، كانت أحداث "الكشخ" الثانية على خلفية نزاع بين تاجر مسلم وآخر قبطي، أسفرت عن مقتل ٢٢ شخصاً بينهم ٢١ من الأقباط بالقرية. وشهد النصف الأول من عام ٢٠٠٩ تسع حوادث طائفية وفقاً للمركز المصري للتنمية والدراسات الديمقراطية و"الجمعية المصرية لدعم التطور الديمقراطي".

وعلى خلفية تفجيرات كنيسة القديسين، تم اعتقال عدد من المتمين لجماعات سلفية من غير تهم موجهة لهم، لتسقط ضحية جديدة لتعذيب أمن الدولة، وهي للشهيد. اشاب السيد بلال، الذي مازالت أسرته تناضل عن طريق القضاء لتحاكم قتلته.

انتشرت في الرسوم الكاريكاتورية نفس الأكلشيهات المعتادة التي تستخدم عند تناول حوادث الفتنة الطائفية، مثل رمزي الهلال والصليب، ورمز مفتاح النيل، وتصوير الفتنة الطائفية كشیطان، للتعبير عن غضبهم وصدمتهم فيما حدث، والتأكيد على صمود روح الوحدة الوطنية. واستطاع بعض الرسامين أن يخرجوا من هذه القوالب المعتادة ويعبروا بأسلوب وشكل جديد عن الحدث.



شكل ٤٩٢: الغزاة للمصريين! (الشروق، ١ يناير ٢٠١١)

(١) الدكتور محمد انيس، المرجع السابق، ص: ٢٤-٢٥.
 (٢) "الشروق"، من الخانكة وحتى فرشوط.. رصيد الفتنة الطائفية لا ينفد.. فمن ينزع الفتيل؟، ٨ يناير ٢٠١٠.



شكل ٤٩٣: الوحدة الوطنية ١١
(الأهرام، ١١ ديسمبر ٢٠١٠)



— في نهاية الحديث تحيي تقولي إيه لأبنائك؟
— أخولك لفتياتك مصر أكبر من الأحرار وفوق الجميع...
صحتين

شكل ٤٩٤: الوحدة الوطنية ١٢

المذيع: "في نهاية الحديث تحيي تقولي إيه لأبنائك؟"
مصر: "أقول لأبنائي مصر أكبر من الأحرار وفوق الجميع."
(الأهرام، ١٠ يناير ٢٠١١)

وشدد الرسامون بأن يقظة المصريين ستحول بين أن يفرق "الإرهاب" أو أيًا من
كان بين فصلي الأمة.



شكل ٤٩٥: الإرهاب ويقظة المصريين!
(الأهرام، ١٨ يناير ٢٠١١)



ح. ش. ش. ش.

شكل ٤٩٦: الوحدة الوطنية ضد الإرهاب!

(الأهرام، ١٧ يناير ٢٠١١)



شكل ٤٩٧: كنيسة القديسين!

(المصري اليوم، ٢ يناير ٢٠١١)

من غير حلفان... عارف إن مش انت إالى عملت كده...
و عارف كويس مين إالى عامل فينا كده!!



شكل ٤٩٨: الفساد!

المواطن المسيحي: "من غير حلفان... عارف إن مش انت إالى عملت كده... وعارف
كويس مين إالى عامل فينا كده!!"

(المصري اليوم، ٢ يناير ٢٠١١)

ويعتقد ناجي كامل بأن ثمة أيادي خارجية وراء تفجير الكنيسة، وهي إسرائيل. كما
أعاد ناجي نشر نفس الكاريكاتير (شكل ٥٠٠) الذي سبق وأن نشره في ٢٠ يناير ٢٠١٠،
تعميماً على أحداث الفتنة الطائفية بنجع حمادي.

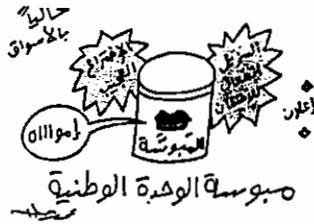


شكل ٤٩٩: الإرهاب!
(الأهرام، ١٦ يناير ٢٠١١)



شكل ٥٠٠: القنعة الطائفية!
(الأهرام، ٢ يناير ٢٠١١)

وسجل عدد من الرسامين رفضهم لطريقة معالجة النظام "العقيمة" والمتوقعة لتفجيرات كنيسة القديسين، والتي أضحت لا تمتص غضباً ولا تقلل احتقاناً. فالصورة المعتادة بعد حوادث الاعتداءات على الأقباط أو دور عبادتهم أن يركز الإعلام على مقابلة كل من البابا شنودة، بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية، مع شيخ الأزهر، وهما يتصافحان ويقبلان بعضهما البعض، و"خلصت الحدوتة". كما يركز التلفزيون المصري على إذاعة بعض الأغاني عن الوحدة الوطنية التي يعاد إذاعتها خصيصاً بعد هذه الحوادث.



شكل ٥٠١: مبوسة الوحدة الوطنية!

إعلان: "حاليًا بالأسواق.. المزبل الفعال للاحتقان.. الاختراع العجيب.. إمووااه"

(المصري ليوم، ٣ يناير ٢٠١١)

التعاية السخيرة !!



شكل ٥٠٢: النهاية السعيدة!

(المصري اليوم، ٥ يناير ٢٠١١)



شكل ٥٠٣: خطوات فعالة لإخاد الفتنة!

رئيس الوزراء أحمد نظيف: "طبعًا أخذنا خطوات فعالة لإخاد الفتنة.. الصبح هنعرض أغنية "ما شريتش من نيلها".. والضحهر... "يقي انت أكيد في مصر".. أما بالليل هنعرض أغنية "يا حبيبي يا مصر"!!"

(الوقد، ١١ يناير ٢٠١١)



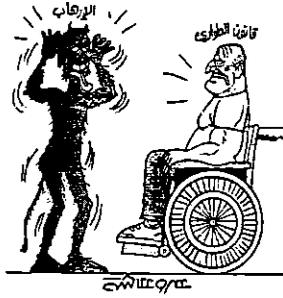
شكل ٥٠٤: كاريكاتير الوحدة الوطنية!

الأمن: "ارسم كاريكاتير يؤكد وجود الوحدة الوطنية!!"

(المصري اليوم، ٢٧ يوليو ٢٠١٠)

ومن الجدير بالذكر أن نظام مبارك كان يتخذ من مثل هذه الأحداث الإرهابية مبررًا وراء تمسكه بالعمل بقانون الطوارئ، وبالتالي وجدها عمرو عكاشة مناسبة للسخرية من "قانون الطوارئ" الذي بدا عاجزًا أمام الإرهاب.

• دوت تعليق •



شكل ٥٠٥: الإرهاب وقانون الطوارئ!
(الوفد، ١ يناير ٢٠١١)

وقارن عمرو عكاشة بحسرة بين ما أقره النظام للمتوفي في حادث كنيسة القديسين (٢٠ ألف جنيهًا مصريًا)، وبين ما دفعه للمتوفي الروسي في حادث قرش شرم الشيخ (٥٠ ألف دولار).



شكل ٥٠٦: تعويضات للمصري والأجنبي!

"٢٠ ألف جنيه للمتوفي في حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية"

"٥٠ ألف دولار للروسي المتوفي في حادث قرش شرم الشيخ"

المواطن المصري: "لولم أكن مصرياً ... لوددت أن أكون روسياً!"

(الوفد، ٦ يناير ٢٠١١)

ومن المفاجآت التي أثرت بعد ثورة ٢٥ يناير هي ظهور مستندات تفيد باحتمالية تورط وزير الداخلية السابق حبيب العادلي في تفجير كنيسة القديسين^(١)، والتي مازالت رهن التحقيقات ولم يبت بعد في مدى صحتها.

تنبؤات بالثورة:

ولكن هل تنبأ الرسامون بحدوث ثورة؟ ما هو ثابت من الرسوم أن بعض الرسامين كان يعتقد بأن رياح التغيير لا بد وستهب وأنه لا بد للظلم والفساد من نهاية. وفي عدد من المقابلات الصحفية معهم قبل الثورة، كان لسان حالهم هو الاستياء مما يحدث، حتى أن وصل الإحباط حده مع بعض منهم أن فكر في الاعتزال.



شكل ٥٠٧: التغيير قادم لا محالة!

الشويش: "معاش اللي يضايقتك كده يا باشا.. قوللي بس الجدع اللي اسمه "إيكونوميست" ده ساكن في أنهي زقاق وأنا أجيبهولك من لغاليغه!!"

(المصري اليوم، ٢٧ يوليو ٢٠١٠)



شكل ٥٠٨: عنوسة شعب.. في انتظار التغيير!

(المصري اليوم، ٢٤ يونيو ٢٠١٠)

(١) ميرفت رشاد، بالمستندات.. تفاصيل خطة حبيب العادلي لتفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية...، اليوم السابع، ٣ مارس ٢٠١١.



شكل ٥٠٩: الاستقرار!
(الشروق، ٦ مارس ٢٠١٠)

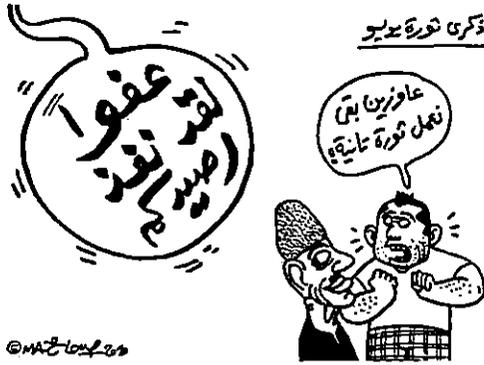
لكن ما هو ثابت أيضًا أن بعض الرسامين قد تبنوا بنهاية النظام وبعض رموزه وتحديدًا في عام ٢٠١١. فعلى سبيل المثال، لمح بعض الرسامين، وعلى رأسهم عمرو سليم ودعاء العدل ومخلوف، وفي أكثر من مناسبة في رسومهم عن حدوث ثورة باستخدامه لكلمة "ثورة" ووضعها في سياق ذكي. كما أن عمرو عكاشة نشر رسوماً مع نهاية عام ٢٠١٠ تنبأ فيها بزوال عدد من الرموز ورجال الأعمال وعلى رأسهم وزير التعليم السابق أحمد زكي بدر ونائب مجلس الشعب ومحتكر الحديد أحمد عز. وكانت قبلة عكاشة على الإطلاق هي كاريكاتيره الذي زعم أنه سترى مثله في عام ٢٠١١، يصور فيه شاهدي قبر كتب عليه "عاش سنين طوال في البلاد... وأخيرًا استراح منه العباد".



شكل ٥١٠: ثورة البركان في أيسلندا!

رئيس التحرير: "انت اتجننت؟! غير الكلمة الهباب دي فوراً! خليها تمرد محدود للبركان تمت السيطرة الأمنية عليه!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)



www.egyptian.com

شكل ٥١١: ذكرى ثورة يوليو!

مواطن: "عاوزين بقى نعمل ثورة ثانية!"
"عفوًا لقد نفذ رصيدهم"

(المصري اليوم، ٢٧ يوليو ٢٠١٠)



doaa_eladi@yahoo.com

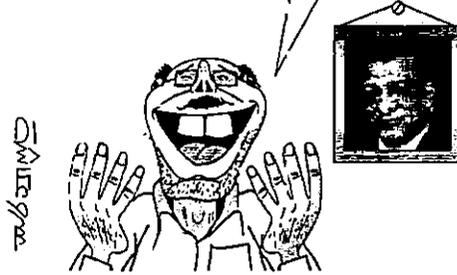
وعاء لعل

شكل ٥١٢: الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو!

الأمن: "شيل يابني كلمة "ثورة" .. مش عايزين نفتح عيون الناس على الحاجات دي!!"

(المصري اليوم، ٢٧ يوليو ٢٠١٠)

اللهم اننا شكوة للكبير الرزين... فعمل وذن من طين وودن من عجين...
ولم نسمع شكواتنا لانه عنيد... يجب ان يضر بنا بيد من حديد...
فلم نجد اكبر منك يا رحمن... لنشكوا له قلم الوزير الانسان...
اللهم ارنا عظيم آياتك التي لا تحظر على بال... لتكون على الظالمين وبال...
وارنا في العام الجديد... وزير جديد... فهذا ليس عليك ببعيد...
في مفاجأة تهرز قلوب الظالمين... من يوافقني يردد ورائي آمين...!!



شكل ٥١٣: دعاء علي وزير التعليم السابق أحمد بدرا

"اللهم إننا شكونا للكبير الرزين... فعمل وذن من طين وودن من عجين... ولم نسمع شكوانا لأنه عنيد... يجب أن يضر بنا بيد من حديد... فلم نجد أكبر منك يا رحمن... لنشكوا له ظلم الوزير الإنسان... اللهم أرنا عظيم آياتك التي لا تحظر على بال... لتكون على الظالمين وبال... وأرنا في العام الجديد... وزير جديد... فهذا ليس عليك ببعيد... في مفاجأة تهرز قلوب الظالمين... من يوافقني يردد ورائي آمين...!!"

(الوقف، ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠)



شكل ٥١٤: في ٢٠١١.. سوف تجدون هذا المشهد!

"عاش سنين طوال في البلاد... وأخيراً استراح منه العباد"

(الوقف، ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠)

ثورة ٢٥ يناير: ثورة الثمانية عشر يوماً:

انتشرت دعوات شبابية على الشبكة العنكبوتية تنادي بالنزول يوم الثلاثاء ٢٥ يناير وجعله يوم الغضب الشعبي، وما لبث وأن استجاب للدعوة عدد كبير من الشباب وتم الحشد للنزول. وكانت من أكثر الصفحات التي كانت تروج ليوم الغضب، صفحة "كلنا خالد سعيد" و"صفحة" حركة شباب ٦ إبريل". ووفقاً لصحيفة "الشروق"^(١)، فإن ثمة تسع حركات صنعت يوم الغضب وهي حركة "شباب من أجل العدالة والحرية" التي ظهرت في منتصف يوليو ٢٠١٠، والحركة الشعبية للتغيير "حشد" التي ظهرت في أغسطس ٢٠١٠، وحركة "شباب ٦ إبريل" التي ظهرت في ٦ إبريل ٢٠٠٨، و"الجبهة الحرة للتغيير السلمي" والتي تأسست في منتصف عام ٢٠١٠، و"تيار التجديد الاشتراكي" الذي أقيم في ٢٥ سبتمبر ٢٠١٠، و"الحملة الشعبية المستقلة لدعم البرادعي" التي ظهرت للنور في ١٩ فبراير ٢٠١٠، و"حملة دعم حمدين صباحي مرشحاً للرئاسة"، وحركة "كفاية" التي ظهرت على الساحة السياسية في صيف ٢٠٠٤.

ولم يكن غريباً اختيار ٢٥ يناير (عيد الشرطة المصرية) تحديداً ليكون يوماً للثورة على النظام، فقد أصبحت الشرطة في الآونة الأخيرة أحد أذرع النظام التي لا تهتم إلا بحمايته، ناهيك عن الانتهاكات التي اقترفتها ضد مواطنين داخل أقسامها وأروقعتها. وبالتالي شتان بين خروج الناس يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ للتنديد بقتل أفراد من الشرطة المصرية على يد المحتل الإنجليزي يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ عندما رفضوا تسليم مواقعهم وفضلوا المقاومة، وبين خروج الناس يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ ضد انتهاكات الشرطة في عصر مبارك، والذي تحول شعارها من "الشرطة في خدمة الشعب" إلى "الشرطة في خدمة النظام".

ولعل هذا يفسر حالة "انتكاسة" الداخلية وأحد أسباب الانفلات الأمني الذي تعيشه مصر منذ الثورة وحتى الآن. فهازالت العقلية الأمنية ترفض التصالح مع ثورة ٢٥ يناير التي رأت أنها قامت ضدها.

كان أهم ما أصر عليه الشباب في المظاهرات هو حتمية سلميتها، فكان ردهم للقمع الدموي من قبل الجهات الأمنية بتريديد هتاف "سلمية.. سلمية". لقد اختار الشباب أن تكون "السلمية" هي لغتهم لإحداث تغيير وليس العنف، وبالتالي كان صوتهم أعلى، لتصبح الثورة المصرية ملهمة للعديد من الحركات العالمية والشعوب التي تتطلع للتغيير.

(١) ندى الخولي، إنترنت ودعوات "افتراضية" و٩ "حركات" صنعت "يوم الغضب"، "الشروق"، ٢٩ يناير ٢٠١١، عدد ٢٢٨.

الكاريكاتير السياسي

اتسم يوم الغضب بمواجهات عنيفة بين أجهزة الأمن والمواطنين في أغلب الشوارع الرئيسية والميادين العامة في القاهرة والمحافظات، استخدم فيها الأمن القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي والهراوات لتفريق المتظاهرين. وكانت أكثر المدن التي شهدت التحامًا وظهورًا شديدًا في أيام الثورة الأون بالإضافة إلى القاهرة الإسكندرية والسويس والإسماعيلية ودار السلام والمحلة وشمال سيناء والفيوم. ورفع المتظاهرون شعار الثورة "عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية"، الثلاثة مطالب الأساسية والأدمية. ولم تكن الثورة ثورة جياح، إنما كانت ثورة كرامة، خرجت لشأركرامة المصري التي امتهنت داخل بلده قبل خارج بلده. وكان من أهم الشعارات التي رفعت خلال التظاهرات "الشعب يريد إسقاط النظام"، و"يا مصري خايف ليه في ايه تاني هتبكي عليه".

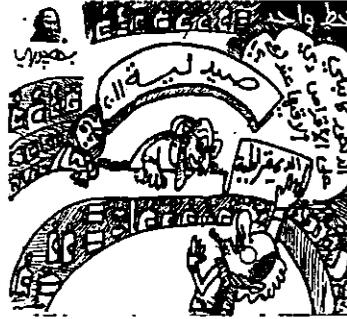
وللأسف لا يوجد حصر دقيق لعدد الشهداء والجرحى الذين سقطوا منذ ٢٥ يناير، كما مورس عدد من الضغوط على أهالي الشهداء والتي منها رفض تسليمهم تقارير تسجل السبب الحقيقي للوفاة.

وتنوعت تغطية الصحف لأحداث يوم الغضب من متجاهلة مولية للنظام، لمرحبة معارضة للنظام، لحذرة مترقبة أو "ماسكة العصايا من النصف". فبالرغم من المعرفة المسبقة بميعاد الثورة إلا أنه لا أحد كان متوقعًا بقدرتها على إسقاط رأس النظام وفي مدة قياسية (١٨ يومًا). وظهرت الرسوم الكاريكاتورية متفاوتة هي الأخرى متماشية مع اتجاهات المطبوعة وتجاوبها مع أحداث الأيام الأولى من الثورة. ولا نستطيع أن نقيم حقيقة تفاعل بعض الرسامين مع الثورة (خاصة بالصحف القومية) بناءً على ما نشر لهم من رسوم، إلا إذا رسموا صراحة ضد الثورة مثلًا. وهذا لا يمنع أن هناك من الرسامين من أبدوا تعاطفًا ملحوظًا مع مبارك خاصة بعد خطابه الأول والثاني خلال الثورة، وكانوا من مؤيدين لفكرة التهذئة ومنح مبارك فرصة أخرى.

ظهر كاريكاتير لناجي "بالأهرام" ثاني أيام الغضب عن المأساة التي تعيشها الولايات المتحدة بالعراق، أما بهجوري فقد رسم يبحث في صيدلية عن أقراص "الديمقراطية"، ولعله إشارة غير مباشرة عن أحداث الأمس.



شكلا ٥١٥: انتصار أمريكا في العراق!
(الأهرام، ٢٦ يناير ٢٠١١)



شكل ٥١٦: الديمقراطية!

"الدكتور كاتبلي على الاقراص دي ألقها عندك؟!"

(الأهرام، ٢٦ يناير ٢٠١١)

ورسم شريف عرفه النسر المصري وفيما يبدو قد فاض به الكيل ويريد النيل من رأس النظام. أما عمرو عكاشة فكان يرى أن النظام لن ينصلح ولن يتخلى عن أهم مبادئه وهو "النهب"، وأنه قد أعد خطة للهروب في حالة أن فقد السيطرة.



شكل ٥١٧: النسر المصري والنظام!

(www.drsharif.net، ٢٦ يناير ٢٠١١)



شكل ٥١٨: الهروب!

"لف وارجع ثاني .. الأمن استتب وهرجع نطلب ثاني!!"

(الوفد، ٢٦ يناير ٢٠١١)

واستفز عدد من الرسامين في الصحف المعارضة والمستقلة تجاهل النظام لليوم الثاني على التوالي للمظاهرات المتشرة في البلاد والتي يتم مواجهتها بوسائل قمع وحشية. رسم عمرو عكاشة أحمد نظيف يرتدي عصابة حول عينيه ويرد على مذيعة قائلًا: "مظاهرات ابيه.. البلد زي القل!!" وفي كاريكاتير آخر رسم عكاشة مبارك يتابع المظاهرات وقمعها وانهار البورصة وهو "بيقفز" لب قائلًا مقولته المشهورة: "خليهم يتسلوا".



شكل ٥١٩: خليهم يتسلوا!

(الوفد، ٢٧ يناير ٢٠١١)

ولم ينس الرسامون الإشادة بدور "الفييس بوك" في الحشد والدعاية لثورة ٢٥ يناير. رسم عمرو عكاشة كيف أن الشباب استخدموا سلاحهم "الفييس بوك" لإسقاط نظام. وأشار عمرو سليم إلى المحاولات العديدة للنظام للسيطرة على ثورة الشباب الإلكترونية من خلال المراقبات.



شكل ٥٢٠: شباب الفييس بوك وباطجة النظام!

(حرية١، ٢٠١١)

(١) موقع حرية١، اضحك مع عمرو عكاشة، تم الاطلاع عليه في ٨ سبتمبر ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<http://www.horytna.net/Articles/Details.aspx?TID=1&ZID=349&AID=19099>



شكل ٥٢١: الفيس بوك!

(كرتون موفمنت، ١٩ يونيو ٢٠١١)

جيت ادخل ع الفيس بوك طهت لي ايد واديتي
مى كلفا يا !!



شكل ٥٢٢: الفيس بوك!

"جيت ادخل ع الفيس بوك طلعت لي ايد واديتي على قفايا!!"

(المصري اليوم، ٢٧ يناير ٢٠١٠)

ولم يجد النظام بدأ لوقف تزايد الزحف الشبابي للميادين والشوارع الرئيسية إلا بقطع شبكة الإنترنت عن مصر في ٢٧ يناير، وقطع خدمات شركات المحمول الثلاث في ٢٨ يناير، كما اتسمت تصريحاته الرسمية بالتهجم والاستنكار والرفض للمظاهرات ومطالبها، وبالتالي دعت القوى الشعبية إلى جمعة الغضب بالخروج في وقت واحد بعد صلاة الجمعة من المساجد والكنائس. ونجحت جمعة الغضب نجاحًا غير متوقع ولاقت حضورًا شعبيًا كبيرًا في مختلف الميادين، فلم يمنع قطع شبكات الإنترنت والمحمول المواطنين من النزول.

ولعل ما يدعو للتساؤل في كل مرة تقمع فيه مظاهرة، ما هو الموقف الإنساني لرجل الأمن المركزي من المظاهرة، وكيف تم تدريبه على الضرب حتى القتل إن لزم الأمر. هل شباب الأمن المركزي هم جميعًا "أحمد سبع الليل" في فيلم "البريء"؟ هل يؤمن هؤلاء بأنهم يقاتلون أعداء الوطن؟ ما لاحظته خلال جمعة الغضب ما يخالف هذا الاعتقاد ولو جزئيًا. وأود أن أسجل ملاحظة لي عن شباب الأمن المركزي الذي بدالي أنهم أكثر وعيًا وإدراكًا من "أحمد سبع الليل"، ولكنه الخوف الذي يشكل ردود فعلهم. ولم لا، فلقد احتاج

الشعب عقودًا حتى يكسر حاجز الخوف ويخرج متحديًا جلاده، فما ما بال من تربي في كنف النظام وتحت سيطرة أهم جهاز سيادي في مصر. ولا ننسى أن الثمن الذي يدفعه رجل الأمن جراء تكسيره للأوامر ثمنًا باهظًا قد يكلفه حياته. لا أنسى أنه بعد أن أخذوا الأمر بالانسحاب بعد أن قاموا دون وصول حشود المتظاهرين لميدان التحرير، استلقى عدد من شباب الأمن المركزي المتبقي على الرصيف أمام إحدى وحدات الشرطة، ونظري بعضهم قائلين: "ربنا معاكم"، يعلو وجوههم نظرة رضا لما يحدث!!!!

وبعد اختفاء الشرطة تمامًا عن الشارع، شهد هذا اليوم اندلاع الحرائق ببعض الوحدات والمنشآت والتي على رأسها مبنى الحزب الوطني الحاكم الرئيسي بميدان عبد المنعم رياض المتاخم للمتحف المصري، ودون تدخل لوحدات الدفاع المدني لمحاصرة الحرائق. وشكل المتظاهرون الشباب كردونًا آمنًا لحماية المتحف المصري من وصول النيران إليه وحماية آثاره من أي عمليات نهب. كما اندلعت حرائق ببعض أقسام الشرطة وهروب المحتجزين بها.

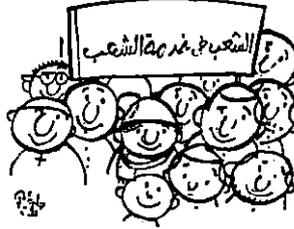
وما لبث وأن تفشت الفوضى وعمليات النهب، فقام المواطنون بتشكيل لجان شعبية لحماية منشآتهم الخاصة سواء السكنية أو التجارية، والتي نجحت بشكل كبير في التصدي للخارجين عن القانون. وبالرغم من أن ما حدث كان مدعاة للقلق وعدم الشعور بالامان، إلا أنها تعتبر من أكثر اللحظات المؤثرة التي لن تنسى التي عكست قدرة هذا الشعب الفاتكة على التكاتف وبذ الخلافات والاتحام في ظل تلك الظروف. ففي هذه الأيام القليلة ذابت الفروق الاجتماعية والعقائدية، فتكاتف الغني مع الفقير، ساكن العقار مع حارسه، المسلم مع المسيحي لحماية بعضهم البعض. برهن هذا الشعب في تلك الفترة أنه عندما يريد أن يصنع "نظامًا" يصنعه ويسير عليه وينجح!



شكل ٥٢٣: اللجان الشعبية!

"تحية إلى رفقاء اللجنة الشعبية"

(الشروق، ٢ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٢٤: الشعب في خدمة الشعب!
(الشروق، ٨ فبراير ٢٠١١)

كما شهد هذا اليوم نزول قوات الجيش لحماية المنشآت الحساسة بالبلاد، والتي تم استقبالها من قبل المتظاهرين بالترحاب والتحية ورفع الأيدي بعلامات النصر، من منطلق الإيمان بأن عقيدة الجيش لا تسمح ولن تسمح بالتعدي على أفراد الشعب. كما أشاد بعض المتظاهرين بأن الجنود أيضًا ردوا التحية لهم رافعين هم أيضًا أيديهم بعلامات النصر.

وتوافد أفراد الشعب على الميادين الكبرى لإكمال ثورتهم هاتفين "الشعب يريد إسقاط النظام"، و"يسقط يسقط حسني مبارك"، "ارحل يعني امشي"، و"جمال قول لأبوك الشعب المصري بيكرهوك"، وغيرها.

وفيما يبدو أن صحيفة "الأهرام" لم يصلها بعد أن هناك ثورة، فنشرت كاريكاتير لناجي عن فكرة ننتياهو عن السلام، في حين رسم وليد طاهر في "الشروق" صرخة المصريين الغاضبة التي أنصت لها العالم كله.



- بدون تعليق -
شكل ٥٢٥: ننتياهو والسلام!
(الأهرام، ٢٩ يناير ٢٠١١)



شكل ٥٢٦: المصريون
(الشروق، ٢٩ يناير ٢٠١١)

وفي ٢٩ يناير، أذاع التلفزيون المصري بيان لمبارك يعد فيه بعدد من الإصلاحات، ويعلن فيه بحل الحكومة مع وعد بتشكيل حكومة أفضل. كما أعلن تعيينه لرئيس جهاز المخابرات المصرية وقتها اللواء عمر سليمان نائباً له، المنصب الذي ترك شاغراً طيلة حياته حتى نشوب ثورة يناير. وقوبل البيان باستياء حاد من قبل المتظاهرين والقوى الشعبية. ورسم سعد الدين في "الأهرام" معاتباً النظام لإهماله لسنوات مطالب الشباب وبطالته بفتح حوار معه.

سنة شباب واقف بقاله أربع سنين
بره الخليلين.. يقول إنه عايز يتحاور
نقله سيدي؟



شكل ٥٢٧: الشباب والنظام!

"فيه شباب واقف بقاله أربع سنين بره الخليلين.. يقول إنه عايز يتحاور.. نقله يدخل؟"

(الأهرام، ٣٠ يناير ٢٠١١)

وفي ١ فبراير أذاع التلفزيون المصري بيان مبارك الثاني الذي يعلن فيه عدم ترشحه لفترة رئاسية جديدة، وتشكيل لجنة لمناقشة تعديل المادة ٧٦ والمادة ٧٧ من الدستور المعنيتين بتحديد فترة ومدد الترشح للرئاسة. وقد لاقى هذا البيان تعاطفاً لدى بعض فئات المجتمع خاصة تلك التي تأثرت عندما أعلن مبارك عن رغبته بأن يموت على تراب مصر.



شكل ٥٢٨: بيان مبارك!
(٣ فبراير ٢٠١١) (١)

وشهد ٢ فبراير "موقعة الجمل" الشهيرة، عندما تفاجأ المتظاهرون بخيول وجمال (وكأنه مشهد من العصور الوسطى) تقتحم الميدان، يمتطيها رجال يلوحون بالعصي والسيوف والسيف في محاولة للبطش بهم. كما شهد هذا اليوم هجوم لعدد من البلطجية المأجورين على المتظاهرين بالتحريك بالعصي والحجارة والسيوف وقنابل المولوتوف، أسفرت عن عدد من القتلى وآلاف من الجرحى. ولا يوجد رصد دقيق لعدد القتلى والجرحى، فيما ترصده الجهات الرسمية يختلف عن تقديرات شهود العيان. ما أسفرت عنه موقعة الجمل من ضحايا رفع نبرة الغضب عالية وتسبب في زيادة حالة الاحتقان والسخط والإصرار على تنحي مبارك.

وشكلت الحكومة الجديدة (حكومة أحمد شفيق) لجنة تقصي حقائق لكشف ملبسات موقعة الجمل والكشف عن منظميها وتقديمهم للمحاكمة، وحتى طباعة هذا الكتاب لم يحاكم أيًا من كان عن ضلوعه في موقعة الجمل. ونشرت عدد من الرسوم تندد ببطء الوصول لمرتكبي موقعة الجمل، وعلى رأسها الرسوم التي نشرت بصحيفة "الأهرام"، التي اختلفت جذريًا في تغطيتها للثورة وأخذت لونا جديداً أكثر انفتاحاً بعد التنحي مخالفاً لخطها المعهود لعقود.



شكل ٥٢٩: المحاكمة العاجلة لمرتكبي أحداث ٢ فبراير!
(الأهرام، ١٨ فبراير ٢٠١١)

(١) بيت الكرتون العربي، تم الاطلاع عليه في ٨ أغسطس ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:
<http://www.arabcartoon.net/a/subject/egyptcartoons>



شكل ٥٣٠: موقعة الجمل!

أحد المتورطين في موقعة الجمل (جمل): "ماليش علاقة بالوطني.. ولا بالسياسات.. أنا قالولي حتروح مزرعة برسيم في التحرير.. أتارها "مزرعة طره".. والعياذ بالله"
(الأهرام، ٢٤ إبريل ٢٠١١)



شكل ٥٣١: عودة أبو لهب!

(الأهرام، ٥ إبريل ٢٠١١)



جدهم

شكل ٥٣٢: في موقعة الجمل!

تلميذ: "قوللي يا أشرف.. إحنا هزمتنا المغول في موقعة عين جالوت ولا حظين?!!!"
زميله: "في موقعة الجمل.. ياخي!!"

(الأهرام، ٢٩ مايو ٢٠١١)

وقرر النائب العام المصري عبد المجيد محمود في ٣ فبراير بمنع سفر أحمد عز أمين التنظيم السابق في الحزب الوطني، ووزير الداخلية السابق حبيب العادلي، ووزير السياحة السابق زهير جرانة، ووزير الاسكان أحمد المغربي وجاء في القرار تجميد حسابات المصارف لهؤلاء، كما شمل القرار عددًا آخر من المسؤولين. القرار الذي قوبل برضا شعبي بالغ. كما صدر في ٥ فبراير قرارًا بوضع العادلي وثلاثة من قياداته تحت الإقامة الجبرية، واقصاء كل من جمال مبارك وصفوت الشريف من أمانة الحزب الوطني وتعيين حسام بدر اوي أمينًا عامًا.

والحقيقة أنه في تلك الفترة كانت هناك ملحمة من الرسوم الكاريكاتورية الدولية تدعم موقف الشعب المصري وتسانده في مطلبه بإسقاط النظام. ونشرت صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" كاريكاتير لعمر وعكاشة يصور فيه مبارك بعد أن تخلت عنه صديقتيه أمريكا وتركته في قلب المحيط يصارع أسماك القرش (تركيا وإسرائيل وإيران) وحيدًا. وفي كاريكاتير آخر رسم عمرو وعكاشة الشباب المصري وقد انقض على "أبو الهول" (مبارك).



شكل ٥٢٣: الولايات المتحدة الأمريكية ومبارك!

(لوس أنجلوس تايمز، ٤ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٣٤: أير المول!

(لوس أنجلوس تايمز، ٤ فبراير ٢٠١١)

ورسم سمير عبد الغني ضد تعنت مبارك لتلبية المطلب الشعبي له بالتنحي. كما فيما يبدو كان سمير أكثر تفاؤلاً عندما تخيل شكل علاقة الشرطة بالشعب بعد ٢٥ يناير.



شكل ٥٣٥: مبارك يرفض التنحي!

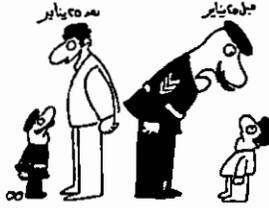
الطفل: "هو ليه يا بابا مش عاوز يمشي؟"

الأب: "حكم السن يا حبيبي لازم حد يشيله"

(سمير عبد الغني،^(١) ٥ فبراير ٢٠١١)

(١) سمير عبد الغني، موقع الشخصي على "الفيس بوك"، تم الاطلاع في ١٠ ديسمبر ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:

<https://www.facebook.com/media/set/?set=a.181183705252691.32297.100000831883061&type=3>



شكل ٥٣٦: الشرطة والشعب بعد ٢٥ يناير!

(سمير عبد الغني^(١)، ٥، فبراير ٢٠١١)

ورسم وليد طاهر "بالشروق" حالة الشعب قبل وبعد ٢٥ يناير، في حين يعلق عمرو سليم على تحرك مبارك ونظامه البطيء نحو تحقيق المطالب الشعبية، فيذكره بمقولة الرئيس التونسي المخلوع بن علي "الآن فهمتكم".



شكل ٥٣٧: الشعب قبل وبعد ٢٥ يناير!

(الشروق، ٦، فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٣٨: الآن فهمتكم!

(المصري اليوم، ٦، فبراير ٢٠١١)

(١) سمير عبد الغني، المرجع السابق.

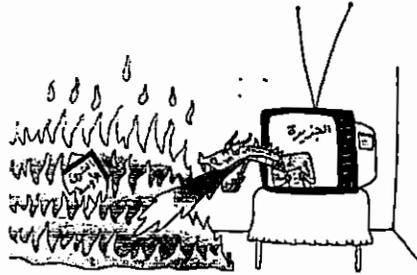


شكل ٥٤٠: الإعلام الرسمي!
(الوفد، ٨ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٤١: الوضع مستقر تماماً!
(www.drsherif.net، ٧ فبراير ٢٠١١)

وفي ظل وجود إعلام متجاهل أو متواطئ أو حذر، وجدت قناة "الجزيرة" القطرية أرضاً خصبة لتصبح بأشبه بقناة "الثورة"، حيث استطاعت نقل كل ما يجري داخل الشارع المصري أولاً بأول، وبالتالي الاستحواذ على الجماهير العربية الغفيرة لمتابعة بشغف الثورة المصرية. واستطاعت "الجزيرة" أن تتغلب على بعض العراقيل التي وضعها أمامها النظام المصري بالتشويش تارة على إرسالها أو تغيير بثها. وبالتأكيد لم تستطع قناة الجزيرة القطرية التخلي عن أهم سماتها عند تغطيتها الأحداث بإضافة بعض التوابل حتى تشتعل الأحداث أكثر فأكثر فتجذب عددًا أكبر من المشاهدين.



شكل ٥٤٢: قناة الجزيرة!
(اليوم السابع، ٣ فبراير ٢٠١١)

الكاريكاتور السياسي

وازدادت الاحتجاجات وعمت أنحاء البلاد مطالبة بتتحي مبارك، ورفض الشباب
فض اعتصامهم بميدان التحرير حتى يتم تلبية مطالبهم. ورصد وليد طاهر الأسباب التي
دعت إلى الاعتصامات، بينما رصد عمرو عكاشة الدافع وراء عدم رغبة مبارك في التتحي.



شكل ٥٤٣: الشعب يريد إسقاط النظام..التحرير!

"لك حبي.. وفقرتي وبهدلتي واقساطي وانحطاطي وإحباطي من مرتبي الي مش كافي
ونلي ودلله كافي وعيني المكسورة أدام ولادي من قصر الأيادي.. وفؤادي!"

(الشروق، ١٠ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٤٤: ارحل!

مسؤول حرامي لمبارك: "استنى.. ماتشيش دلوقت!!"

(الوفد، ١٠ فبراير ٢٠١١)

وفي ظل الضغط الشعبي المتزايد، ألقى مبارك خطابًا في ١٠ فبراير، أعلن عن تفويضه نائبه عمر سليمان صلاحياته كرئيس للجمهورية بما يسمح له الدستور، وأشار إلى أنه لن يخضع إلى ضغوط أجنبية من الخارج مهما كان مصدرها، واختتم خطابه بعدم وجود أي نية له بمغادرة مصر، وعلى الفور انفجر ميدان التحرير، الذي احتشد فيه مئات الآلاف المحتجين، صارخًا رافضًا ما أعلنه مبارك. وأذيع عقب خطاب مبارك كلمة لنائبه عمر سليمان يؤكد فيها على حس مبارك الوطني ووضعه للمصالح العليا لبلاده فوق كل اعتبار، ويطلب فيها الشباب المصري "بتحكيم العقل" موجهاً خطابه لهم قائلاً: "يا شباب مصر عودوا إلى دياركم وأعمالكم ولا تنصتوا المحاولات إشعال الفتن والإذاعات والفضائيات التي تسعى لإضعاف مصر". وتصاعدت الهتافات الراضية بين حشود المحتجين في ميدان التحرير مطالبين عمر سليمان نفسه بالرحيل، مؤكداً على شعارهم السابق "الشعب يريد إسقاط النظام".



شكل ٥٤٥: الفساد وميدان التحرير!

(الأهرام، ١٠ فبراير ٢٠١١)

ليلة سقوط مبارك: جمعة الزحف:

وصلت المظاهرات والاحتجاجات المطالبة بتنحي مبارك لأوجها، وحاصر المتظاهرون القصر الرئاسي وقصر عابدين ومبنى البرلمان. وأصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة بيانات يضمن فيه ما جاء في بيان مبارك من إلغاء قانون الطوارئ وإجراء انتخابات رئاسية نزيهة. وفي الساعة السادسة بتوقيت القاهرة أعلن عمر سليمان تنحي مبارك وتولي المجلس الأعلى للقوات المسلحة إدارة شؤون البلاد. فور إعلان البيان تدفق الملايين من

الكاريكاتير السياسي

الناس إلى شوارع القاهرة احتفالاً برحيله، وابتهاجاً بانتصار ثورة ٢٥ يناير، وليكون أول هتاف بعد التنحي "ارفع رأسك فوق أنت مصري".

ولم يتخل المصريون عن "خفة دمهم" أثناء الثورة، فقد انتشرت مئات من النكت سواء على مواقع التواصل الاجتماعي مثل "الفايس بوك" و"تويتر" أو من خلال خدمة الرسائل القصيرة الإيس ام إس. إحدى النكت المشهورة تقول "مبارك بعد ما مات قابل عبد الناصر والسادات، سألوه: هاه؟ سم ولا منصه؟ رد بحرقة وقال: فيسبوك"، ونكتة أخرى تقول "مبارك عقد جلسة طارئة مع وزير الداخلية السابق حبيب العادلي وقاله: منعت الحشيش يا فالح؟ أهو الشعب صحصح"، و"بعد ثورة مصر وتونس يوم الجمعة، القذافي قرر إلغاء صلاة الجمعة في ليبيا"، و"سألوا مبارك عن رأيه في التغيير، قال: التغيير ده سنة الحياة. قالوا طب وسيادتك مش هتغير؟ قال: أنا فرض مش سنة"، و"مبارك قبل خلعه اتصل بعمر سليمان وقال له: ابعت الفلوس على شرم الشيخ وابتعت المسلمين على السعودية والمسيحيين على أمريكا واقفل وهات المفتاح وتعالى". ولما أعلن تنحي مبارك رسمياً، ظهر أحد المواطنين يرفع لافتة كتب عليها: "ارجع يا ريس كنا بنهزر معاك".

وخرجت الرسوم الكاريكاتورية مرحة ومحتفلة بانتصار ثورة ٢٥ يناير، ومسجلة للتاريخ نهاية نظام دام ثلاثين عاماً. وخرج بعض الرسامين يشبهونها بثورة عرابي أو بثورة ١٩١٩.



شكلا ٥٤٦

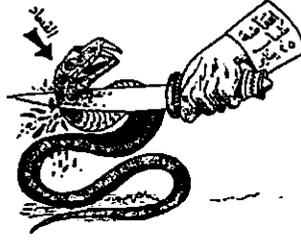
شكل ٥٤٦: تنحي مبارك!

(الوقد، ١١ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٤٧: نهاية الحزب الوطني!

(اليوم السابع، ١١ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٤٨

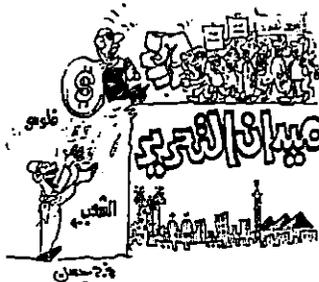
شكل ٥٤٨: التضاضة شباب ٢٥ يناير!
(الأهرام، ١٤ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٤٩: الزعيم أحمد عرابي!

الزعيم أحمد عرابي في مواجهة الخديو توفيق ٩ سبتمبر ١٨٨١: "لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم.."

(الأهرام، ٢٢ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٥٠: ميدان التحرير!

(الأهرام، ٢٤ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٥١: شباب ٢٥ يناير ومبارك!
(www.drsherif.net، ١٣ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٥٢: ثورة ٢٥ يناير ومبارك!
(الأهرام ويكلي، ١٠-١٦ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٥٣: حرية!
(الشروق، ١٢ فبراير ٢٠١١)

وأذيع بيان للمجلس العسكري، أعلن فيه عن توليته لإدارة شؤون البلاد بصفة مؤقتة لمدة ستة أشهر أو حتى انتهاء انتخابات مجلسي الشعب والشورى ورئاسة الجمهورية، معلناً في ذات البيان تعطيل العمل بالدستور وحل مجلسي الشعب والشورى، وتكليف وزارة شفيق بالاستمرار في أعمالها لحين تشكيل حكومة جديدة، والتزامه بتنفيذ المعاهدات والمواثيق الدولية التي مصر هي طرف فيها^(١).

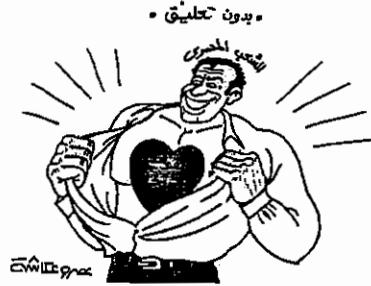
غلب على الأجواء روح مرحبة بالمجلس العسكري وترى فيه "حامى" الثورة وناصرها والذي سيعبر بها بر الأمان والضامن لتحقيق مطالبها. فيما يرى القلة القليلة أن تمثيل المجلس العسكري للثورة هو انتكاسة لها، ويكشف عن أهم عيوب الثورة وهو عدم وجود من يمثلها عن يحملون روح ميدان التحرير. ولعل هذا هو من أهم الأسباب التي ساعدت على اتساع الفجوة بين "حامى" الثورة وبين شباب الثورة لإيمان الأخير بأن مطالب الثورة لم تتحقق. كما باعد بين الطرفين الظهور المبكر لآليات قمع حرية الرأي على يد الشرطة العسكرية في محاولة لفضها مظاهرات في ٢٥ فبراير، والتي على أثرها بعث المجلس العسكري برسالة (٢٢) اعتذار لشباب الثورة من خلال صفحته الرسمية على موقع "فيس بوك"، مؤكداً بأن رصيده يسمح.

ورحبت الرسوم الكاريكاتورية بالسلطة الجديدة للمتمثلة في المجلس العسكري، وسارت لفترة وإن كانت قصيرة على نفس نهج الشعارات المرفوعة وقتها "الشعب والجيش إيد واحدة"، وتعكس عن رصيد الحب الذي يحمله الشعب المصري لقواته المسلحة.



شكل ٥٥٤: الشعب والجيش إيد واحدة!
(المصري اليوم، ١١ فبراير ٢٠١١)

(١) أحمد البهنساوي، المجلس العسكري: كرامة الوطن من كرامة كل مواطن، "الشروق"، ١٤ من فبراير ٢٠١١، عدد ٧٤٤.



شكل ٥٥٥: الشعب المصري والقوات المسلحة!
(الوفد، ٣ مارس ٢٠١١)

ومنذ بزوخ فجر الثورة، انتشرت عدد من الرسوم الكاريكاتورية الجريئة التي تعبر عن نضال الشعب المصري وكفاحه في سبيل حريته وكرامته. كانت الرسوم بريشة رسام برازيلي يدعى "كارلوس لاتوف"، الذي ظهرت رسومه في ميدان التحرير ومرفوعة على لافتات في بعض المظاهرات، ونالت انتشارًا واسعًا خلال مواقع التواصل "فيس بوك" و"تويتر".



شكل ٥٥٦: ثورة ٢٥ يناير!
(كارلوس لاتوف، ٢٠١١) (١)

(١) سي إن إن:

،CNN (January 30, 2011). Egypt insists on changing history. Inside the Middle East. Cartoons. Retrieved June 18, 2011 on: <http://insidethemiddleeast.blogs.cnn.com/2011/01/30/egypt-insists-on-changing-history-cartoons/>



شكل ٥٥٧: كاريكاتير لاتفوف في التحرير!
(تصوير رانيا صالح، ٢٥ نوفمبر ٢٠١١)

لم ينس الرسامون الدماء الغالية التي دفعت لانتصار هذه الثورة، فرسموا تمجيداً وتخليداً لذكرى شهداء ثورة ٢٥ يناير، ولمواساة أمهات الشهداء للتخفيف عن أحزانهن.



شكل ٥٥٨: سالي زهران!

"سالي زهران جان دارك المصرية شهيدة ثورة الشباب.. تحية واحتراماً"
(الأهرام، ١٢ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٥٩: شهداء الفرح!

"في يوم الوفاء مصر ترتدي فستان الفرح"

(الأهرام، ٢١ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٦٠: أرواح شهداء ٢٥ يناير!

شهداء ٢٥ يناير: "كل ستة وإنني طيبة يا أمي"

(الأهرام، ٢٤ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٦١: ذكرى الأربعين لشهداء الثورة!

(الأهرام، ١٠ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٦٢: مسيرة المليون لتكريم شهداء ٢٥ يناير!

أم كلثوم: عيشوا أو موتوا كرامًا تحت ظل العلم!

(الأهرام، ٢٣ فبراير ٢٠١١)

وشتان بين رد فعل الشعوب العربية تجاه الثورة المصرية ورد فعل حكوماتها. فقد كان واضحًا تعاطف الشعوب العربية مع الثورة المصرية، وابتهاجهم فرحًا ورقصًا بعد سماع خبر تنحي مبارك، إلا أن الحكومات العربية كان لها شأن آخر، فقد استقبلت الخبر كالصدمة ولم تحف حزنها.



شكل ٥٦٣: رد فعل الحكومات العربية!

"أفهموا بقى... مش دفاع عن مبارك ده دفاع عن النفس"

(اليوم السابع، ٤ مايو ٢٠١١)

الرحلة لمصر أدت الغرض، إدينا لهم أربعة مليار دولار
وقلنا لهم حسكم عينكم حد يقرب له والله بيروس له على طرف!



شكل ٥٦٤: مساندة الحكومات العربية!

"الرحلة لمصر أدت الغرض، إدينا لهم أربعة مليار دولار
وقلنا لهم حسكم عينكم حد يقرب له والله بيروس له على طرف!"

(الشروق، ٢٣ مايو ٢٠١١)

لكن سرعان ما رجع الثوار لميدان التحرير مطالبين بإسقاط حكومة شفيق (التي كانت قد شكلها مبارك قبل تنحيه) وتشكيل حكومة جديدة ثورية لضمان تحقيق مطالب الثورة.



شكل ٥٦٥: حكومة شفيق الجديدة!

"حكومة شفيق الجديدة: تغيير ٨٠٪ من الوزراء القدامى والإبقاء على وزير الخارجية وخمسة من القدامى"

مواطن: طول ما فيها وزير الخارجية زي ما هوه تبقى حكومة مش جديدة.."

(الأهرام، ٢٥ فبراير ٢٠١١)



شكل ٥٦٦: الشعب يريد إسقاط الحكومة!
(الشروق، ٢٠ فبراير ٢٠١١)

وما لبث أن انتشر ما يعرف بـ "الثورة المضادة"، والتي بتعريف بسيط هي أي فعل من شأنه إجهاض ثورة ٢٥ يناير. وتذكرنا هذه الثورة المضادة تحديداً بحرب الولايات المتحدة على "الإرهاب"، ذلك المصطلح الواسع الذي يصعب تخصيصه في شخص ما أو في جهة ما ولكن يسمح بتعميمه ليشمل كل ما تراه الولايات المتحدة مهدداً لمصالحها. وأصبح مصطلح "الثورة المضادة" يظهر إعلامياً مع كل أزمة تمر بها ثورة ٢٥ يناير، وتشير أصابع الاتهام تارة إلى فلول الحزب الوطني الذين لا يتركون أدلة كافية وراءهم، وتارة أخرى إلى الأموال المتدفقة من الخليج التي تمول بعض المؤسسات التي من مصلحتها انعاش نظام مبارك. وتطور الأمر مؤخراً إلى أن شملت "الثورة المضادة" الجماعات "الإسلامية" التي فيما يبدو متصالحة جداً مع السلطة المؤقتة، والتي قصرت أهدافها على حصد أكبر قدر من المقاعد في انتخابات مجلسي الشعب والشورى، وأخيراً كان المجلس لعسكري شخصياً "الثورة المضادة" عندما تحجبت إدارته كثيراً في الفترة الأخيرة التي شهدت قتل وسحل وفتح أعين وامتهان لكثير من المتظاهرين في أحداث وأوقات شتى.

فالثورة المضادة "علمياً" هي موجودة ويقوة، لكن المشكلة تكمن في أنها هي الأخرى كلمة عامة يتخفى خلفها جهات عديدة، وبالتالي فإن نسب بعض الأحداث واشتغالها إلى الثورة المضادة هو بمثابة كارت إنقاذ للمحرك الرئيسي لهذه الأحداث.

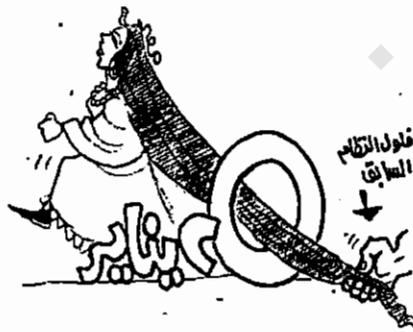
وتنبأ الرسامون مبكراً بخطر الثورة المضادة، وحذروا من محاولات الالتفاف على الثورة والقضاء على مطالبها الشرعية، ورأوا بأن ثمة محاولات لجر الثورة مرة أخرى للخلف!

رأى عمرو وعكاشة مبكرًا بأن هناك محاولات لإجهاض ثورة ٢٥ يناير من قبل الحزب الوطني والمجالس المحلية وأمن الدولة. وأكد فرج حسن على أن "فلول النظام السابق" هم من يعرقلون سير ثورة ٢٥ يناير. بينما يعتقد عمرو وسليم بخطر وجود مبارك طليق في شرم الشيخ على الثورة. وسجل وليد طاهر صدمته من مرسوم القانون الذي قدمته حكومة عصام شرف "المنتخبة" واعتمده المجلس العسكري والخاص بتجريم الاعتصامات والتجمهر والذي يعتبر أول التفاف على ثورة ٢٥ يناير وما جاءت به من مبادئ تنادي بالحرية والديمقراطية، والتي لولا الاعتصامات لما انتصرت! وعبر محمود السعيد عن حالة القلق والإحباط التي أصابت الناس من جراء "قانون تجريم الاعتصام"، بما يعطي الإيحاء بأن عقارب الساعة تعود للخلف.



شكل ٥٦٧: ثورة ٢٥ يناير!
(الوفد، ٢٧ فبراير ٢٠١١)

•• الإنبثقة ••



شكل ٥٦٨: فلول النظام السابق!
(الأهرام، ٨ مايو ٢٠١١)



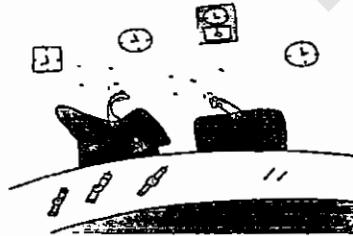
سوزان مبارك: "مفيش داعي كل شوية تغيظ الناس وتطلع لهم لسانك يا مخلوع يا حبيبي!!"

(الشروق، ٣٠ مايو ٢٠١١)



شكل ٥٧٠: قانون الاعتصام!
(الشروق، ٢٦ مارس ٢٠١١)

شعارية بقت تزهق.. كمو نكوية واحد يخش ويقول
تقارب الساعة بقت بتزجع لورا..



شكل ٥٧١: قانون جديد يحرم الاعتصام!

مصلح ساعات: "شغلانة بقت تزهق.. كل شوية واحد يخش ويقول تقارب الساعة بقت بتزجع لورا.."

(اليوم السابع، ٢ أبريل ٢٠١١)

وسرعان ما تحولت "عجلة الإنتاج" إلى فزاعة المجلس العسكري والمبرر الرئيسي وراء وضع حد للمظاهرات "المليونية" التي تقام أيام الأجازة الرسمية "الجمعة". وأصبحت التهمة التي تلاحق شباب الثورة هي تسببهم في تعطيل "عجلة الإنتاج". وأصبحت عدد من القنوات الإعلامية سواء الرسمية أو الموالية لنظام مبارك ثم للنظام الجديد تركز على ضرورة التركيز في "الإنتاج"، وترك ما يؤثر عليه من اعتصامات وتظاهرات. لم تبين أي من الرسوم بأن المظاهرات هي السبب وراء تعطيل "عجلة الإنتاج"، إلا أن بعض الرسوم دعت إلى التوازن بين الضغط تجاه تحقيق مطالب الثورة وبين العمل في نفس الوقت لبناء مصر.



شكل ٥٧٢: شباب ثورة ٢٥ يناير!

مصر: "ثورة يابيد ونشتغل بالإيد الثانية يا شباب!"

(الأهرام، ٣١ مارس ٢٠١١)

والحقيقة أن أكثر من خدم "الثورة المضادة" كان الانقلابات الأمني الذي بات واضحًا منذ ثورة ٢٥ يناير وحتى يومنا هذا. تعددت التحاليل حول سبب الانقلابات الأمني وعدم رجوع الأجهزة الأمنية وعلى رأسها الشرطة بكامل قوتها حتى الآن، إلا أن هناك محاولات إعلامية لإلصاق مشكلة الانقلابات الأمني بشوار ٢٥ يناير ومظاهراتهم المستمرة حتى الآن، إلى الدرجة التي جعلت بعض المواطنين يربط بين "أمن" مبارك و"أمن" ما بعد مبارك!

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد للمؤمن أنه يخشى ..
ولا بد للناس أن يشعروا
برعب وناس لا ترحم



شكل ٥٧٣: الاغلاقات الأمني!

"إذا الشعب يوماً أراد الحياة.. فلا بد للأمن أن يخشى.. ولا بد للناس أن يشعروا.. برعب وناس لا ترحم"

(اليوم السابع، ٤ فبراير ٢٠١١)

◆ غياب الشرطة ◆

إهه، إهه... لا أنت في البيت ولا عند أمك ولا في الشارع
يبقى أكيد عارف واحدة ثانية غيري!!



شكل ٥٧٤: غياب الشرطة!

زوجة الشرطي: "إهه إهه... لا أنت في البيت ولا عند أمك ولا في الشارع يبقى أكيد عارف واحدة ثانية غيري!!"

(المصري اليوم، ٣ مارس ٢٠١١)

وعيون جازا من هؤلاء بالهولدين تشكل بلان شعوب
تأخرها قانس طرقتا حين حيرة الجهار العمل مرة أخرى!!



شكل ٥٧٥: المجان الشعبية!

بيان جهاز أمن الدولة: "وسبب جهاز أمن الدولة بالمواطنين تشكيل لجان شعبية لتعذيب الناس مؤقتاً لحين عودة الجهاز للعمل مرة أخرى!!"
(الوفد ٣ مارس ٢٠١١)



"اخدم نفسك بنفسك!! Help yourself"

(المصري اليوم، ٨ يونيو ٢٠١١)

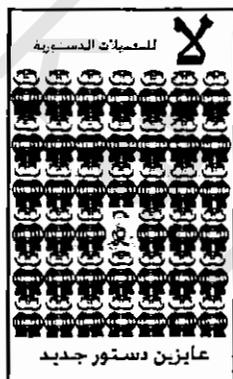


شكل ٥٧٧: مسلسل البلطجية ووزير الداخلية منصور العيسوي يا حينا!

حنفي: "أنا كلمتي واحدة ولا ممكن تنزل الأرض أبداً.. حاقضي على البلطجية يعني حاقضي على البلطجية.. الزوجة: "حنفي" حنفي: "من ممكن.. الزوجة: "حنفي.. حنفي: "يستحيل" الزوجة: "عيسوي.. ققصلي حنفي.. حنفي: "خلاص.. تنزل المرة دي.. لكن المرة الجاية.. مش ممكن تنزل الأرض أبداً"
مع الاعتذار لفيلم "ابن حميدو"

(الشروق، ١١ مايو ٢٠١١)

وأعلن المجلس العسكري عن موعد التصويت على التعديل الدستوري سيكون في ١٩ مارس، والذي سيعقبه انتخابات برلمانية في يونيو يعقبها انتخابات رئاسية. وقرر المجلس إجراء عملية الاستفتاء على تعديلات مقترحة على تسع مواد للدستور. انقسم الناس بما فيهم شباب الثورة في بادئ الأمر حول جدوى تعديل مواد من الدستور قد أسقطت الثورة شرعيته، ولم لا يكون هناك إقرار دستور كامل جديد يتناسب مع هذه المرحلة ويكون ضمان لتحقيق مطالب وتطلعات الثورة. ثم ما لبث الخلاف أن أخذ شكل آخر، مع إصرار المجلس العسكري المضي قدما نحو الاستفتاء، وهو الخلاف الدائر بين "نعم" للتعديلات وبين "لا" للتعديلات. وسرعان ما رسخت القنوات الإعلامية المختلفة حجم الاختلاف وأبعاده. وظهر ويشك واضحا صعود منبر "الإسلاميين" الذين تبنا "نعم" بدعوى أنها للاستقرار، وإن لم تخل دعاياهم في أماكن عدة وداخل المساجد أنها "للدين". وفي رأيي الشخصي، أن هذا الاستفتاء هو أول التفاف على الثورة ومطالبها. ورسم بعض الرسامين مروجين لـ "لا" للتعديلات و"نعم" للدستور جديد!



شكل ٥٧٨: لا للتعديلات الدستورية!

"عايزين دستور جديد"

(سمير عبد الغني^(١)، ١٦ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٧٩: التعديلات الدستورية!

(الشروق، ١٤ مارس ٢٠١١)

(١) سمير عبد الغني، المرجع السابق.

وعلى حس الاستفتاء، ظهرت دعاوي تطالب بدينية الدولة في مقابل دعاوي أخرى تطالب بمدنية الدولة، الخلاف الذي وجده الاعلام ولفترة ليست قصيرة مادة ثرية له. ولم تكن هذه المرة الأولى التي تقع فيها مصر بين دعاوي "مدنية" أو "دينية" الدولة. فقد رسم عبد السميع في مايو ١٩٥٢ "المصري أفندي" مشتتاً من جراء دعاوي "دينية" و"مدنية" الدولة، وإن كان يشك في أن هناك من يقف وراء هذا التشتت وله مصلحة في ذلك.



مدنية أم مدنية ولايه بالضغط
ما رسمه من مشين .. حاسس ان فيه حاجة فوق دماغه !!

شكل ٥٨٠: دينة أم مدنية ولايه بالضغط!

المواطن المصري: "أنا لسه مش مطمئن .. حاسس ان فيه حاجة فوق دماغه!!"

(ابيض واسود، مايو ١٩٥٣)

ورسم أحمد نادي ضد المحاولات التي تمارس من قبل "النخبة" و"المجلس العسكري" و"البابا" و"مرشد جماعة الإخوان" من أجل تشتيت شباب الثورة عن مساهمهم الحقيقي، ولأجل مصالحهم الشخصية.



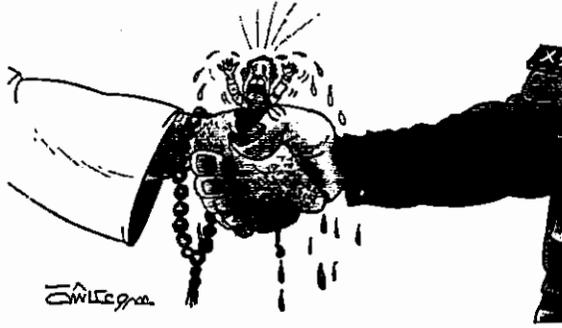
شكل ٥٨١: شباب الثورة بين هؤلاء!

النخبة: "اسمع كلام النخبة"، المجلس: "اسمع كلام المجلس"، البابا: "اسمع كلام بابا"، المرشد: "اسمع كلام المرشد".

(أحمد نادي، ٦ يونيو ٢٠١١)

وكان عمرو عكاشة أول من رسم معتقداً بئمة صفقة تنفذ بين المجلس العسكري و"الإسلاميين" في المرحلة الراهنة يدفع ثمنها المواطن المصري!

• بدون تعليق •



شكل ٥٨٢: صفقة المجلس العسكري!

(الوقت، ١٦ مايو ٢٠١١)

ويعرف النظر عن الاختلافات التي ظهرت حول شكل الفترة الانتقالية، ودعاوي "دينية" و"مدنية" الدولة، إلا أنه ثمة حقيقة واحدة وهي أنه كان هناك إقبال كبير على صندوق الاستفتاء، مما عمم روح الإيجابية والتفاؤل بالمسار الديمقراطي الذي ارتضاه الشعب.



شكل ٥٨٣: صندوق الاستفتاء يرحب بكم ويتمنى لكم ديمقراطية سعيدة!

صندوق الاستفتاء: "أهلاً أهلاً بالأحرار.. أهلاً أهلاً بالشوار!"

(الشروق، ١٩ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٨٤: نعم ولا

مصر: كلكم ولادي!

(الأهرام، ٢٢ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٨٥: الاستفتاء!

واحد ميت: "أخيراً.. أول مرة من ٣٠ سنة ماروحش استفتاء.. ماكتوش بترحمونا لا دنيا ولا آخره"

(الوقد، ٢٠ مارس ٢٠١١)

والحقيقة أن صعود "الإسلاميين" وأحزابهم "الجديدة" قد أقلق الكثير من الرسامين ودعاة الحرية والديمقراطية، وذلك انعكاساً لتصريحات عدد كبير من قياداتهم تبني مبدأ عدم الخروج على الحاكم، وتتهم من يخالفهم الرأي بالليبرالية والعلمانية "الكافرة". ولقد كشفت نتيجة الاستفتاء على مدى وصول "الإسلاميين" للشارع واستغلالهم للشعارات الدينية في الدعاية لأنفسهم التي ثبت تأثيرها على الناس.



شكل ٥٨٦: ٢٣ فقط قالوا "لا"!

"السلفيون يدعون إلى التصويت بنعم دفاعاً عن الإسلام!"

شيخ: "مجموعك وحش... ميدخلکش الجنة..."

(المصري اليوم، ٢٣ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٨٧: السلفيين!

مواطن: "متهايالي أمن الدولة اللي كان كاتم تسهم بايزنا نترحم على أيامه"

(الأهرام، ٣ مايو ٢٠١١)

قادمون

٥٥٥

شكل ٥٨٨: قادمون!

(المصري اليوم، ١٩ إبريل ٢٠١١)

أحد مشايخ السلفيين يتمنى أن يصبح مليون مصري ملتحمين



شكل ٥٨٩: ٨٠ مليون مصري ملتحمي!

"أحد مشايخ السلفيين يتمنى أن يصبح الـ ٨٠ مليون مصري ملتحمين!

(الأهرام، ١٤ يونيو ٢٠١١)



شكل ٥٩٠: طاعة ولي الأمر!

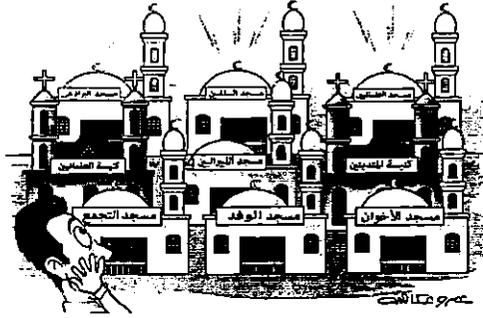
قسيس: "الإنجيل يدعوننا إلى تأييد الرئيس!" "شيخ: "القرآن يدعوننا لطاعة أولي الأمر!"

مواطن مغلوب على أمره: "كفرتونا في عيشتنا!"

(المصري اليوم، ١٨ إبريل ٢٠١٠)

وقام عدد كبير من أئمة المساجد في خطب الجمعة السابقة للاستفتاء بدور كبير في التأثير على الناس والترويج بأن "نعم" هي لأجل إعلاء كلمة الدين الإسلامي وحمايته واحتساباً للأجر والثواب، بخلاف "لا" التي يأثم من يختارها. كما أشيع أن الكنائس قد روجت لـ "لا". وبالتالي اقترح عمرو عكاشة من باب المساواة أن يتم بناء دور عبادة لكل فصيل سياسي، فلا يقتصر دور العبادة على المتدينين فقط من الدين الإسلامي ولا المسيحي بل يشمل العلمانيين والليبراليين.

• المساواة بين طوائف المجتمع... دور العبادة للدعاية الانتخابية •

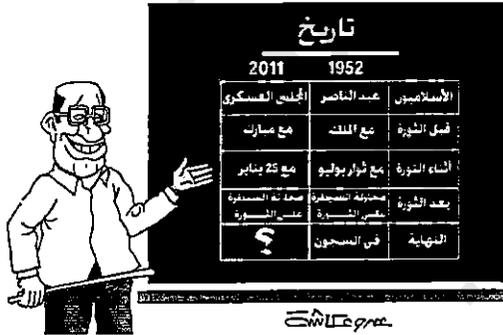


شكل ٥٩١: المساواة بين طوائف المجتمع .. دور عبادة للدعاية الانتخابية!

"مسجد العلمانيين، مسجد السلفيين، مسجد البرادعي، مسجد كنييسة أتدينين، مسجد الليبراليين، كنيسة العلمانيين، مسجد الاخوان، مسجد الوفد، مسجد اتتجمع"

(الوفد، ٢ يونيو ٢٠١١)

كما حذر عمرو وعكاشة أن يعاد العمل بسيناريو عبد الناصر عندما تعاون مع الإخوان المسلمين في أول الثورة ثم فتك بهم عام ١٩٥٤.



شكل ٥٩٢: انعلاقة بين الإسلاميين وعبد الناصر، وبين الإسلاميين والمجلس العسكري!

(لوفد، ٣ يونيو ٢٠١١)

وكانت أهم القرارات التي حسبت للثورة، هو قرار النيابة العامة في ١٣ إبريل بحبس مبارك ونجليه علاء وجمال ١٥ يوماً على ذمة التحقيقات، وقرار نقل نجليه إلى سجن طره لقضاء فترة الحبس الاحتياطي، وإعلان محاكمة مبارك ونجليه في ١٩ إبريل ٢٠١١. وفي ١٦ إبريل قررت المحكمة الإدارية العليا بحل الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يرأسه مبارك، وكذلك تصفية أمواله وأملاكه، وإعادة جميع مقراته إلى ملكية الدولة.



شكل ٥٩٣: حسن حسي مبارك!
(اليوم السابع، ١٦ إبريل ٢٠١١)



شكل ٥٩٤: بعد حسن مبارك ونجليه!
(الوقد، ١٣ إبريل ٢٠١١)



شكل ٥٩٥: بعد حسن مبارك ونجليه!

مارك: بريء طبعاً يا سيادة القاضي.. انت فاكركي كنت "بافر كل حاجة في البلد؟ ياراجل كبير سخك!"

(www.drsherif.net، ١٣ إبريل ٢٠١٠)

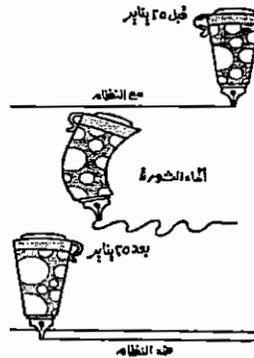


شكل ٥٩٦: محكمة مبارك ونجليه!

"يا نجاتي يي .. انفخ البلاطين .. فيه ضيوف كبار جاينين!!"

(الوفد، ٢٣ إبريل ٢٠١١)

وكما سبق وأن ذكرنا بأن الإعلام المصري يمر بأسوأ فترة له على الإطلاق، فقد افتقد المهنية والمصداقية في العديد من قنواته ائسموعة والمرئية والمقروءة، حتى أنه تعدى بمراحل إعلام نكسة ١٩٦٧. ولقد وقع أكثر الإعلاميين خبرة ورصيداً عند المشاهد أو القارئ في أخطاء مهنية جسيمة، نذكر منها على سبيل الذكر وليس الحصر، عدم مراعاة الدقة في نقل الخبر، وغياب المصادر، أو النقل عن مصدر ليس موثوقاً، كما كثر استخدام عبارات من نوعية "صرح مصدر مسؤول" دون التنويه على الأقل عن الهيئة القادم منها هذا المسؤول. والأسوأ من هذا أن القنوات الإعلامية التي كانت "تطبل" لنظام مبارك بالأمس القريب، أصبحت "تطبل" للثورة! فقد شهدت هذه الفترة قيادات إعلامية لها قدرة على التلون والتماشي مع أي نظام أيا كان.



شكل ٥٩٧: الإعلام قبل وبعد الثورة!

(خضرمحسن، ٢٤ مارس ٢٠١١)



شكل ٥٩٨: الإعلام قبل وبعد الثورة ١٢

قبل الثورة: على الخائض: "اخترناه اخترناه.. وإحنا معاه لما شاء الله" رئيس التحرير: "وأقول للرئيس مبارك بكل وضوح، ما شئت لا ما شاءت الأقدار، أحكم فأنت الواحد القهار.."

بعد الثورة: على الخائض: يا بلادي.. يا بلادي.. أنا بحبك يا بلادي.."
رئيس التحرير: "أحب أشكر الشباب لأنها أعظم ثورة في تاريخ مصر.."

(www.drsherif.net، ٧ مارس ٢٠١١)

ومبكرًا جدًا سجل عمرو عكاشة عن قلقه من محاولات إجهاض الثورة وأنها أصبحت تواجه تحديات كفيلة بقتلها، كما أنه يعتقد بأن ما زرعه الثورة هو فقط رأس النظام، فيزال النظام السابق متغلغل في البنية الأساسية للدولة.



شكل ٥٩٩: تحذير ١

"Warning: Mubarak system still running"

(الوفد، ٢١ فبراير ٢٠١١)



شكل ٦٠٠: أمن الدولة وثورة ٢٥ يناير!

"وتشير آخر التوقعات إلى قدوم عاصفة من الاغتيالات والفتن قادمة من أمن الدولة في اتجاه ثورة ٢٥ يناير.. وننصح المواطنين بتوخي الحذر حتى تمر بسلام!!"
(الوهد، ٩ مارس ٢٠١١)



شكل ٦٠١: شباب ٢٥ يناير ونظام مبارك!

(الرفد، ٧ إبريل ٢٠١١)

ورسم عدد من الرسامين ضد المحاكمات العسكرية، والتي يرون أنها ضد مبادئ حقوق الإنسان عندما يحرم مواطن من أبسط حقوقه وهو أن يعرض أمام محكمة مدنية، وفي استطاعته أن يستعين بمحام للدفاع عنه. ورسم أحمد نادي كاريكاتيراً مستوحى من فيلم "الأرض"، انتاج ١٩٧٠ واخراج يوسف شاهين، والذي يتناول ثورة الفلاحين وعلى رأسهم "محمد أبو سويلم" دفاعاً عن أراضيهم، ويتصدى سويلم لقوات الأمن فتقوم بسحله على الأرض.



شكل ٦٠٢: لا لمحاكمة الغلابة أمام المحاكم العسكرية!

قائد الهجانة: "عشانة تبطل يا أبو سويلم تعمل فيها راجل"
سويلم: "كنت فاكر بس إن حصلت ثورة!"

(أحمد ناضي، ١٨ يونيو ٢٠١١)

وما هو ثابت أن الكاريكاتير فترة الثورة قد أثبتت تواجدًا وبقوة من خلال فن الجرافيتي أو فن الشوارع على أوجه المباني والحوائط حول ميدان التحرير وفي شوارع وسط البلد وفي الشوارع الرئيسية. لم تكن أبدًا مجرد "شخبطة" شباب ثائر، بل كان فيها رسالة وفكرة ممزوجة بشعارات الثورة وألوان العلم المصري (الأحمر والأبيض والأسود).

كانت من أكثر الرموز التي تزينت بها الحوائط، مجموعة زهور تتوسطها عبارة "ثورة ٢٥ يناير" وقبضة يد قوية في إشارة إلى الصمود وشعار حركة ٦ إبريل، مُفتاح النيْل، شكل الهلال مع الصليب. وظهرت أيضًا عبارات مثل "حرية، وكرامة، و"القلة المنتدسة"، و"لا للتعذيب". وظهرت رسوم عديدة لشهداء الثورة بألوان بهيجة. كما ظهرت الشخصية الكاريكاتورية "حنظله" على حوائط وسط البلد.

كما رفع مواطنون خلال المظاهرات رسوماً كاريكاتورية، وجدوا فيها وسيلة لنقل صوتهم ورأيهم فيما يحدث وسخريتهم من الأحداث.



شكل ٦٠٣: قل لا للمخدرات (الحشيش والبرشام والتلفزيون المصري)
(تصوير وايف صالح، ٢٥ نوفمبر ٢٠١١)



شكل ٦٠٤: كاريكاتير مواطن!
(تصوير وايف صالح، ٨ يوليو ٢٠١١)



شكل ٦٠٥: كاريكاتير حانطي!
(تصوير رانيا صالح، ٢٥ نوفمبر ٢٠١١)



شكل ٦٠٦: ووشة كاريكاتير بالتحوير!
(تصوير رانيا صالح، ٢٥ فبراير ٢٠١١)